تاريخ بيت المقدس

تأليف

يعقوب الفيتري

(بطريرك عكا)

ترجمة وتعليق

الدكتور سعيد البيشاوي



1998

رقم التصنيف: ٩٥٦,٤١١

المؤلف ومن هو في حكمه: يعقوب الفيتري، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي

عنوان الكتاب: تاريخ بيت المقدس

الموضوع الرئيسي: ١- التاريخ والجغرافيا

٢- تاريخ القدس

رقم الإيداع: ٥٥٣ / ٤ / ١٩٩٨

بيانات النشر : عمان: دار الشروق

● تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

● رقم الإجازه المتسلسل : ١٩٩٨/٤/٤٠٠

● تاريخ بيت المقدس: يعقوب الفيتري (بطريرك عكا)

● ترجمة وتعليق د. سعيد عبدالله البيشاوي

● الطبعة العربية الأولى ١٩٩٨ .



دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٦١٨١٩٠ / ٤٦١٨١٩١ / ٤٦٢٤٣٢١ فاكس : ٤٦١٠٠٦٥

ص.ب : ٩٢٦٤٦٣ الرمز البريدي : ١١١١٠ عمان - الاردن

■ التوزيع في فلسطين :

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله - المنارة - الشارع الرئيسي

■ صورة الغلاف: قلعة أورشليم للرحالة الرسام دافيد روبرتس ١٨٣٩م، مأخوذة من كتاب «الأراضي المقدسة بين الأمس واليوم» جروس برس طرابلس - لبنان ١٩٩٦ .

تصميم الغلاف : (أيمن البس)، الاشراف الفني : (محمد أيوب)،

■ التنضيد والاخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الألوان و الأفلام :

الشروق للدعاية والإعلان والتسويق / قسم الخدمات المطبعية

هاتف: ٤٦١٨١٩٠/١ فاكس ٤٦١٠٠٦٥ / ص.ب. ٩٢٦٤٦٣ عمان (١١١١٠) الأردن

تاريخ الصدور: نيسان / إبريل ١٩٩٨

الإهداء

- القدس الشريف
- شهداء فلسطين الأبرار
- أبناء الأمة العربية والإسلامية الغيورين
الذين يدافعون عن الكرامة والحرية والأرض

المترجم

مقدمة الترجمة العربية

بقلم الدكتور : سعيد عبدالله البيشاوي

اهتم كثير من الأوروبيين بالأراضي المقدسة في فلسطين ، وتحملوا المشاق والصعاب في سبيل زيارتها • ولعل اهتمامهم هذا يرجع إلى قدسية المنطقة ؛ فهي ، في نظرهم ، مهبط الوحي ، ومركز الأديان السماوية ، والبقعة التي حظيت بمولد بعض الأنبياء والرسل والقديسين واستقرارهم ، كما أنها تمتاز بموقع استراتيجي هام ، لكونها حلقة الوصل بين الشرق والغرب ، كما أنها معبرٌ رئيسٌ للقوات العسكرية منذ أقدم العصور ، وحتى وقتنا الحاضر • وقد استقدمت الأهمية الدينية لهذه المنطقة الحجاج ، والرحالة في العصور الوسطى ، وكان هؤلاء يحضرون لأجل روية الأماكن التي شرفها السيد المسيح بزيارته ، مثل بيت المقدس ، وبيت لحم ، والناصرة ، ونهر الاردن ، وبيت ساحور ، وغيرها • وقد حضر كثيرٌ من الرحالة والحجاج إلى فلسطين ، خلال فترة العصور الوسطى ، نذكر منهم القديس جيروم (صفرونيوس هيرونموس) الذي زار فلسطين في الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي ، وكذلك القديسة بولا ، وابنتها ايستوكيوم• وقد ازداد عدد هؤلاء الرحالة والحجاج أثناء فترة الحروب الفرنجية الصليبية التي استمرت نحو قرنين من الزمن • وقد دوَّن هؤلاء الرحالة ملاحظات هامة عن الأوضاع السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعمرانية التي كانت سائدة في الأراضي المقدسة خلال تلك الفترة ، وقد بدا واضحاً أنهم اعتمدوا على الكتاب المقدس خلال كتاباتهم ، ولذلك جاءت أسماء كثير من المواقع التي تعرضوا لذكرها كما وردت في التوراة، والانجيل • وتجدر الاشارة إلى أن كتابات الرحالة والحجاج الغربيين لم تنل حظها من قبل الباحثين في الوطن العربي ، وبقيت مدونة باللغات القديمة كاللاتينية ، والفرنسية القديمة ، واليونانية ونقل بعضها إلى اللغات الحديثة كالانجليزية ، والفرنسية ، والالمانية ، والروسية • ونظراً لأهمية هذه الرحلات ، وما تلقيه من أضواء على مختلف جوانب الحياة في فلسطين ، في العصور الوسطى ، فضلاً عن حاجة المتخصصين العرب في تاريخ الحروب الفرنجية الصليبية لمثل هذه الرحلات ، وجدنا أنه من المفيد ترجمة بعضها

إلى اللغة العربية ، والتعليق على بعض الجوانب الغامضة التي أتى الرحالة الغربيون على ذكرها ، والعمل على تحقيق بعض أسماء المواقع ، والقرى ، والأماكن المقدسة في فلسطين ، وعلاوة على ذلك التعرف إلى عقلية الاوروبيين وفكرهم ونظرتهم للمسلمين في العصور الوسطى • وتم بعون الله سبحانه وتعالى نشر أربعة كتب من الرحلات الغربية هي : " رحلة الحاج سايولف إلى بيت المقدس والأراضي المقدسة ١١٠٢-١١٠٣م "، " ورحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الأراضي المقدسة ١١٠٦-١١٠٧م " ، " ورحلة يوحنا ڤورزبورغ " وصف الأراضي المقدسة في فلسطين " التي جاء توقيتها في الثلث الأخير من القرن الثاني عشر الميلاديٰ وكذلك كتاب " وصف الأرض المقدسة " للرحالة الألماني بورشارد من دير جبل صهيون الذي دوّن رحلته في القرن الثالث عشر الميلادي• وهناك مجموعة من الرحلات تم إنجازها ، وهي في طريقها للنشر ، أهمّها رحلة الحاج فيتلوس بعنوان " وصف بيت المقدس والأراضي المقدسة " ورحلة الحاج اليوناني يوحنا فوقاس في الأراضي المقدسة " ، ورحلة الحاج يوحنا بولونير في الأراضي المقدسة ، وأخيراً رحلة لودولف من سواكيم وهي بعنوان: " وصف الأرض المقدسة " •

هذا فيما يختص بكتب الرحالة والحجاج الغربيين ، الذين زاروا فلسطين خلال فترة الحروب الفرنجية ، أما بالنسبة للكتب التاريخية ، التي وضعها المؤرخون الغربيون عن فلسطين ، خلال تلك الفترة ، فبعضها كتب في الشرق وبعضها الآخر كتب في الغرب فالكاتب الغربي الذي حضر إلى الشرق دوَّن ما كان يراه ، أو يشاهده ، أو يعاصره من أحداث ، وربما اشترك في صنع الحدث نفسه ، أما الكتب ، التي وضعت في الغرب ، فقد استقى مؤلفوها معلوماتهم من أُناس كانوا في الشرق ، أو أنهم نقلوها عن مؤلفين سابقين لهم • وأشهر المؤرخين الغربيين ، الذين وضعوا مؤلفاتهم في الشرق ، فوشيه الشارتري الذي وضع كتاباً أسماه تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ، ووليم الصوري الذي وضع كتاباً أسماه تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحر ، وجوانفيل الذي وضع كتاباً عن حياة الملك لويس ، واوليفر من بادنبورن الذي وضع كتاباً عن استيلاء الفرنجة على دمياط • وقد عكف اساتذة متخصصون على ترجمة هذه الأعمال وتمكنوا ، بعد جهد وكد ، من نقلها إلى

اللغة العربية ، وقد أسهمت هذه الترجمات بتزويد القارئ العربي بمعلومات مفصلة عن الحملات الفرنجية الصليبية على الشرق •

أما كتاب تاريخ بيت المقدس ليعقوب الڤتيري ، الذي قمنا بنقله إلى اللغة العربية فمؤلفه عاش في الشرق فترة من الزمن ، وتبوّء مناصب عديدة ، منها أسقف عكا ، وبطريرك بيت المقدس ، فضلاً عن أنه أسهم في بعض الأحداث مثل دعوته لشن حملة صليبية ضد الألبيجنسيين ١٢١٢م ، واشتراكه في الحملة الفرنجية الصليبية على دمياط عام ١٢١٧-١٢٢٢م • وهذا يشير إلى أنه كان قريباً من مصدر الأحداث من خلال اشتراكه بها • وعلى الرغم من اقامته في فلسطين ، وتقلده ارفع المناصب فيها ، إلا أنّ معلوماته ومعرفته بجغرافيتها تكاد تكون معدومة ، فنراه ينقل معلوماته المتعلقة بطبوغرافية فلسطين عن المؤرخ الفرنجي وليم الصوري كما أنه اعتمد على الكتاب المقدس عند الحديث عن موقع أو أثر ، أو أمر ديني •

ويبدو أن عدداً من فصول هذا الكتاب البالغ عددها تسعة وتسعين قد فقدت ، ولذلك اطلق عليه اسم " المقتطف من كتاب المختصر لتاريخ بيت المقدس " ، وإذا افترضنا أن الفصول المفقودة من الكتاب المختصر ، لم تؤثر على القيمة التاريخية لهذا الكتاب ، إلا أن بعض الفصول الواردة فيه ، جاءت مبتورة وعديمة الفائدة ، والمفقود منها ستة وعشرون فصلاً هي من الفصل الثاني إلى الفصل العشرين ، ومن الفصل الخامس والثمانين إلى الحادي والتسعين ، وبقية فصول الكتاب غير متوازنة، فبعضها جاء مطولاً، يزيد عدد صفحاته عن اربع وبعضها الآخر لا تتجاوز سطوره ثلث صفحة ، وتكاد تكون معدومة الفائدة•

وتطرق يعقوب الڤتيري ، في بداية كتابه ، إلى أهمية الأراضي المقدسة بالنسبة للمسيحيين ، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، فقد وصفها بأنها " الأرض التي اختارها الله وفضلها وزينها وجعل فيها خلاص الجنس البشري ••• " ، كما أشار إلى أن ملكي صادق الكنعاني كان ملكاً لبيت المقدس • وبعد هذه المقدمة ، نراه يتحدث عن الاستيلاء على بيت المقدس ، مع اشارته إلى قلة عدد الفرنجة الصليبيين الذين استقروا في المدينة

في بداية الاستيطان الفرنجي الصليبي في الآراضي المقدسة ، هـذا إلى جانب حديثه عن استيلاء الفرنجة الصليبيين على معظم الأراضي المقدسة ، كما أشار إلى أعمال ملوك بيت المقدس الفرنجة ، سواء كانت من خلال استيلائهم على المدن والقرى والضياع الإسلامية ، أو تشييد القلاع ، أو محاربة المسلمين المجاورين ، أو التطرق للطوائف الدينية ، المسيحية والإسلامية التي كانت تقطن في تلك المنطقة ، خلال الفترة التي تحدث عنها ٠ وقد بدا يعقوب الفتيري متحاملاً على الطوائف المسيحية المخالفة لمذهبه ، فضلاً عن أنه وصف المسلمين بأوصاف لا تليق بهم ، مثل نعتهم بالكفار تارة ، وبالسراقنة تارة أخرى ، إلى غير ذلك من الألفاظ الشائنة ٠

ووقع يعقوب الڤتيري في أخطاءٍ عديدة لا حصر لها في هذا المؤلف نذكر منها : اشارته إلى استيلاء الفرنجة على مدينة يافا بعد هجوم مباغت ، في حين أن المدينة سقطت دون قتال لأنها كانت خاوية من سكانها ٠ كما أشار إلى أن جودفري البويوني توفي في أواخر عام ١١٠٠م ، في حين أنه توفي في شهر اغسطس من السنة نفسها ، هذا إلى جانب نسبته طائفة الحشاشين المسلمين إلى طائفة الأسينيين اليهودية التي ظهرت عام ٢٠٠ ق ٠ م ، مما يشير إلى جهله بهذا الموضوع ٠ وإلى جانب ذلك ، أخطأ عندما أشار إلى أن مدينة قيسارية كانت عاصمة لفلسطين الثانية ، لأنها كانت عاصمة لفلسطين الأولى في حين كانت بيسان عاصمة لفلسطين الثانية ٠ كذلك أخطأ يعقوب الڤتيري عندما أشار إلى أن الحملة الهنغارية ، التي حضرت إلى فلسطين ، قامت بالاستيلاء على مدينة طبرية في حين أجمعت جميع المصادر على أن الحملة استولت على مدينة بيسان ٠

وقد اتضح ، من خلال هذا الكتاب ، أن يعقوب الڤتيري كان عنصرياً يميل إلى أبناء بلده ، ويظهرهم وكأنهم أبطال لا يخطئون ، وقد بدا ذلك من خلال تحامله على الملك رتشارد قلب الأسد ، ومدحه للملك فيليب اغسطس ٠ ويتضح ذلك من خلال قوله "وغالباً ما كان ملك فرنسا يهاجم المدينة من جانب واحد ، في حين كان ملك انجلترا يحتفظ بجماعته في الخلف ، ولا يدفعهم للهجوم من الناحية الأخرى ، وعلاوة على ذلك كسب العديد من

الأمراء والبارونات عن طريق تقديم الهدايا والمنح والوعود إلى صفه بطريقة سرية ٠٠٠ هذا هو موقف يعقوب القتيري من ملك انجلترا ، الذي بقي في الأرض المقدسة ، فترة زمنية طويلة ، في حين أسرع فيليب أغسطس بالعودة إلى بلاده ٠ ويضيف المؤلف أن ريتشارد ارتاب من ملك فرنسا ، وخشي أن يجتاح دوقية نورمندي ٠ كما أنه كان متحاملاً على الملك يوحنا دي برين ، ملك مملكة بيت المقدس الأسمية ، الذي وصفه بأنه عديم الفائدة ، وأنه عين ملكاً من أجل الخزي والعار للمسيحيين ٠

ويبدو أن يعقوب القتيري قد وضع هذا الكتاب ، بعد عودته إلى الغرب الأوروبي، وتقدمه في السن ، ويتضح ذلك من خلال الأخطاء التي وقع فيها ٠ ويفترض أنه عاصر كثيراً من الأحداث ، وكتب عنها بوصفه شاهد عيان ، إلا أن هذه الأحداث ، التي عاصرها، جاءت مبتورة وعديمة الفائدة ، والمفترض أن تكون ذات فائدة للمؤرخ ، وتشفي غليل المتخصصين ، بدلاً من إرباكهم ، الأمر الذي يشير إلى أن يعقوب القتيري لم يكن صاحب نظرة تحليلية ؛ لأنه اهتم بما يحدث في حينه أكثر من اهتمامه في سبب حدوثه أو كيفيته ٠ ومع ذلك ، فقد زودنا يعقوب القتيري بمعلومات هامه عن الهزات الأرضية التي تعرضت لها مملكة بيت المقدس ، والبلدان الأخرى المجاورة ، فضلاً عن اشارته لأهم مصادر المياه في الأراضي المقدسة ؛ فقد أشار إلى ينابيع المياه في نابلس ، وسلوان فضلاً عن حديثه عن نهر السبعيتيكول ٠

وفي ختام الحديث عن كتاب المقتطف من التاريخ المختصر لبيت المقدس، نقول : إن هذا الكتاب وضع من قبل رجل دين تولى مناصب عديدة في فلسطين ، منها اسقف عكا، وبطريرك بيت المقدس ، خلال فترة الحروب الفرنجية الصليبية في فلسطين ٠ وعلى الرغم من أنه يفهم من عنوان الكتاب ، أن المؤلف وضعه للحديث عن بيت المقدس ، إلا أن المؤلف تحدث عن فلسطين بصفة عامة ، وأشار إلى الأوضاع السياسية ، والاقتصادية، والاجتماعية التي كانت سائدة خلال تلك الفترة ، واعتقد أنه كتاب جدير بالقراءة لأجل التعرف إلى الفكر الغربي ، ونظرة الغربيين لفلسطين وسكانها ، وكذلك من أجل تمحيص كل ما جاء بالكتاب من معلومات خاصة ، وأن المؤلف كان متحاملاً على المسلمين بسبب

الوحدة التي حققوها ، وتمكنوا ، من خلالها ، من الانتصار في حطين ، واستعادة بيت المقدس ، وغيرها من المدن الفلسطينية . وقد بذلت جهداً ضخماً في الترجمة والتعليق وتحقيق الأسماء الغربية ، ولكن الكمال لله وحده ، إذ ربما يجد القارئ ، لهذا الكتاب ، بعض الأخطاء الطباعية أو الفنية ، فأرجو أن يلتمس لي العذر بعد هذا الجهد ، وسأكون شاكراً لكل من يسهم بارشاداته ، واقتراحاته ، أو حتى انتقاداته الموضوعية من أجل الارتقاء بهذا العمل إلى الهدف المنشود ، وهو التعرف إلى أحوال فلسطين خلال فترة الحروب الفرنجية الصليبية ، فضلاً عن التعرف إلى وجهة نظرة الغربيين في البلاد وسكانها . وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأخي وصديقي الدكتور محمد جواد النوري استاذ اللغة العربية في جامعة النجاح الوطنية الذي تفضل بقراءة مخطوط هذا الكتاب وتنقيحه من الناحية اللغوية فجزاه الله كل خير . كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى دار الشروق في عمان ورام الله التي تفضلت بنشر هذا الكتاب .

والله من وراء القصد .

مقدمة المقتطف من التاريخ المختصر لبيت المقدس

ليعقوب الڤيتري

ولد يعقوب في بلدة ڤيتري الواقعة على نهر السين[1] ، وأصبح كاهناً لأبرشية أرجنوي عام ١٢١٠م . وقد جعلت منه زيارته لـ ويني راهباً [2]، ثم أصبح كاهناً من كهنة أوستن في مدينة برويك في مقاطعة بربانت(الفرنسية) بعد ذلك بفترة وجيزة .

وأصبح يعقوب الڤيتري أحد الرجال القياديين في عصره في وقت قياسي •ويبدو أن تأثيره في الفرنجة الصليبيين في القرن الثالث عشر الميلادي كان عظيماً – طبقاً لشهادة

---

[1] لم تزودنا المصادر المتاحة بتاريخ محدد لمولد يعقوب الڤيتري ، ومن المحتمل أن يكون مولده بين سنتي ١١٦٠–١١٧٠م، والأمر المؤكد أنه من مواليد القرن الثاني عشر الميلادي، أما فيما يتعلق بمكان مولده فمن المرجح أنه ولد في بلدة فرنسية تقع على نهر السين ، بالقرب من مدينة ريمز في شمال فرنسا•وتوجه يعقوب الڤيتري إلى باريس من أجل الدراسة ، وبعد الانتهاء منها ، أصبح راهباً بدير القديس نيقولا دويني ، وتقلد يعقوب مناصب دينية عديدة ، وكان عضواً في جماعة الرهبان النظاميين ، فضلاً عن أنه كان واعظاً متقد الحماسة . وقد ساعد على شن الحملة الصليبية الألبيجينسية سنة ١٢١٣م كما شارك في الحملة الصليبية الخامسة سنة ١٢١٨-١٢٢٢م ، وكان قبل ذلك قد أصبح أسقفاً لعكا سنة ١٢١٦م ، وبقي في فلسطين حتى عام ١٢٢٥م ، عاد بعدها إلى أوروبا ، واستقال من منصبه الأسقفي ، ولكن البابا رقاه إلى رتبة كاردينال سنة ١٢٢٩م . ومن خلال موقعه ومعاصرته لكثير من الأحداث أبدى يعقوب الفيتري استعداداً للكتابة في مجال التاريخ المعاصر ، وتناول هذا الجانب وكتب مغطياً أحداث الشرق والغرب على حد سواء . ولكنه في تصديه لأحداث تلك الفترة لم يكن صاحب نظرة تحليلية ، فقد كان يعنيه ما يحدث في وقته أكثر مما يهمه سبب حدوثه أو كيفيته . ومهما يكن من أمر فقد كانت حياة يعقوب الڤيتري حافلة بالأحداث ، وكانت وفاته عام ١٢٤٠م . Cf.Introduction to Historia Occ.t.4 ff
انظر أيضاً : محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، حملة جان دي برين ، ط٢ ، الاسكندرية ١٩٨٥م ، ص٣٠–٣١، بيريل سمالي : المؤرخون في العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ط٢ القاهرة "دار المعارف" ١٩٨٤م ص ١٦٥–١٦٨، حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة ، الاسكندرية ، "دار المعرفة الجامعية" ١٩٨٩م ، ص٣٥ . (الترجمة العربية)

[2] أصبح راهباً بدير القديس نيقولا دويني في بداية القرن الثالث عشر الميلادي . انظر : بيريل سمالي : المرجع السابق ، ص ١٦٥ . (الترجمة العربية)

معاصريه – مثلما كان بطرس الناسك في القرن الثاني عشر الميلادي .

وما تزال خُطَبه موجودة حتى وقتنا الحاضر ، وقد لا تثير كثيراً من الحماسة ، طبقاً لأفكار العصر الحديث ؛ إذ لا يوجد أدنى شك حول نجاحها في عصرها . وقام يعقوب الفيتري بداية بالوعظ لشن حملة صليبية ضد الألبيجنسيين [1]، ثم كرس حياته لاستعادة القبر المقدس [2] . ولا بد أن مجمع الليتران المنعقد عام ١٢١٥م ، من أجل دفع الحرب المقدسة ، كما يقول فولر ، قد منح يعقوب الفيتري آمالاً برؤية إعادة تأسيس المملكة اللاتينية في فلسطين ، ونتيجة لجهوده حاز منصب أسقف عكا عام ١٢١٧م .

وفي هذه السنة [3] كانت حملة الملك أندرو الصليبية الهنغارية [4]، التي تم خلالها

---

[1] عرفت باسم الحملة الصليبية الألبيجنسية أو الحملة الصليبية ضد الألبيجنسيين ، وقد اهتم البابا أنوسنت الثالث بالدعوة لها في يوليو عام ١٢١٢ م. ويبدو أن يعقوب الفتيري اشترك مشاركة فعّالة بالدعوة لهذه الحملة . ولعل السبب الذي دفع أنوسنت إلى الدعوة لها هو رغبته وتصميمه من أجل حل مشكلة الملحدين المستعصية في جنوب فرنسا . ويمثل عام ١٢١٢ الوقت الذي اثيرت فيه الحماسة الديني في كل مكان من خلال الدعاية والتأثيرات النفسية والعصبية . وتجدر الاشار إلى أن الألبيجنسيين Albigenses طائفة لها نمط حياة خاص بها ، وقد ظهرت في جنوب فرنسا وكانت بداية انتشارها في القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين . cf. Mayer , op. cit, pp 203 انظر أيضاً : ستيفن رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، جـ٣ ، ترجمة السيد الباز العريني ، ط١ ، بيروت " دار الثقافة " ١٩٦٩م ، ص ٢٤٨-٢٤٩ .

[2] كنيسة القيامة

[3] المقصود هنا عام ١٢١٧ م .

[4] الحملة الهنغارية : دعا إلى قيامها البابا أنوسنت الثالث ، ولكنه توفي عام ١٢١٦م ، قبل خروجها ، ومع ذلك واصل الفرنجة استعداداتهم وشرعوا في حملتهم ضد بلاد الشام التي وصلوها في خريف ١٢١٧م . وكان معظم جنود الحملة وفرسانها من الالمان والهنغاريين تحت زعامة ليوبولد السادس دوق النمسا ، واندرو الثاني ملك هنغاريا وقد لحق بهما ملك قبرص . وقد اتفق زعماء الحملة على الشروع بمهاجمة القلعة الجديدة التي شيدها المسلمون على جبل الطور .

Cf. Brehier, L., L'Eglise et L'Orient au Mayen age les Croisades, Paris 1928 , pp . 191-192

انظر أيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ط٣ ، القاهرة ١٩٧٦، ص ٩١٦-٩١٧ .

الاستيلاء على مدينة طبرية [1]، ولكن القليل تم انجازه في النهاية . ورافق يعقوب الڤيتري في السنة التالية الجيش المسيحي المتجه لحصار مدينة دمياط ، حيث يروي عن توليه القيادة الكاملة للعمليات العسكرية بأكملها .

وفي عام ١٢٢٧م غادر (يعقوب) فلسطين عائداً لِـ ويني ٠ وفي عام ١٢٢٩م رجع إلى روما مرة ثانية حيث تنازل للبابا جريجوري التاسع عن منصبه بصفته أسقفاً لعكا . وتقلد فيما بعد منصب الكاردينال ، وأسقف بيت المقدس ، وممثل البابا في كل من فرنسا وألمانيا، وأخيراً بطريرك بيت المقدس ، ولكنه توفي في روما في ٣٠ ابريل (نيسان) عام ١٢٤٠م قبل أن يتسلم مقاليد منصب البطريرك .

يتضح من هذه المقدمة الموجزة ، عن حياة يعقوب الڤيتري ، أنه ولد في وقت صدمت [2] فيه المسيحية باسترجاع (السلطان) صلاح الدين (الأيوبي) لبيت المقدس . وفي فترة شبابه لا بد أنه كان على دراية بأحاديث جودفري (البويوني) وتانكرد ، وبالقصص المعاصرة حول فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد، وقد رأى قبل موته بيت المقدس في أيدي المسيحيين مرة ثانية ، وعلى الرغم من كونه رجل كنيسة إلا أنه كان يعتبر الإمبراطور فردريك (الثاني هوهنشتاوفن) شخصاً وثنياً [3].

---

[1] اشار يعقوب الڤتيري إلى أن الحملة الهنغارية استولت على طبرية ، في حين أجمعت المصادر العربية والاجنبية على أن هذه الحملة استولت على مدينة بيسان عام ٦١٦هـ/ ١٢١٧م ، وفي ذلك يقول ابن الاثير : " فأخذ الفرنج كل ما في بيسان من ذخائر قد جمعت ، وكانت كثيرة ، وغنموا شيئاً كثيراً ونهبوا البلاد من بيسان إلى بانياس ٠٠٠ " الكامل في التاريخ ، جـ١٢ ، بيروت " دار صادر ، دار بيروت " ١٩٦٦/ ١٣٨٦هـ ، ص ٣٢١ ٠ انظر أيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص٩١٧ ٠

[2] ليس من شك في أن الفرنجة الصليبيين تعرضوا لصدمة شديدة نتيجة لانتصار صلاح الدين الايوبي في حطين عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ ، وما تلاه من استرجاع المدن الإسلامية ، وفي مقدمتها بيت المقدس بسبب الوحدة الجزئية التي استطاع السلطان صلاح الدين تحقيقها ٠ (الترجمة العربية)

[3] لا يعتبر موقف يعقوب الڤتيري من الامبراطور فردريك غريباً ، لأنه تبنى موقف البابوية التي أصدرت قرار الحرمان ضد الامبراطور في يوم الخميس ٢٣ مارس " أذار " ١٢٢٨م ٠ كما أنها أخذت تعمل بكافة الطرق على أن لا ينجح فردريك في استرداد بيت المقدس ، وقد أرسلت إلى الملك الكامل =

وقليل من الكُتّاب ، يستطيعون عكس الشعور عن العهد الفرنجي الصليبي ، بصورة أفضل من يعقوب الڤيتري ، الذي نشأ بين ذكريات الفرنجة الصليبيين ، وعندما أصبح رجلاً، وعظهم وقاتل معهم في كلٍ من فلسطين ومصر . وعلى الرغم من ذلك ، فإنه من الصعوبة بمكان أن يعرف كثيراً عن الأرض المقدسة ، سوى ما كان يسمعه نقلاً عن الآخرين ، حيث إنها (الأرض المقدسة) كانت جميعها تقريباً بأيدي المسلمين [1] أثناء عمله أسقفاً [2] . ودونما شك فإن أكثر ما يحتج عليه حقيقة ، هو عدم الثقة والكراهية التي ينظر بها المسيحيون المحليون الخبثاء المنحدرون من سلالة قدامى الفرنجة الصليبيين من العهد البطولي نحو المبتدئين الحمقى ، حيث إن كل رحلة حج ناجحة جاءت من خلالهم . ولم يكن الحجاج يضجرون من اتهام المواطنين بالتخنث والغدر . وقد حفظت الأسماء المشينة مثل : بولاني [3]، وفيلي هيرن

= محمد خطابات ورسائل كثيرة تطلب منه عدم تسليم بيت المقدس للامبراطور ، وصفت حملته بأنها حملة قراصنة ، كما أرسل البابا رسائل إلى الفرنجة في الشرق حتى لا يساعدوا الامبراطور المحروم كنسياً .

Cf. Weigler, p., The Infidel Emperor and his struggles Against the Pope , London 1930. pp. 132-137 .

انظر : سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٩٦٤ ، عادل عبد الحافظ شحاته : العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ١١٥٢-١٢٥٠ م/ ٥٤٧-٦٤٨هـ ، الطبعة الأولى، القاهرة " مكتبة مدبولي " ١٩٨٩م ، ص ٢٦٧، ٢٧٥،٢٧٦ .

[1] ذكرهم يعقوب الڤتيري بالكفار ، وقد درج المؤرخون والرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى على إطلاق لفظة الكفار على المسلمين Infidels ، وربما تكون هذه لغة العصر إذ إن المسلمين والأوروبيين كانوا في حالة حرب ، ولكن المستغرب أن مترجم النسخة اللاتينية إلى الإنجليزية كرر اللفظ نفسه ، على الرغم من أنه يعيش في العصر الحديث ، ولعل ذلك يكمن في الحقد الذي يكنه بعض سكان أوروبا ضد المسلمين . (الترجمة العربية)

[2] المقصود هنا أثناء عمل يعقوب الفيتري كأسقف لمدينة عكا .

[3] بولاني Pullani : لفظة أطلقها الغربيون على الأولاد الذين كانوا نتاج التزاوج بين المسيحيين الغربيين والشرقيين . وقد شكل هؤلاء سلالة حديثة من الرجال والنساء ، عرفت بطبقة الأفراخ . وقد كانت حياتهم المنزلية وعلاقاتهم الأسرية ، وخصوصياتهم كلها انعكاساً لأوروبا ، ولفرنسا على وجه =

اودي [1] التي كانوا يطلقونها على بعضهم بعضاً ، حيث أصبح من غير المؤكد إعطاء المعنى المضبوط لها . ويعلق السيد والتر بيزنت على ذلك بقوله : "بدون شك ، فإن مناخ سوريا ينتج انحلالاً سريعاً في الشجاعة والقوة للشعوب اللاتينية ، لكن أسلوب يعقوب الفيتري مليء بالصفات والنعوت الكثيرة . وهو يصرخ كامرأة غاضبة عندما يشكو من العمر ، الذي لم يكن أكثر سوءاً من أسلافه على وجه التقريب ، وحرارة الهجاء تحرمه من معظم قوته" [2] .

ومهما يكن رأينا في أسلوب يعقوب الفيتري ، فمن الممكن وجود قليل من الشك حول كتابته هذا الجزء من كتابه من خلال تجربة وخبرة شخصية ، وبصعوبة يمكننا قول الكثير عن البقية . ومن الصعب الحديث عن الكم الهائل من الطبوغرافية الخاصة به

= التحديد وتجدر الاشارة إلى أن أهل الغرب الأوروبي الذين استقروا في فلسطين وغيرها من البلاد التي خضعت للسيطرة الصليبية تزوجوا من المسيحيين الارمن والسريان وغيرهم . انظر : يوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، ط١ ، القاهرة "دار المعارف" ١٩٨١م ، ص١٤١- سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ط٣ ، القاهرة "الأنجلو مصرية" ١٩٧٨م، ص ٤٧٩-٤٨٠ . عزيز سوريال عطية : الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب سيف ، ط٢،القاهرة "دار الثقافة" ، ١٩٩٠م، ص٥٣ -سعيد البيشاوي:الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط١ ، الاسكندرية " دار المعرفة الجامعية " ١٩٩٠ م ، ص ٣٨٠ .

Cf. Also : Grousset, L'Empire du Levant, Paris 1946, PP. 315-316 Atiya, A.S., Crusade, Commerce, Culture, Bloomington 1962, P. 66

(1) فيلي هيرن اودي Filii Hernaudi : ربما تعني أبناء الأبطال الشجعان ، لأن كلمة فيلي Filii اللاتينية تعني أبناء ، وكلمة هيرن اودي تتألف من مقطعين : هيرن Hern بمعنى بطل واودي بمعنىشجاع وهناك من يقول أن لفظة Filios Hernaudi تعني الحمقى Cf.. Du Cange, art Filius وعندما بحثنا في قواميس اللغة اللاتينية لم ترد كلمة Filius بمعنى أحمق وإنما وردت بمعنى ابن ، وقد أورد يعقوب الفيتري هذه اللفظة على أساس أنها من المصطلحات الجديدة التي استخدمها اللاتين في الشرق . (الترجمة العربية)

(2) Besant , W., and Palmer , E., Jerusalem : " The City of Herod and Saladin" , London 1889, P . 294 .

وتاريخه الذي نُقِلَ كاملاً عن وليم الصوري[1]... الخ ، وتظهر مجموعة خرافاته

---

[1] وليم الصوري William of Tyre : مؤرخ فرنجي صليبي ولد في فلسطين حوالي عام ١١٣٠م، وشاركت أسرته الفرنسية الأصل في الحملة الفرنجية الصليبية الأولى . وقد أمضى وليم فترة شبابه في بلاد الشرق وانتسب لمدينة صور ، وأتقن عدة لغات منها : اللغة العربية ، واليونانية ، واللاتينية ، والعبرية، والفرنسية . وارتحل ، في شبابه ، إلى أوروبا الغربية طلباً للعلم والمعرفة . وقد أمضى ما يقرب من عشرين عاماً طالباً في بعض المدن الفرنسية مثل : باريس ، وشارتر ، واورليان ، فضلاً عن دراسته في ايطاليا ، حيث تتلمذ على أيدي أفضل أساتذة الفنون الحرة ، والفلسفة ، واللاهوت ، والقانون الكنسي والمدني . وعاد وليم إلى الأراضي المقدسة عام ١١٦٥م، حيث حصل على أول ترقية له ، إذ أصبح قسيساً بكاتدرائية صور ، ثم عمل في البلاط حتى أصبح قاضي قضاة مملكة بيت المقدس اللاتينية، وحظي بثقة الملك عموري الأول الذي عينه مستشاراً له ، ثم مربياً لابنه بلدوين الرابع، وفي عهده أصبح رئيساً لأساقفة صور، وكاد وليم أن يصل إلى منصب بطريرك بيت المقدس ، عندما اقترح رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ترشيحه إلى جانب هرقل (رئيس أساقفة قيسارية) ليتم اختيار أحدهما لشغل المنصب . ويبدو أن مؤامرة قد حيكت في المدينة المقدسة من أجل ابعاد وليم الصوري ، وانتخاب هرقل ، الذي فازبمنصب البطريرك في أكتوبر عام ١١٨٠م. وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن وليم الصوري لم يتقبل ذلك ، وتوجه إلى روما لكي يقدم الشكاوي ضد تعيين هرقل في منصب بطريرك بيت المقدس . ويقال أن هرقل خافه فأرسل له من سقاه السم وقتله عام ١١٨٤م ، وتجدر الإشارة إلى أن وليم الصوري وضع كتابين الأول بعنوان "تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر"، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات منها : الإنجليزية والفرنسية والعربية . وحقق وليم الصوري في كتابه التاريخي الأدبي أقصى ما يمكن لهذا النمط من الكتابة أن يحققه . وهكذا برز وليم كأكثر مؤرخي العصور الوسطى عذوبة ورقة ورحمة . أما الكتاب الثاني فهو تحت عنوان "تاريخ أمراء الشرق" وقد وضعه بناء على تكليف من الملك عموري ، وللأسف فقدت نسخة هذا الكتاب ولم يعرف عنها شيء ،

Cf. Chronique d'Ernoul et de Bernard Le Tresorier, Ed. M.L. de Mas Latrie , Paris "Societe de Histoire de France" 1871, PP. 83-86- Eracles, L'Estoire d'Eracles Empereur et La conquest de la Terre d'outre-mer. Cf.R. H.C.H. Occ. Tome II, Paris 1859, PP. 38-39-58- Cf. Also : Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, vol. 1, trans. From the original by Jenat Shirly, Amsterdam 1979, P. 110- Runciman, S. , A History of the Crusades, vol. 2, London 1973, P. 425- Kedar, B., PP. 179-180, 188- Edbury, P.W., William of Tyre : A Historian of the Crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130-1184) in the Bulletin of the Faculty of Arts in Alexandria University 1988, PP. 43-52 .=

وأساطيره عند نهاية التاريخ المختصر أن لديه ميلاً فطرياً غير محصور للروائع ، وبدون مقدرة انتقادية مهما كانت .

وتجدر الإشارة إلى أن النسخة الأصلية الخاصة بيعقوب الڤيتري ، التي اعتمدت عليها ، توجد ضمن مجموعة بونجار [1] المعروفة باسم أعمال الفرنجة Gesta Francorum

---

= انظر أيضاً : السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣م ص ١٠١-١٠٣ ، ١١٠-١١٣-١٤٥-١٦٥- نظير حسان سعداوي : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، القاهرة ١٩٦٢م ، ص٤١-٤٢- بيريل سمالي : المرجع السابق ، ص ١٤٢-١٤٨- سعيد البيشاوي : الممتلكات، ص٣٦-٤٢ (الترجمة العربية)

[1] يعقوب بونجار Jack Bongars : اهتم بنشر مصادر الحروب الصليبية في مجموعته المعروفة باسم "أعمال الرب التي انجزت بيد الفرنجة" Gesta Dei Per Frances .وتجدر الإشارة إلى أن هذه المجموعة غير كاملة . (الترجمة العربية)

تاريخ بيت المقدس
بقلم
يعقوب الفيتري

(أسقف عكا ، كاردينال توسكولم ، ممثل البابا في فرنسا وألمانيا ، بطريرك بيت المقدس)

هنا يبدأ التاريخ المختصر لبيت المقدس

أرض الميعاد المقدسة ، التي أحبها الله وكرمتها الملائكة الطاهرة ، ويرنو إليها كل العالم – اختارها الله وفضلها وزينها بأن جعل فيها خلاص الجنس البشري من الآثام عن طريق تقديم القربان المقدس ، الذي جعلنا أحراراً ، فقد أحب الله هذه الأرض أكثر من الأراضي الأخرى ، ليتم تطهيرها من معاصي الناس الكثيرة • ولكن الله شاء أن تتعرض هذه الأرض إلى كثير من المشاكل ، لذا منعنا الله من القاء الأشياء المقدسة للكلاب ، وأن لا نلقي باللآلىء أمام الخنزير . لقد ملك كثير من الناس هذه الأرض ، التي كان يأتي إليها البعض ويرحل عنها الآخر ، ولكن قليلاً من هؤلاء كان يستطيع التمييز بين الأشياء الطاهرة والأشياء الدنسة ، وكانوا يستخفون بتلك الأرض المرغوبة ؛ الأرض التي تدر لبناً وعسلاً ، إنها بلاد سيدنا يسوع المسيح[١] والبطاركة الصالحين ،[٢] والأنبياء والحواريين •[٣] لقد لوثوا هذه الأرض بمختلف أنواع النجاسة • ويتحدث الرب عن ذلك على لسان النبي قائلاً: "إن الذي يَمَسُّكُمْ يَمَسُّ بؤبؤ عيني" [٤] ، إذ إن العين تُحب أكثر من أي عضو آخر في الجسم • ونلاحظ أنه عندما يقع الوسخ في العين نسارع في الحال من أجل إزالته بأفضل ما نستطيع. وكذلك يفعل مخلصنا عندما تألم وجلد وطرد العصاة الذين يقطنون الأرض المقدسة ، التي منحها الحب المتميز • ويكون بهذا الفعل قد طهرها من آثامهم الملوثة. وسوف يعيدهم برحمته إلى ما كانوا عليه ، وعندما يتوبون وترجع قلوبهم مرة ثانية ، فإنهم يحتاجون إلى واسع رحمته ، وهم في عظيم بؤسهم . ولإثبات ما ورد

---

[١] المقصود هنا أن سيدنا عيسى عليه السلام ولد وترعرع في فلسطين ، ومنها رفع إلى السموات العُلا•

[٢] ربما يقصد يعقوب الڤيتري سيدنا ابراهيم واسحق ويعقوب .

[٣] أتباع المسيح عليه السلام .

[٤] ورد في كتاب العهد القديم ما يلي : " فإنَّهُ هكذا قال رَبُّ الجنودِ إنَّهُ بعد المجد أرسلني إلى الأمم الذينَ سلبوكم لأن مَنْ يَمَسكُم يَمَسُّ حدقة عَينه . وهاءنذا أهز يدي عليهم فيكونون سلباً لعبيدهم فتعلمونَ أنَ رَبَّ الجنود أرسَلني" . أنظر : نبوءة زكريا ٢ : ٨-٩ .

أعلاه بأمثلة من الأزمنة القديمة ، فإن ملكي صادق [١] كاهن الإله الأعلى ، كان ملكاً لسالم التي سميت فيما بعد جيروزليم . وحكم المدينة ملوك اليبوسيين حتى عهد (الملك) داود [٢]، ولكن عندما وصل ظلمهم وجورهم حداً كبيراً [٣]، وضع الرب المدينة المقدسة بأيدي بني اسرائيل ، وكذلك المكان الذي كَرَّسَهُ خصيصاً لنفسه ؛ ليتسنى لهم خدمته هناك ، وتقديم مختلف أنواع الأضحيات، التي كانت جميعها تجسد التضحية العظمى التي تفوق الوصف . ولكن تضاعفت المعاصي بعد ذلك وازدادت آثام سكان البلاد ، وأصبحت مثل رمال البحر، وسقطت المدينة في عهد الملك صدقيا [٤] والنبي ارميا [٥] بأيدي البابليين لمدة سبعين عاماً [٦].

---

[١] ملكي صادق : أحد ملوك الكنعانيين الذين حكموا بيت المقدس (يبوس) ، وكان موحداً بالله ، فضلاً عن أنه كان صديقاً لسيدنا ابراهيم الخليل ٠ واسم ملكي صادق من الاسماء الكنعانية التي كانت شائعة خلال تلك الفترة وهو يعني ملك البر ، وسيد العدل ، ٠ انظر : مصطفى مراد دباغ : بلادنا فلسطين ، جـ ٨، ق٢ ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٥٩ – بورشارد من دير جبل صهيون : وصف الارض المقدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط١ ، عمان " دار الشروق " ١٩٩٥م ، ص ١٢٠ (الترجمة العربية)

[٢] كان ملكي صادق أحد الملوك اليبوسيين الكنعانيين ، وقد استمرت بيت المقدس تحكم من قبل هؤلاء حتى تغلب عليهم سيدنا داود " عليه السلام" في حوالي القرن العاشر ق٠م ٠ (الترجمة العربية)

[٣] لم يكن هناك ظلم أو جور ولكن بني اسرائيل بقيادة داود "عليه السلام " حاربوا الكنعانيين من أجل التوسع والسيطرة على حساب أصحاب البلاد الأصليين ٠ (الترجمة العربية)

[٤] صدقيا بن يواقيم : كان ملكاً على دولة يهوذا ، وعاصر نبوخذ نصر الكلداني الذي هاجم اورشليم ، واستولى عليها ، ثم قام بقتل ملكها صدقيا عام ٦٨٥ ق٠م ٠ انظر محمد عزة دروزة : تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ، صيدا – بيروت " المكتبة العصرية " ١٩٦٩م ، ص ١٧٨ ٠ (الترجمة العربية)

[٥] ارميا : ينتمي إلى بني اسرائيل وقد وصف بانه من الكهنة ، كما ذكر بأنه نبي ، وقد عاصر زحف نبوخذنصر على اورشليم وتدميرها وسبي أهلها ٠ وقد أشارت بعض اصحاحاته إلى أنه تعرض لغضب الشعب وغضب صدقيا ملك اورشليم بسبب تنديداته وانذاراته وتنبؤاته بمصير اورشليم ويهوذا السئ عقوبة على آثامهم ، وقد سجنه صدقيا فترة من الزمن ٠ (الترجمة العربية)

[٦] سقطت مدينة بيت المقدس على يد نبوخذنصر الملك الكلداني الذي قتل صدقيا ونهب المدينة ودمرها وسبى أهلها الى بابل عام ٥٨٦ ق ٠م٠ ثم أقام عليها والياً من قبله ، ويبدو أن يعقوب الفتري قد أخطأ=

الفصل الحادي والعشرون :

أوفى كثير من شعبنا بقسمهم وحققوا رغباتهم ، وعادوا فرحين إلى منازلهم بعد تحرير المدينة المقدسة ، ولكن كثيرين آخرين منهم كانوا يعرفون بأنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بالمدينة ما لم يوسعوا حدودها ، ويقوموا بإبعاد الأعداء [1] عنها ٠ وهكذا اختاروا البقاء في المدينة بدلاً من هجرها[2]،وبذلك يقدمون التضحية،وينفذون أمر الله بكل ما يجب عليهم

= في تحديد المدة التي قضاها بنو اسرائيل في السبي لأنها لا تتجاوز أكثر من ٥٤ سنة ، لأن قورش الفارسي قد أعادهم في حوالي عام ٥٣٢ ق٠م ٠ (الترجمة العربية)

[1] ربما المقصود هنا المسلمين ، لأن البلاد التي استولى عليها الفرنجة كانت تحت الحكم الاسلامي ، ولذلك يجب توخي الحذر عند الرجوع الى كتابات المؤرخين والرحالة الغربيين الذين تصدوا للحديث عن فلسطين في العصر الوسيط لأنهم وصفوا المسلمين ونعتوهم بصفات غير لائقة مثل : السراقنة ، والكفار والاعداء ، والوثنيين ، إلى غير ذلك من النعوت والصفات التي لا تمت بصلة للمسلمين الذين عرف عنهم التسامح ، واحترام أهل الذمة الذين كانوا يعيشون معهم ٠ (الترجمة العربية)

[2] استولى الفرنجة على بيت المقدس في يوم الجمعة الموافق ١٥ يوليه " تموز" ١٠٩٩م /الثالث والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢هـ ، بعد أن ارتكبوا مذبحة رهيبة مروعة ذهب ضحيتها سكان المدينة المقدسة، إذ أنهم قتلوا من وجدوه بها من السكان المسلمين واليهود ، وفي ذلك يقول ابن الاثير : " وركب الناس السيف ، ولبث الفرنجة في البلدة اسبوعاً يقتلون فيه المسلمين "، وتم احراق اليهود في كنيسهم ، الأمر الذي جعل مدينة بيت المقدس خاوية من سكانها مما اقتضى بالملك الفرنجي بلدوين الأول إلى احضار مسيحيين شرقيين من منطقة فيما وراء الاردن ٠ انظر: ابن القلانسي : تاريخ دمشق تحقيق سهير زكار ، ط١ ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص١٢٢ –ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٠ ، بيروت ١٩٦٦م ، ص ١٠ ٠ انظرأيضاً : سهيل زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، ط٢ ، دمشق ١٩٧٥م، ص٢٤٤، سعيد البيشاوي : نابلس ، الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية ، ط١ ، عمان ١٩٩١ ، ص٤٩ ٠

Cf. also : Fulcher of Chartares, Ahistory of the Expedition , trans . by Frances Rita Ryan Sisters of St . Joseph, Edited with an introduction by Harold's Fink Konuville , U.S.A. 1969 .P. 21.- William of Tyre , Ahistory of Deeds Done Beyond the Sea, vol.1, Trans. by Babcock and Krey New York 1943, PP.507-508.

فعله،علـى الرغـم مـن أنهـم كـانوا قليلـي العدد مقارنـة مـع الأمـم المحيطـة بهم٠وقـد كـانوا محـاطين بعـدد كبير مـن الكفـار [١] مـن كـل جـانب ، حيـث كـان العـرب والمؤابيـون [٢] والعمونيون [٣] في الشرق ، وكان الأدوميون[٤] والمصريون والفلسطينيون[٥] فـي الجنـوب ،

---

[١] وضح يعقوب القثيري أسماء الشعوب التي نعتها بالكفر ٠

[٢] المؤابيون : كانت بلادهم تمتد من وادي الحسا جنوباً إلى حسبان شمالاً ، ويتوسطهما سـيل الموجـب . وكانت بلاد مؤاب تشكل في مجموعها مملكة ، وقد تعرضت حدودها لهجوم سيحون ملك الأموريين الذي استولى على حسبان ، والحقها بمملكته وجعلها عاصمة له . وفي عهد الملـك الأشـوري سرجون الثـاني، اجتاحت جيوشه عاصمة المؤابيين (حسبان)،وأجلت سكانها عن ديـارهم،ولكـن المؤابييـن عـادوا وعمـروا مدينتهم ، وتعايش سكانها مع من تبقى من الغزاة الأشوريين . واشتملت حدود المملكة على مجموعة من مدن أهمها : حسبان الكرك ، ذبيان ومأدبا . أنظر : لويس مخلوف : الأردن تاريخ وحضارة آثار، ط١، عمان ١٩٨٣م ، ص١١٣. (الترجمة العربية)

[٣] العمونيون : عاشوا في منطقة شرق الأردن ، وكانت حياتهم تميل إلى البداوة ، ومـع ذلـك فقد أسسـوا لهم دولة قوية امتدت حدودها من الموجب جنوباً إلى سيل الزرقاء شمالاً ، ومن الصحراء شرقاً إلى نهـر الأردن غرباً ، وقد اتخذوا من ربة عمون (عمان) عاصمة لهم وأقاموا الحصون لحمايتها ، ولكن المملكة العمونية تعرضت للغزو والدمار مراراً . ففي عام ٧٧٥ ق.م تعرضـت لهجمـة الجيـوش الأشـورية التـي استولت على عاصمتها وأجبرت ملكها سانيبو على دفع الجزية . ويذكر التاريخ اسم طوبيا العموني كآخر أمير حكم الدولة العمونية وارتبط اسمه بما ترك وراءه من قلاع وقصور مثل:عراق الأمير وقصر العبـد في منطقة وادي السير . أنظر : لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ٧٠ ، ١٠٩ . (الترجمة العربية)

[٤] الأدوميون : من الشعوب التي استقرت في سوريا ، وكانت حدود بلادهـم تمتد مـن الخـط المعـروف بطريق الحج من دمشق إلى مكة شرقاً ، وربما كان وادي العريش هو حدها الغربي ، أمـا جنوبـاً فكـانت تمتد حتى رأس خليج العقبة ، ويقف حدها الشمالي عند النهير الذي يسمى وادي الحسا – وهو يجري إلى الشمال الغربي مخترقاً غور الصافي ، ويصب في الطرف الجنوبي من البحـر الميـت . وتجـدر الإشـارة إلى أن الأدوميين كانوا من ألدّ أعداء الموسويين ، وعارضوا مرورهم ببلادهم عند صعودهم من مصر . أنظر : إحسان عباس : تاريخ دولة الأنباط ، ط١ ، عمان "دار الشروق" ١٩٨٧م ص١٩ – أحمد سوسه: مفصل العـرب واليهـود فـي التـاريخ ، ط٥ ، بغـداد "دار الرشـيد" ١٩٨١م ، ص ٧٩٩ – أحمـد سوسـه : تاريخ وحضارة وادي الرافدين ، جـ٢ ، بغداد "دار الحرية" ١٩٨٦م ، ص ٣٣٤ . (الترجمة العربية)٠

[٥] الفلسـطينيون : دارت آراء كثيرة حـول أصـل الفلسـطينيين ، فـالبعض يقـول أنهـم ينتسـبون إلـى =

= قبيلة بلستيا Plistia ، وهي إحدى القبائل الكنعانية التي هاجرت من الجزيرة العربية بسبب القحط والجفاف ، وبدلاً من الاستقرار في بلاد الشام ، كبقية القبائل العربية ، التي هاجرت من الجزيرة العربية، رأى زعماء قبيلة بلستيا الاتجاه نحو كريت والاستقرار بها ، وبعد أن استقروا فترة من الزمن في كريت، تعرضت الجزيرة لغزو الجماعات اليونانية ، الأمر الذي دفع قبيلة بلستيا إلى الهجرة إلى بلاد الشام ، حيث استقروا في جنوب فلسطين ، وأسسوا مجموعة من المدن أهمها : غزة ، وعسقلان ، وأسدود ، وعاقر(عقرون) وجت (عراق المنشية). وهناك من يقول إن قبيلة بلستيا هي إحدى القبائل الايجية التي كانت تقطن في جزيرة كريت، وعندما تعرضت الجزيرة لضغط الجماعات اليونانية ، اضطرت هذه القبيلة للهجرة إلى جنوب فلسطين ، حيث أسست مجموعة المدن سابقة الذكر . ويشير أحد الباحثين إلى أن الفلسطينيين كانوا يمتهنون الجندية ، وهم الجبارون الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن الكريم. انظر : أحمد سوسه : المفصل ، ص٢١٩-٢٢٥ - أحمد سوسه : تاريخ وحضارة الرافدين ، جـ٢ ، ص٤٠٠ - نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ٣ ، ط٣ ، الاسكندرية "دار المعارف" ١٩٦٦م ، ص ٣٤٨-٣٥٤ - مجلة الأديب البيروتية ، ابريل (نيسان) ١٩٧٤م ، ص ٢-٣ .

Cf. Also : Cook, S. A. , Philistines , Ency. Brit. vol 17 , 1965, PP. 737-738

ويذكر أحد الباحثين أن كلمة فلسطين سامية الأصل ، وهي مشتقة من فِلّشتْ بمعنى الفلاح أو من يعزق الأرض ويحرثها . انظر : يونس عمرو : خليل الرحمن العربية ، ط٢ ، الخليل "مركز البحث العلمي" ١٩٨٧م ، ص ١١-١٥ . ويرى باحث آخر أن لفظة فلسطين مشتقة من فلاش Falach بمعنى المهاجر أو الغريب . انظر : عبد الفتاح العويسي : جذور القضية الفلسطينية ، ط٢ ، الخليل "دار الحسن" ١٩٩٢م، ص٣٠ . ويجعل ياقوت الحموي تسمية فلسطين بهذا الاسم نسبة إلى شخص يدعى فلسطين بن سام بن إرم بن سام بن نوح أو فليشين بن كسلوخيم من بني يافث بن نوح . وفي كتاب ابن الفقيه سميت بفلسطين بن كسلوخيم بن صدقيا بن كنعان بن حام بن نوح . انظر : معجم البلدان ،جـ٤، بيروت "دار صادر ودار بيروت" ١٩٨٤م ، ص ٢٧٤-٢٧٥ . وهناك من يشير إلى أن كلمة فلسطين تتألف من مقطعين فلس وطين . فلس بمعنى حفر أو شكل الطين ، وربما يدل ذلك على اشتغال الفلسطينيين بحرفة الزراعة . وقد ورد في كتاب العهد القديم ما يؤكد ذلك . "ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين" . انظر: سفر القضاة ٥ : ١٥ . وهناك من يشير إلى أن كلمة فلسطين تعني الرجل الفظ الغليظ الذي لا يحب الموسيقى . وقد عرفت فلسطين بأسماء أخرى ، نذكر منها : سوريا الجنوبية ، وأرض كنعان ، وأرض المحشر ، وأرض الأسراء والمعراج . وهي أرض عربية كنعانية ، كانت مأهولة بالقبائل الكنعانية عند قدوم سيدنا ابراهيم عليه السلام من بلاد الرافدين . (الترجمة العربية)

وفي الغرب كانت المدن الساحلية مثل : عكا ، وصور ، وطرابلس وجميع المدن الأخرى حتى أنطاكية ، وفي الشمال كانت قيسارية فيليبي [1] والمدن العشر [2]ودمشق٠ وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد فضلوا أن يعرضوا حياتهم للخطر من أجل السيد المسيح على أن يكفوا عن التقدم بعدما وضعوا أيديهم على المحراث ، وأن يتركوا العمل غير مُنتَه . والآن إلى حيث وصل هؤلاء الرجال إلى الأشياء التي كانت أمامهم[3] وكانوا لا يحصون شيئاً أنجزوه طالما كان هناك شيء يجب أن ينجز ، لقد كان الرب معهم ، يحميهم ويقوّيهم ، ملقياً الرعب في قلوب الكفار [4] حولهم ، لدرجة أن الواحد منهم كان يستطيع مطاردة ألف

---

[1] قيسارية فيليبي : عرفت بهذا الاسم في القرن الثاني عشر ، وهي مدينة بانياس المسورة ، وموقع قلعتها كبير بصورة كبيرة ، إذ يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب نحو ٤٨٠ ياردة،ويتروا‌ح عرضه من الشمال إلى الجنوب ما بين ٨٠-١٨٠ ياردة ، وقد أنشأ الفرنجة برجاً محصناً أحاطوه بفناء صغير مسور٠ ونظموا الدفاع عن باقي الموقع بخط واحد من سور ساتر ذي شكل غير منتظم لكونه يتمشى مع حافة الهضبة ٠

Cf . R. C. Smail,Crusading Warfare , London 1978 ,p. 223 .، والترجمة العربية للكتاب هي " فن الحرب عند الصليبيين" : ترجمة محمد وليد الجلاد ، ط١ ، دمشق " دار طلاس للنشر " ١٩٨٥ ص٣٢٢-٣٢٣ ٠ (الترجمة العربية)

[2] المدن العشر Decapolis : تعرف أيضاً باسم مجموعة المدن الحرة ، وقد شكلت فيما بينها حلفاً استمر فترة طويلة من الزمن ، وأشهر هذه المدن اربد (اربيلا Arabela) وجدارا (ام قيس) وجرش وفحل (بلا) وكابيتولياس وبيسان (سكيثوبوليس) وهبوس وديوم وقناتا ٠ وكانت مدينة دمشق عاصمة للحلف العشري في القرن الثاني بعد الميلاد ٠ ويقول بليني كانت عضوية الحلف متقلبة ولم يكن المنضوون في الحلف عشر مدن دائماً ٠ انظر : جونز : مدن بلاد الشام ، ترجمة احسان عباس ، ط١ ، عمان " دار الشروق " ١٩٨٧م ، ص٤٠،٦٦،١٠٠-١٠١- لويس مخلوف: المرجع السابق ، ص١٠ ، ١٥،٢٢ ٠ (الترجمة العربية)

[3] ورد في رسالة القديس بولس إلى أهل فيليبي ما يلي : "أيها الأخوة لا أحسب أني قد أدركت لكن أمراً واحداً اجتهد فيه وهو أن أنس ما ورائي وأمتد إلى ما أمامي" . رسالة بولس ، ٣ : ١٣ .

[4] يقصد بذلك القاء الرعب في قلوب المسلمين ٠

من الأعداء والاثنين كانوا يواجهون عشرة آلاف [1]. وهكذا لم يكن لديهم أمل في شجاعتهم وعددهم ، ولكن كان يحدوهم الأمل على عناية الله لهم ، وكانوا دائماً يحملون شعار الصليب[2] المنقذ في المعارك ، فكانوا تارة يشتتون الأعداء وتارة أخرى يقتلونهم ويأسرون عدداً آخر، لقد أخذوا أقوى المدن والقلاع المحصنة ، لأجل المسيح كما استحوذوا على الأرض المقدسة من قبضة المسلمين بشجاعة ونجاح .

الفصل الثاني والعشرون :

مكث الفرنجة الصليبيون ، في مستهل، حملتهم أمام مدينة يافا [3]على شاطئ

---

[1] يبدو أن هذا الكلام من قبيل المبالغة فلا يعقل أن فارساً يستطيع محاربة ألف وربما كان الهدف من ذلك هو تشجيع الفرنجة على القدوم إلى الأراضي المقدسة ومحاربة المسلمين ٠ (الترجمة العربية)

[2] لم يكن الصليب في يوم من الايام رمزاً للقتل وسفك الدماء وإنما كان رمزاً للمحبة والسلام ٠ (الترجمة العربية)

[3] يافا : شيدت المدينة على التلة القائمة أمام الميناء ، ويافا أحدى المدن العربية الكنعانية القديمة، واسمها تحريف لكلمة يافي Yafi الكنعانية بمعنى جميل ٠ وقد ذكرت المدينة في النقوش المصرية القديمة باسم يابو Yapu وآبو Iapu ، ووردت في النقوش أشوري باسم يا آب بو Ya-Ap-Pu ٠ وسميت في العهد اليوناني بإسم يوبا Yoppa ، إلا أن البعض يذكر أنها مشتقة من " يوبي " بنت ايلوس اله الريح عند اليونان ٠ ويرد اسم المدينة في بعض المؤلفات جوبا Joppa وهو قريب من التسمية اليونانية ٠ وقد تعرضت يافا للتدمير مرتين على يد الجيش الروماني ، واعيد بناؤها بأمر الامبراطور الروماني فاسبسيانوس ٠ انظر : مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين ، جـ٢ ، ق٢ ، ط١ ، بيروت ١٩٧٢م ، ص ٩٧-٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ - جونز : مدن بلاد الشام ، ص٩٥ ٠ وقد زار المقدسي البشاري مدينة يافا ووصفها بأنها " تقع على ساحل البحر ، ولكنها بلدة صغيرة ، رغم أنها كانت مركز تجارة فلسطين وميناء الرملة ، يحميها سور منيع له أبواب حديدية على البر والبحر ، مسجدها جميل يشرف على البحر وميناؤها أحسن الموانئ " انظر : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن " مطبعة بريل " ١٩٠٦م ، ص ١٧٤ ٠ ووصفها ابو الفداء بأنها : " بلدة جميلة وصغيرة تقع على ساحل البحر ، لها ميناء هام وهي محصنة جداً ، أسواقها مقتضه بالتجارة والتجار ٠ وتتم فيها كثير من الصفقات التجارية ، =

البحر، واقتحموها بعد هجوم مباغت [1]، حتى يمكن لهؤلاء القادمين فيما وراء البحر مساعدة المسيحيين على أن يكون لهم ميناءٌ لسفنهم كي ترسو أسفل أسوار المدينة سالفة الذكر . وتقع الرملة [2] ، التي يسميها بعضهم راماثا ، في سهل كبير ، وعلاوة على ذلك ، كانت في أحد الأيام مدينة مشهورة ، مكتظة السكان ، ومحاطة بسور حجري ، ومحصنة بأبراج مرتفعة ؛ وتقع حيفا [3]التي تحمل اسماً آخر هو بورفيريا ، على شاطئ البحر عند

= ميناؤها واسع تقصده السفن الاتيةإلى فلسطين ومنه تتجه السفن إلى جميع الجهات . انظر : تقويم البلدان، نشره رينو وديسلان ، باريس " دار الطباعة السلطانية " ١٨٤٠م ، ص٢٣٩ . وقد استولىالفرنجة الصليبيون على يافا عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ بدون قتال ، وهي أول مدينة فلسطينية تخضع لسيطرتهم . انظر أيضاً : ابراهيم سعيد : يافا ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة، الاسكندرية ١٩٩١م ، ص ٤١ ، ٥١ . (الترجمة العربية)

[1] يذكر يعقوب القتيري أن مدينة يافا سقطت بيد الفرنجة الصليبيين بعد تعرضها لهجوم مفاجئ ، وأعتقد أنه ابتعد عن الحقيقة في هذه القضية ، لأن المدينة كانت خاوية من سكانها فضلاً عن أنها كانت مدمرة ولم يبق منها إلا جزء بسيط باستثناء برج واحد سليم في قلعة دمرت تدميراً شديداً
Cf. Raimundus d'Aguilers, Historia Fraucorum qui Ceperunt Iherusalem , ed. R.H.C.H. Occ. tome III, Paris 1866 , P. 249 . انظرأيضاً: ابراهيم سعيد : المرجع السابق ص ٥٢ .

[2] الرملة : احدى المدن الفلسطينية الشهيرة ،أسسها المسلمون زمن سليمان بن عبد الملك وقيل في تسميتها رأيان : الاول : نسبة إلى امرأة تدعى رملة كانت تقطن في المكان وأكرمت سليمان وحاشيته واكراماً لها قام بتشيد هذه المدينة أما الرأي الثاني : فيشير إلى أن المدينة سميت بهذا الاسم نسبة إلى كثرة الرمال المتواجدة في المنطقة . أنظر : البلاذري : فتوح البلدان جـ١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة " مكتبة النهضة المصرية " ١٩٥٧م ، ص١٧٠ ، انظر أيضاً:صادق احمد جودة : مدينة الرملة منذ نشئتها حتى عام ٤٩٢هـ /١٠٩٩م، ط١ ، عمان " دار عمار " ١٩٨٦م ، ص٣٠-٣١ . وقد تعرض المقدسي البشاري لمدينة الرملة بقوله : " انها قصبة فلسطين بهية حسنت البناء خفيفة الماء مرية واسعة الفواكه ، جامعة الاضداد بين رساتيق جليلة ومشاهد فاضلة وقرى نفيسة ... ... ذات فنادق رشيقة وحمامات انيقة وأطعمة نظيفة . انظر : أحسن التقاسيم ، ص١٦٤ . (الترجمة العربية)

[3] حيفا (بورفيريا) : إحدى المدن الفلسطينية الشهيرة وقد وصفها الرحالة ناصر خسرو =

بداية سفح جبل الكرمل[1]، على بعد أربعة أميال من عكا ؛ وتقع مدينة طبرية [2]على

= بأنها : " مدينة على ساحل البحر وبها أشجار ونخيل "•انظر : سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ م ، ص ١٨ – وذكرها ياقوت الحموي بأنها حصن على ساحل الشام قرب مدينة يافا • انظر : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٣٣٢ – وقد ازدهرت حيفا حتى أصبحت من الموانئ العظيمة التي طمع الفرنجة في الاستيلاء عليها ونجحوا في ذلك عام ١١٠٠م بقيادة الامير تانكرد • انظر: محمود العابدي : الاثار الاسلامية في فلسطين والاردن ، عمان ١٩٧٣م، ص ٣٧ • (الترجمة العربية)

[1] جبل الكرمل : يقع بين مدينة حيفا والجزء الشمالي من سلسلة جبال نابلس ، ويمتد الجبل باتجاه شمالي غربي، وجنوبي شرقي • ويعتبر الكرمل أصغر السلاسل الجبلية في هذه المنطقة ، ولا يزيد ارتفاع أعلى قممه عن خمسمائة وستة وأربعين متراً • انظر : قسطنطين خمّار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩م ، ص٩٧ • ويبعد جبل الكرمل عن عكا نحو ثلاثة أميال ، ولا يبعد عن البحر مسافة كبيرة وتغطي قمته الاعشاب والاماكن الجميلة • وكان يوجد على الجبل دير فائق الجمال بني على شرف القديسة مريم • وقد ظهرت جماعة رهبانية زمن الحروب الفرنجية الصليبية نسبت إلى جبل الكرمل وعرفت باسم " جماعة الرهبان الكرمليين " •انظر : سعيد البيشاوي : الممتلكات الكنسية ، ص ١٩٠ ، هامش ٣ • (الترجمة العربية)

[2] طبرية : هي احدى المدن الفلسطينية الشهيرة ، ويرجع تأسيسها إلى أيام الكنعانيين ، وقد عرفت باسماء مختلفة منها " رقة " الكنعانية • بمعنى الأرض المنبسطة الواقعة إلى جانب الوادي، وجمعها رقاق ، بمعنى الأرض اللينة التراب وذكرت في التلموذ باسم ركات • أما اسم طبرية فهو نسبة إلى الامبراطور الروماني طيباريوس الذي عهد إلى هيرود انتباس باعادة بناء المدينة مكان المباني الكنعانية القديمة • انظر : المقدسي : أحسن التقاسيم : ص١٦١ – سامي الأحمد : تاريخ فلسطين القديم ، بغداد " مركز الدراسات الفلسطينية ١٩٧٩م ، ص٥١ – انظر ايضاً : فؤاد دويكات : طبرية ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، اربد ١٩٩٦م ، ص٣-٤ • وتعتبر هذه الدراسة من الدراسات الممتازة عن طبرية خلال الفترة موضوع البحث ، ولا غنى للباحثين في الفترة الفرنجية الصليبية من الرجوع اليها • (الترجمة العربية)

شاطئ بحيرة جينساريت [1]في (اقليم) الجليل ، التي دعيت بحيرة طبرية ، طبقاً (لاسم) المدينة نفسها، ويدعى عموماً بحر الجليل ، وجميع تلك الأماكن استولى عليها شعبنا ، بقيادة الدوق جودفري [2]، في السنة الأولى بعد الاستيلاء على بيت المقدس [3].

---

[1] بحيرة جنساريت : هذه التسمية من الاسماء التي وردت في التوراه ، وقد سميت كذلك بعد أن تغير اسم بلدة كنروت إلى جنساريت ، وقد حملت البحيرة عدة أسماء أقدمها(بحيرة الجرجاشيين) نسبة إلى القبيلة الكنعانية التي سكنت هذه المنطقة منذ فجر التاريخ . ثم دعيت باسم بحيرة (كنّاره) أو بحيرة كنروت نسبة إلى بلدة كنعانية يرجح أن موقعها كان في تل العريمة في ظاهر خان المنية الشمالي . وذكرت هذه البحيرة في العهد الجديد باسم بحر الجليل ، وبعد انشاء مدينة طبرية على شرف القيصر الروماني طيباريوس نسبت إليها البحيرة وما زالت تحمل هذا الاسم حتى وقتنا الحاضر . وبحيرة طبرية تشبه الكمثرى في شكلها ،ويبلغ طولها ٢١ كليو متر وأوسع عرض لها ١٢ كليو متر ، وتبلغ مساحتها ١٦٥كم٢ . وقد اشتهرت بسمكها الجيد منذ أقدم الازمان . ويوجد عند نهايتها الجنوبية حمامات طبية وعديد من الاثار ، وتنمو هناك أشجار النخيل الكبيرة وكروم العنب واشجار الزيتون ، وتمتاز تربتها بخصوبتها العالية . انظر : يوشع ١٢ : ١٣ ، التثنية ٣ : ١٧ ، بورشارد : وصف الارض المقدسة ، ص٩٠-٩٥ ، مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ١ ، ق١ ، ط١ بيروت ١٩٦٥ ، ص٦٩ . (الترجمة العربية)

[2] جودفري البويوني : هو ابن الكونت يوستاش ، وكانت ولادته إذا تنتمي لعائلة عريقة النسب في الغرب . وكان دوق اللورين بدون أولاد ، فتبنى ابن اخته جودفري ليكون ابناً له ، وفي حالة وفاته فإن جودفري يتولى عرش الدوقية ، ومن خلال ذلك عرف الامير جودفري البويوني بدوق اللورين السفلى . وتجدر الاشارة إلى أن جودفري استولى على بيت المقدس عام ١٠٩٩م وكان أول حاكماً لها تحت اسم حامي القبر المقدس/ورفض أن يتوج ملكاً في مكان لبس فيه السيد المسيح (عليه السلام) تاجاً من الشوك .

Cf . William of Tyre , Vol . 1 , PP . 385 - 386 - Cf. also : Besant , W., and Palmar, E.H., P .213 - Archer and Kingsford , The Crusades :" The story of the latin Kingdom of Jerusalem,s London 1914 , P.93 - Grousset , R., Histoire des Croisades, vol .1., Paris 1948., P.169 .

[3] استولى الفرنجة على بيت المقدس في ١٥ يولية " تموز " عام ١٠٩٩م . (الترجمة العربية)

الفصل الثالث والعشرون :

توفي (الدوق جودفري) في أواخر تلك السنة[1]، لكن أخاه بلدوين (الأول) ، الذي تدرب على القتال منذ طفولته ، كان فارساً شجاعاً في الحرب، وقد انتخب بالاجماع ليحكم ويصبح ملكاً . وكان (بلدوين) رجل حرب ، حكيماً وحريصاً في إدارة شؤونه ، كما كان يرغب بتوسيع حدود مملكته الصغيرة بحماس . وقد استولى بمساعدة الجنوية – الذين رسا أسطولهم في ميناء يافا في بداية فصل الربيع – على بلدة أرسوف[2] الساحلية ، التي تدعى انتباتريس [3]، نسبة إلى انتباتر والد هيرود ؛ وهي تقع بين يافا وقيسارية [4]، في مكان

---

[1] المقصود هنا عام ١١٠٠م ، ولكن جودفري لم يمت في أواخر السنة وإنما في ١٨ يوليه ١١٠٠م .

[2] أرسوف : مدينة عريقة في فلسطين ، تقع على بعد ثلاثة فراسخ (ثلاثة أميال =٧٣٢و١٦ كم) جنوب قيسارية وكانت تدعى باسم أبوللونيا Apollonia في العهد اليوناني ، ولعل ذلك يرجع إلى تأثير الثقافة الهلينية . أما الإسم أرسوف فيرجع في أصله إلى الإله السامي (رسف) الذي كان نظيراً للاله اليوناني (أبوللو) . وكانت مدينة أرسوف تسمى عند الفتح العربي باسم صوزوسا Sozusa . وفي العصر الفرنجي الصليبي كانت إمارة إقطاعية منحها الملك الصليبي لأحد أتباعه، وبعد ذلك سيطر عليها فرسان الاسبتارية ، وكانوا يدفعون لسيدها الإقطاعي وورثته مبلغ ٣٨ بيزنط ذهبي في السنة ، مقابل التمتع بخيرات أرسوف . انظر : جونز : مدن بلاد الشام ، ص١٢،١٤ –١٥ بورشارد : من دير جبل صهيون : وصف الارض المقدسة ، ص١٦١ –١٦٢ وتعرض المقدسي البشاري لذكر مدينة أرسوف ووصفها بأنها تشبه مدينة يافا وكنها أصغر منها ، وكانت من المدن الحصينة الآهلة بالسكان . أنظر : أحسن التقاسيم ، ص١٧٤– انظر ايضاً : لي سترانج : فلسطين في العهد الاسلامي ، ص٣١٨ .

[3] انتيباترس : هي رأس العين وليس مدينة أرسوف وقد أخطأ معظم الرحالة الاوروبيين في تسميته ارسوف برأس العين . انظر : بورشارد من دير جبل صهيون . وصف الأرض المقدسة ، ص١٦٢ .

[4] قيسارية : كانت احدى المدن الفلسطينية الشهيرة ، وجعلها الرومان عاصمة لفلسطين الأولى ، وعرفت في بداية أمرها باسم مدينة دور Dor ، كما حملت اسماً آخر هو برج استراتو ، وقام هيرود باعادة بنائها وسماها قيسارية . وهي تبعد عن عكا بحوالي ٢١ ميلاً (سبعة فراسخ) وعن قلعة الحجاج ١٥ ميل (خمسة فراسخ). وتشتهر قيسارية بأرضها الخصبة ومياهها =

جميل تكتنفه الغابات الكثيفة الخصبة ذات المروج العشبية .

الفصل الرابع والعشرون :

قام (الملك) بلدوين (الأول) بعد ذلك بمحاصرة قيسارية فلسطين بحراً وبراً ، واستولى عليها [1] بمساعدة الجنوية سالفي الذكر ، وكانت قيسارية تدعى قبل ذلك باسم برج ستراتو . وقام هيرود الذي ذبح الأطفال باعادة بنائها على شرف قيصر ؛ وهي تقع قرب شاطئ البحر ، ولكنها لم تكن تمتلك ميناءً ملائماً ، في حين تكثر فيها الحدائق والمراعي والمياه الجارية . وتعد (قيسارية) المدينة الرئيسة في فلسطين الثانية [2]. فقد احتجز فيها القديس بولس الحواري فترة طويلة ، وقدم طلباً من أجل نقله إلى روما .

الفصل الخامس والعشرون :

وقاد الملك بلدوين جيشه المحتشد بعد الاستيلاء على قيسارية (بحوالي ثلاث

= الغزيرة ، وحاصلاتها الوفيرة ، وخاصة النخيل والنارنج الحمضيات • وقد شيدت حولها الاسوار القوية لحمايتها ، وكان لها باب حديدي ومسجدها الجامع جميلٌ وهو يقع في أحسن بقعة من المدينة • وقد دمرت المدينة على يد الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ولم يبق منها سوى آثار • انظر : المقدسي البشاري : أحسن التقاسيم ، ص١٧٤- ناصر خسرو : سفرنامة، ترجمة وتعليق د• يحيى الخشاب ، ط١ ، القاهرة ، ص٥٤ - بورشارد : وصف الارض المقدسة ، ص٣٥-٣٦ ، ١٦١-١٦٢ - انظر أيضاً : لي سترانج: فلسطين في العهد الاسلامي ، ص٤٤٧-٤٤٨ ، جونز مدن بلاد الشام ، ص١٢ ، ١٤-١٥،٦٠ •

(1) استولى الفرنجة بقيادة الملك بلدوين الأول على قيسارية في ١٧ مايو (ايار) ١١٠١م /١٦ رجب سنة ٤٩٤هـ ، وقد ارتكبوا مذبحة ضد سكان المدينة ونهبوا كل ما فيها • انظر : ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جـ١٠ ، بيروت ١٩٦٦م ، ص٣٢٥ -ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ٥ ، القاهرة " دار الكتب " ١٩٦٣م ، ص٦٨٢ •

Cf.Fulcher of Charters,A History of the Expedition to Jerusalem , trans . by Frances Rita Ryan (Sisters of st , Joseph) . Edited with an introduction by Harold's Fink) Konuville , U.S.A. 1969 P.152

(2) أخطأ المؤلف في جعل قيسارية عاصمة لفلسطين الثانية ، لأنها كانت عاصمة لفلسطين الأولى بينما كانت بيسان عاصمة لفلسطين الثانية •

سنوات) من مهمة صغيرة إلى مهمة أكبر ، وشرع بحصار مدينة عكا ، لأنها أنسب مكان لاستقبال الحجاج ، فهي تمتلك ميناءً جيداً ، يهيء ملاذاً آمناً للسفن . وهاجم الجنوية المدينة من البحر بسبعين سفينة ذات مجاذيف (شيني)[1]، في حين قام جماعتنا بالضغط بصلابة ودون انقطاع من ناحية البر ، ولم يستطع سكان المدينة تحمل الهجوم المتكرر والعنيف لمدة عشرين يوماً فقاموا بتسليم المدينة للملك شريطة أن يسمح لهم بمغادرتها مع متاعهم . وكان للمدينة سالفة الذكر اسمان، أحدهما بتوليمياس والآخر عكا ، ويرجع ذلك لأخوين اثنين ، كان أحدهما يدعى بتوليمي ، والآخر عكون ، ويقال إن هذين الأخوين هما اللذان قاما بانشائها ، ولذلك سميت المدينة نسبة اليهما . وهي تقع بين البحر والجبال ومشيدة في موقع مناسب على ضفة نهر بيلوس، ويوجد في المدينة كثير من الحدائق وكروم العنب ، ويحيط بها كثير من القرى والأراضي الزراعية ، وهي تقع في مقاطعة فينيقيا ، وكانت مدينة صور عاصمة لها .

الفصل السادس والعشرون :

قام شعبنا بعد ذلك بحصار مدينة بيروت بحراً وبراً،يساعدهم برترام كونت طرابلس الشهير[2]،وبعد حصار استمر شهرين،تم احضار أبراج خشبية وضعت على الأسوار بوساطة سلالم،واستطاع شعبنا دخول المدينة[3]، وقاموا بقتل عدد كبير من سكانها،

---

[1] اصطلح على تسمية هذا النوع من السفن باسم الشواني ومفردها شيني .

[2] عندما وصل الملك بلدوين الأول أمام بيروت ، استدعى اليه برترام ، طالباً منه الانضمام اليه ، وشرعا في الحال في الاطباق عليها اطباقاً عنيفاً . أنظر : وليم الصوري ، جـ٢ ، ص ٢٨٨ .

[3] تم الاستيلاء على بيروت في الثالث عشر من مايو (آيار) ١١١٠ م/ الحادي والعشرين من شوال سنة ٥٠٣هـ . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت " مطبعة الاباء اليسوعيين ١٩٠٨م، ص ٢٦٩ – سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ٨، ق١ ، حيدر آباد الدكن ١٩٥١-١٩٥٢م ، ص٣٠ – سعيد البيشاوي : الممتلكات الكنيسة ، ص ٧٦ . ذكر المؤرخ اللاتيني ألبرت دكس أن سقوط بيروت كان في السابع والعشرين من مايو (آيار) ١١١٠ م / السادس من ذي القعدة سنة ٥٠٤هـ .

Cf.Albert d'Aix , Historia Hierosolymitana,ed. R.H.C.-H.Occ. tome IV,Paris 1879, P. 671. cf . also : Grousset, R.,vol. I, P.255 .

كما ألقوا القبض على كثير منهم وأودعوهم السجن. وتقع مدينة بيروت على شاطئ البحر بين صيدا وجبيل[1]في مقاطعة فينيقيا التي كانت مدينة صور عاصمة لها، وهي مدينة خصبة وجميلة تكثر فيها أشجار الفاكهة والغابات وكروم العنب. وهنا حدث ذات مرة أن قام اليهود بصلب هيكل من الخشب سخرية من (السيد) المسيح،وعندما طعن الهيكل بالمسامير وبالرمح نزل الدم بشكل غزير[2]من الهيكل الخشبي. وقام جميع اليهود،في المدينة ، عند رؤية تلك المعجزة ، بعمل القربان المقدس لأجل التعميد .

الفصل السابع والعشرون :

ولم يكن الملك بلدوين كسولاً خاملاً في السنة التي تم فيها الاستيلاء على بيروت [3] ، ولم يُمنَحْ فضل المسيح عبثا ، فقد قام بضم مدينة صيدا تحت سيطرته بيد قوية وذراع ممدودة ، مجبراً السكان الذين لم يستطيعوا مقاومته أن يُسَلمُوا المدينة له . وتقع صيدا في مقاطعة فينيقيا على شاطئ البحر بين صور – المدينة الرئيسة – وبيروت، وفيها أشجار الفاكهة وكروم العنب ، والغابات ، والبساتين ، وحقول للرعي ، وأخرى للحراثة ، والزراعة حيث كان السكان يستفيدون منها. وتلطف السيد المسيح شخصياً بزيارة حدودها " ومن هناك خرج المسيح وانصرف إلى نواحي صور وصيدا "[4]. ويقول سليمان لحيرام: " لأنك تعلمُ أن ليس فينا من يعرف بقطع الأشجار مثل الصيدونيين" [5].

الفصل الثامن والعشرون :

وبعد أن وسع الملك (بلدوين الأول) حدود مملكته في الجانب الغربي كما سبق

---

[1] ذكرها يعقوب الفيتري بيبليوم Bibelum .

[2] بورشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص ٤٩ .

[3] استولى الملك بلدوين الأول علىصيدا في الرابع من ديسمبر ١١١٠م/ العشرين من جمادى الأول سنة ٥٠٤ هـ . أنظر : ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٤ – سعيدالبيشاوي: الممتلكات ، ص٦٧
Fulcher of Chartres, op.cit.,p.200-Richard, J.,The Latin Kingdom,vol. 1 ,p.26

[4] متى ١٤ : ٣٤ .

[5] الملوك الثاني ٥ : ٦

وأسلفنا ، رغب الآن بتوسيع المملكة المسيحية إلى الشرق فيما وراء نهر الأردن فقام ببناء قلعة قوية جداً على جبل مرتفع في منطقة العربية الثالثة التي تدعى سوريا صوبال (زوبال) ، وأطلق على هذه القلعة مونتريال [1] (الجبل الملكي) ، لأنها شيدت من قبل الملك، وهذه المنطقة غنية بالحنطة ، والنبيذ ، والزيت ، ويعجب بها الناس لجمالها ومناخها الصحي، وتمتد سيطرتها على الريف الواقع حولها حتى حدود مواب ومياه سترايف .

الفصل التاسع والعشرون :

وتوفي الملك بلدوين طيب الذكر في الحرب نفسها ، بعد أن قام ببناء حصن في مكان بين بتوليمياس (عكا) وصور ، ويدعى المكان عموماً باسم اسكنداليون (اسكندرونة) ويبعد عن صور مسافة خمسة أميال ، ويمتاز بمياهه الجيدة . ودفن (الملك بلدوين) عند سفح جبل الجمجمه في مكان يدعى جلجثه بكل مظاهر التشريف بما يتفق مع عظمته الملكية . وكان وريثه رجلاً نبيلاً شجاعاً ، متمرساً في الحروب متديناً يخاف الله، واسمه بلدوين دي بورج من مملكة فرنسا ، وكان من أقارب الملك سالف الذكر .

الفصل الثلاثون :

قد يستغرق الأمر طويلاً ، ويمكن القول إنه ليس بمقدرتي أن أبين بأي نوع من القوة والعظمة والعبقرية والعمل استطاع الرجل سالف الذكر وآخرون من جنود المسيح أن

---

[1] قلعة مونتريال : تعرف باسم قلعة الشوبك ،وقد شيدها الملك بلدوين الأول سنة ١١١٥م ، لأنه لم يكن لدى الفرنجة قلعة فيما وراء نهر الاردن . وقد شيدت القلعة في موقعٍ مرتفعٍ مناسب ، واكتسبت حصانتها من خلال موقعها الطبيعي وما اقامه الانسان من وسائل اصطناعية ، وتم تحصين الموقع بالاسوار والابراج والاسوار الامامية فضلاً عن اقامة خندق يحمي القلعة . وبما أن مؤسسها كان ملكاً ، فقد وهبها اسماً مشتقاً من منزلته الملكية وسماها مونتريال بمعنى الجبل الملكي

Cf . William of Tyre , op . cit , Vol . 1 . Ch 26, p. 506

انظر أيضاً : لويس مخلوف : المرجع السابق ، ص ٢٣٦-٢٣٧ . (الترجمة العربية)

يقدموا أنفسهم في كل مناسبة مثل الجنس الثاني من المكابيين ، وكرسوا أنفسهم لخدمة الرب في توسيع المملكة ، وحدود المسيحية ، وفي مهاجمة المسلمين [1]، والاستيلاء على المدن والاماكن الاخرى المنيعة بالقوة • وسوف تروى معاركهم وانتصاراتهم في جميع كنائس القديسين حتى نهاية العالم • دعنا نتحدث قليلاً وباختصار عن الامارات النبيلة الأربعة ، التي بقيت في حوزة المسلمين [2] ثم عادت لسيطرة كنيسة المسيح بمساعدة الرب• أول هذه (الامارات) هي امارة الرها في منطقة ميديا • وتبدأ هذه الامارة عند غابة تدعى ماريث [3]، وتصل إلى نهر الفرات باتجاه الشرق ، وتشتمل على مدن وقلاع كثيرة وأماكن منيعة •

الفصل الحادي والثلاثون :

فالرها مدينة مشهورة ، وهي عاصمة ميديا ؛ وكما نقرأ في سفر طوبيا ، فإن اسمها القديم كان راجيس [4] ، وتدعى الآن رواس بصفة عام • ومن هناك كان طوبيا قد

---

[1] ذكر المؤلف أن الفرنجة الصليبيين كرسوا حياتهم وأنفسهم لمهاجمة الاعداء والاستيلاء على مدنهم وهو يقصد بذلك المسلمين الذين كانوا يعيشون في بلادهم في أمن واستقرار حتى جاء الفرنجة واستولوا على جزءٍ من أراضي المسلمين دون وجه حق ، ولكن من خلال عمليات القتل والسلب والنهب والتشريد ، الأمر الذي أدى إلى وحدة المسلمين من أجل استعادة بلادهم من أيدي الفرنجة الصليبيين الغاصبين • (الترجمة العربية)

[2] وصفهم يعقوب القتيري بالكفار الغادرين ، وهذه الصفة بعيدة جداً عن المسلمين ، لأنهم موحدين بالله ، ولم يعرف عنهم أنهم اشتهروا بالغدر • ولعل المؤلف يطلق عليهم مثل هذه الالفاظ من خلال حقده على الإسلام والمسلمين ، فهو الذي قاد الحملة الصليبية على دمياط •

[3] ربما المقصود هنا مرعش Marash •

[4] ذكرت راجيس بأنها مدينة الماديين• طوبيا ٤:٢١ •وتعرف الرها ايضا باسم كاليرهو Callirrhoe ، ولذلك فإن اسمها الارمني " الرها " واسمها اللاتيني رواس Roasse واسمها التركي اورفه •

Cf. Ludolph von Suchem's,Description of the Holy Land ,trans. form the original latin by Aubery Stewart , London 1885 ,P.81 . Note- Marino Sanutos , Secrets for true Crusaders to Help them to Recover the holy land , Trans. By Aubrey Stewart . London 1896 , p.1 .

أرسل ابنه إلى جبيل من مدينة نينوى ، التي تدعى الموصل في الوقت الحاضر ، أو موص الاسم المألوف للعامة • وتحولت هذه المدينة إلى المسيحية بوساطة ثاديوس الحواري [1]من خلال وعظه ومعجزاته ، وفي هذه المدينة دفن جثمانه الطاهر • ويقال إن الملك ابجاروس [2]حكم هنا زمن المسيح (عليه السلام) ، وفقاً للمصادر التاريخية المختلفة والتاريخ الكنسي • وعند سماعه عن أعمال المسيح ومعجزاته المدهشة،التي كان يقوم بها في بلدانية القدس [3]، أرسل (الملك ابجاروس) رسالة إلى المسيح [4]الذي تلطف وكتب له رسالة جوابية [5]• لقد كانت هذه المدينة الشهيرة تتبع الكونت بلدوين (الأول) شقيق

---

[1] ثاديوس الحواري : ذكره يوسابيوس القيصري باسم تداوس الرسول ، وهو أحد السبعين ، ولما ذاع خبره قيل لأبجاروس إن أحد رسل يسوع أتى ، وعندئذ بدأ تداوس يشفي كل مرض وكل ضعف بقوة الله • وقد عالج ابجاروس بدون داء أو عقاقير • انظر : التاريخ الكنسي فصل ١٣ ، صفحة ٥٧-٥٨
Cf. also : William of Tyre, vol. 1,Book 4, ch. 2,p.189.

[2] أبجاروس " أبجارا " كان ملكاً فيما وراء نهر الفرات ، وعلى وجه الخصوص في منطقة ميديا، وقد اصيب هذا الملك بمرض عجزت عن شفائه كل حكمة بشرية ، وسمع باسم يسوع ومعجزاته التي شهد بها الجميع بلا استثناء ، وأرسل اليه رسالة مع مخصوص ورجاه أن يشفيه من مرضه • انظر : يوسابيوس القيصري : المصدر السابق ، فصل ١٣ ، ص٥٦ •

[3] وردت في المتن منطقة اليهودية Judaea

[4] أرسل الملك أبجاروس رسالة إلى السيد المسيح جاء فيها " السلام من أبجارا حاكم أدسا إلى يسوع المخلص السامي الذي ظهر في مملكة أورشليم • لقد سمعت أنباءك وأنباء آيات الشفاء التي صنعتها بدون أدوية أو عقاقير ، لأنه يقال أنك تجعل العمي يبصرون والعرج يمشون ، وأنك تطهر البرص وتخرج الارواح النجسة وتشفي المصابين بأمراض مستعصية وتقيم الموتى "• انظر : يوسابيوس القيصري : المصدر السابق ، فصل ١٣ ص٥٦ • (الترجمة العربية)

[5] أرسل له السيد المسيح رسالة يقول فيها " طوباك يا منْ آمنت بي دون أن تراني ••• " انظر: يوسابيوس القيصري : المصدر السابق ، فصل ١٣ ، ص٥٧ •
Cf. William of Tyre, vol. 1 . Book 4 , ch. 2 . P . 189 .

الدوق جودفري قبل استدعائه إلى مملكة بيت المقدس • وقام بلدوين ، والذين خلفوه ، بطرد المسلمين [١] ، وجعلوا جميع مناطق الرها تحت سيطرتهم • ويمتاز هذا الاقليم بكثرة الغابات والمراعي والأنهار • وهذه البلاد لها اسم خاص هو ميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين) لأنها تقع بين نهرين إذ أن كلمة ميزو Mesos في اللغة اليونانية تعني وسط midst ، في حين تعني كلمة بوتاموس Potamos نهر باللغة اليونانية • وتقع مدينة حران في هذه الأرض حيث عاش ابراهيم (عليه السلام) بعد خروجه من كلديا ، وقبل وصوله أرض الميعاد ، ولهذا الاقليم ثلاثة رؤساء أساقفة ، أحدهم لمنطقة الرها،والأخران لمنطقة جيروبوليس ومنطقة كوريكوس [٢]، وتتبع جميعها سلطة بطريرك أنطاكية•

الفصل الثاني والثلاثون :

أما الإمارة الثانية فهي إمارة انطاكية • وعاصمتها مدينة انطاكية [٣] ، وتقع حدودها الغربية عند طرسوس [٤] في قيليقيا مسقط رأس الحواري بولس ، وتصل حدودها الشرقية حتى نهر يجري بين فالينا (بانياس) [٥] أسفل قلعة المرقب وماراكليا ، وهي مدن

---

[١] ذكرهم باسم السراقفة •

[٢] Geropolitanum and Coriciensem .

[٣] انطاكية : احدى المدن الشامية الواقعة في لواء الاسكندرونة ، شيدها الملك سلوقس نيكاتور Seleucus Nicator (٣١٢ – ٢٨٠ ق•م) وقد أطلق عليها اسم انطاكية تكريماً لوالده أنطوخيوس وموقع المدينة منيع جداً ويحيط بها سور قوي ، ويوجد بظاهرها ينبوع ماء • انظر: بنيامين التطيلي : الرحلة ، ص٨٦–٨٧ •

[٤] وردت في المتن تاسوس Tassus

[٥] بانياس : هي أحدى المدن السورية الواقعة على طرف بحيرة الحولة وحد المنطقة الجبلية ، " وهي أرخى وأرفق من دمشق ، وإليها انتقل أهل الثغور لمّا أخذت طرطوس ، وزادوا فيها ، وهي كل يوم في زيادة ، لهم نهر شديد البرودة ، يخرج من تحت جبل الثلج وينبع وسط المدينة وهي خزانة دمشق ،رفقه بأهلها بين رساتيق جليلة غير أن ماءها ردئ •" انظر : المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٦٠ •

تقع على شاطئ البحر • والاسم القديم للمدينة هو ربلة كما نقرأ في كتاب الملوك بأن صدقيا ملك بيت المقدس أُحْضِرَ إلى نبوخذنصر ملك بابل في رَبْلَةَ [١]، وهناك قاموا بذبح ابناء الملك صدقيا على مرأى منه ، وبعدها قلعوا عينيه بامر من ملك بابل [٢] سالف الذكر• وتحول اسم المدينة بعد ذلك إلى انطاكية نسبة إلى الملك انطوخيوس ، الذي قام بتوسع المدينة بشكل كبير ، وجعلها المدينة الحاكمة على جميع الابرشيات في الشرق • وبعد أن انتقلت المدينة لسلطة المسيح من خلال وعظ ومعجزات القديس بولس رئيس الحواريين ، أول شخص اكتسب الهيبة الاسقفية هناك ؛ ودعيت المدينة ثيوفيليس ، نسبة إلى ثيوفيلوس، الذي كان رجلاً نبيلاً قوياً ، وعُيِّن بعد ذلك بمنصب الاسقف السابع [٣]. وهكذا بعد أن اكتسبت المدينة اسمها من ملك فاسد ، حازت اسمها الجديد من رجل قديس متدين، هو ثيوفيلوس الذي قام القديس لوقا البشير – الذي جاء من المدينة نفسها – بتكريس اعمال الحواريين له ، واكتسب أتباع المسيح في المدينة نفسها اسمهم المقدس لأول مرة على لسان المسيح نفسه ، وهكذا فإن هؤلاء الذين كانوا يُدْعَوْنَ سابقا بالجليليين (الطبريين) والحواريين ، اصبح اسمهم المسيحيين من هناك نسبة إلى اسم المسيح• ويحتل هذا المكان المنزلة الثالثة في كنيسة الرب بعد ابرشيه الحواريين • وللبطريرك هنا سلطة على عشرين أبرشية ، يوجد في أربع عشرة منها مطران ومساعد مطران • ويحكم كل أبرشية من الست

---

[١] الملوك الثاني ٢٥: ٦ • تقع مدينة ربلة على الضفة اليمنى لنهر الليطاني بين بعلبك وحمص ، وكانت مرتفعة عن النهر اكثر من انطاكية •

[٢] الملوك الثاني ٢٥: ٧ • ذكر كتاب العهد القديم أن جيوش الكلدانيين تتبعت الملك فأدركوه في برية أريحا وتفرقت جميع جيوشه عنه ، فأخذوا الملك وأصعدوه إلى ملك بابل إلى رَبلة وكلموه بالقضاء عليه ثم قتلوا ابناء صدقيا على مرأى منه وقلعوا عينيه وقيدوه بسلسلتين من نحاس وساقوه إلى بابل • الملوك الثاني ٢٥: ٥-٧ •

[٣] ثيوفيلوس : كان أحد قادة كنيسة انطاكية ، وذكره يوسابيوس القيصري بأنه (سادس اسقف على كنيسة أنطاكية منذ عهد الرسل) وقد وجد لهذا الاسقف ثلاثة مؤلفات أولية موجهة إلى أوتوليكوس ومؤلف آخر عنوانه :" ضد هرطقة هرموجينيس " • وقد ناضل ثيوفيلوس ضد الهراطقة • انظر : تاريخ الكنيسة ، ص ٢١٦ ، ٢٢٢-٢٢٣ • (الترجمة العربية)

الأخرى رئيس أساقفة بلقب كاثوليكوس (بطريرك الكنيسة) ، احدهم كان بطريرك هيرنيبوليس أو بلداخ [1] التي كانت تدعى ذات مرة بابل والآخر كان بطريرك آن ، الذي كان يسمى كبير أساقفة فارس . وتقع انطاكية في اقليم يدعى سوريا البقاع في موقع مناسب بين الجبال والأنهار ، وهي غنية جداً بالحقول الخصبة والتربة الجيدة ، وتُجملها الانهار وينابيع المياه ، وبالقرب منها توجد بحيرة غنية بالاسماك • وتبعد المدينة عن البحر مسافة تتراوح بين عشرة أميال واثني عشر ميلاً ، ولها ميناء عند مصب نهر الليطاني ، يدعى ميناء القديس سمعان [2]• ويوجد جبل في الشمال يدعى عامة باسم التل الاسود ، حيث يوجد عليه كثير من النساك من كل شعب وأمة وكثير من الاديرة للرهبان اليونان واللاتين• وهذا التل تزخر به مياه الينابيع والقنوات ويدعى جبل نيرو ، وهذا يعني كثير المياه ، إذ إن كلمة نيرو " Neros " اليونانية تعني الماء في اللغة اللاتينية • ولكن الجهلة من الناس يسمونها نوار " Noir " وتعني اسود في لغتهم الشائعة•

الفصل الثالث والثلاثون :

والإمارة الثالثة من الإمارات الأربع سالفة الذكر ، هي كونتية طرابلس [3]، وتبدأ عند الجدول الذي يجري أسفل قلعة المرقب ، وتنتهي عند الجدول الذي يجري بين جبيل [4] وبيروت ، وهي مدن واقعةٌ على شاطئ البحر • وتقع طرابلس في مكان جيد وموضع مناسب على شاطئ البحر في اقليم سوريا الفنيقية ، وهي مدينة غنية ومشهورة

---

[1] هيرنيبوليس Hirinopolis وذكرت ايضاً ايرنوبوليس Eirenopolis أما بلداخ فهي مدينة بغداد وقد ذكرت باسم مدينة السلام The Abode of Peace في كتابه الف ليلة وليلة The Arabian Nights .

[2] ميناء السويدية •

[3] طرابلس Tripolis : يتألف اسم المدينة من مقطعين " Tri " ، بمعنى ثلاث أو مثلث ، و " Polis " بمعنى مدينة ، ومن هنا فإن اسم المدينة يعني المدينة المثلثة • وطرابلس هي أحدى المدن الساحلية الواقعة على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وخضعت للفرنجة الذين أسسوا فيها إمارة صليبية عرفت باسم إمارة طرابلس •

[4] جبيل : ذكرها المؤلف باسم بيبليوم •

بأراضي الحنطة وأشجار الفاكهة والمراعي الخضراء ، وتروى بمياه الجداول والينابيع ، وتتمتع بكثير من المزايا من خلال مجاورتها لجبل لبنان وتلاله البعيدة ، ويظهر في تلك الأجزاء ، عند سفح جبل لبنان ، ينبوع جميل جداً من اصفى ، واعذب ، المياه ، تنساب مياهه من لبنان في ممر تحت الأرض، ويروى جميع حدائق البلاد بشكل غزير • ويقال إن هذا هو " بئرُ مياهٍ حيَّة [١] " الذي يشير إليه سليمان في كتاب العهد القديم • وتتدفق ينابيع المياه العذبة بغزارة بين أمواج البحر المالحة والمرة قرب هذه المدينة ، وتكثر هنا كروم العنب التي تحمل الثمار مرتين في السنة • وقد حوصرت هذه المدينة لمدة طويلة بعد الاستيلاء على بيت المقدس ، من قبل ريموند كونت تولوز ، وهو رجل جدير بالثناء في كل شيء ، كما أنه كان فارساً شجاعاً وعبداً ورعاً • وقد قام ببناء قلعة قرب المدينة ليتسنى له محاصرتها بشكل مناسب، وتعرف هذه القلعة باسم قلعة الحجاج حتى يومنا هذا، لأنها شيدت من قبل الحجاج • واكمل ابنه برترام الحصار بعد موته ، واستولى عليها بعد استسلام سكانها بعد سبع سنوات (من حصارها) ، ثم تسلّمها كاقطاعية من ملك بيت المقدس الذي كان حاضراً عند الاستيلاء عليها •

الفصل الرابع والثلاثون :

والإمارة الرابعة هي مملكة بيت المقدس ، التي تبدأ حدودها عند الجدول سالف الذكر الذي يجرى بين جبيل [٢]وبيروت ، وتنتهي عند البرية باتجاه مصر ، خلف قلعة داروم (دير البلح) • وتم الاستيلاء على بيت المقدس بجهد عظيم وسفك دماء لأجل السيد

---

[١] نشيد الانشاد ٤ : ١٥ • الجدول هو نهر قاديشا Kadishah •

[٢] جبيل : هي احدى المدن الشامية الواقعة على شاطئ البحر ، عرفها المسلمون باسم كوبنا Kupna ، وهي اسم غير سامي حوله الفينيقيون بعد السيطرة عليها إلى جبلة • واسم المدينة اليوناني بيبلوس الذي اصبح يعني كتاب • وذكر أحد الباحثين أن جبيل وردت بالوثائق المصرية تحت اسم جبلة وعند البابليين باسم جبيل Jebel والاسم الاخير هو اللفظة السامية لاسم المدينة •
Cf. Gardiner , Ensient Egyptian Onomastica , vol. 1 , Oxford 1927 , P. 132

المسيح [١] عليه السلام ، وتم استعادتها كلية من قبل أبطال الرب واصدقائه، الذين مكنوا أنفسهم بالقوة ، وامضوا سلاحهم ، وطردوا أعداءهم إخلاصاً ووفاء للمسيح من دان إلى بئر السبع، وأبعدوهم عن الأراضي المقدسة ٠

الفصل الخامس والثلاثون :

إن دان هي حدود أرض الميعاد [٢] شمالاً ، وهي مدينة قديمة عند سفح جبل لبنان، وهي (تقع) بين هذا الجبل ودمشق ، وكان اسمها القديم لَشَمَ ، لكن بعد أن استولى عليها أبناء دان تمت تسميتها بهذا الاسم ٠ وقام الحاكم فيليب بن هيرود الأكبر بعد ذلك بتوسيعها وتسميتها قيسارية فيليبي تكريماً للقيصر (الروماني) طيباريوس ٠ وسميت بانياس بالطريقة نفسها وتدعى الآن على لسان العامة بلنياس ٠ وتدعى الغابة المتصلة بالمدينة باسم بانياس ، وجميع هذه المنطقة ، وبقية الغابة الواقعة قرب جبل لبنان كانت تدعى قديماً باسم غابة لبنان٠

الفصل السادس والثلاثون :

وتشكل بئر السبع الحدود الجنوبية للأرض المقدسة ٠ وتوجد مدينة بئر السبع في ذلك الجزء من منطقة القدس التي سقطت بايدي قبيلة سمعان ، وهي تقع عند سفوح الجبال بين عسقلان والجبال عند بداية السهل ، على بعد عشرة أميال من عسقلان ٠ وقد فسرت بانها بئر المعاهدة أو معاهدة البئر ، لأن ابراهيم

---

[١] هذه ادعاءات الفرنجة الذين اتخذوا الدين ستاراً لتحقيق أطماعهم وأهوائهم الشخصية ٠

[٢] مصطلح أرض الميعاد من المصطلحات التي وردت في التوراه ، وتردد كثيراً في العصر الحديث ، واستغل لتحقيق مآرب سياسية ، وعسكرية ، واقتصادية على حساب سكان البلاد الاصليين ٠ ولا يعني إذا كتب الله لنا أن نزور أي بلد في أي بقعة في العالم أن يصبح هذا البلد ملكاً لنا وإذا اعتمدنا على الجانب التاريخي من خلال وعد الله سبحانه وتعالى لسيدنا ابراهيم عليه السلام بدخول هذه البلاد والاستقرار بها فلا يعني هذا أن هذه البلاد أصبحت ملكاً له بدليل أن سيدنا ابراهيم عندما توفيت زوجته ساره ، رضي الله عنها ، احتار في أي مكان يدفنها حتى منحه عفرون الحثي حاكم حبرون قطعة من الارض ليواري جثمان زوجته ٠

(عليه السلام)حفر بئراً في ذلك المكان كشاهد على المعاهدة التي أبرمها ابيمالك [1] ٠ وتدعى أيضاً بئر السبع [2]، وتسمى في ايامنا هذه باسم جبلين [3]٠

الفصل السابع والثلاثون :

انها لمهمة صعبة ، وليس في مقدوري أن أُبين الأعمال البطولية وتوسع حدود المملكة المسيحية التي قام بانجازها جنود المسيح الماجدون اصحاب الذكرى المباركة ، بمساعدة الرب وجنود المسيح هؤلاء وهبوا أنفسهم بشجاعة ، وقاتلوا لمدة طويلة تحت قيادة ملوك مختلفين ضد المسلمين ، واستولوا على جميع المدن والاماكن المنيعة من مدينة بلبيس التي تدعى بيلوسيوم وتقع في البرية عند حدود مصر ، وحتى الرها وحران وحدود منطقة الرها فيما وراء نهر الفرات في أرض الرافدين ٠ وفاز العديد منهم بشرف الشهادة النبيل ، وقاموا بتوسيع حدود مملكة بيت المقدس والمسيحية بإراقة دمائهم لهذا الغرض ، على حين استولوا على كثير من المدن والاماكن الحصينة ، ولم يتركوا مدينة على البحر ولا قلعة بين المدينة المسماه الفرما ، الواقعة على حدود مصر ، ومملكة بيت المقدس حتى اللاذقية في سوريا ، ولكنهم لم يستطيعوا اقامة السلطة المسيحية فيها ٠

الفصل الثامن والثلاثون :

وتعتبر الفرما [4] مدينة قديمة جداً ، تقع على شاطئ البحر ، ليس بعيداً عن مصب

---

[1] أبيمالك : من الشخصيات التي ورد ذكرها في التوراه ويبدو أنه كان معاصراً لسيدنا ابراهيم عليه السلام وابنه اسحاق ٠ ويشير بعضهم إلى أن اسم ابيمالك كان لقباً لأحد الملوك الفلسطينيين٠

[2] أخطأ يعقوب القتيري عندما جعل مدينة بئر السبع في موقع مدينة بيت جبرين مما يشير إلى أنه كان يجهل جغرافية فلسطين ومعرفة أسماء مدنها ٠ (الترجمة العربية)

[3] جبلين : يطلق هذا الأسم على مدينة بيت جبرين ٠

[4] الفرما : احدى المدن المصرية القديمة وهي تشتمل على أثار كثيرة عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة ٠ وهناك من يقول أن الفرما كانت تشتهر بزراعة النخيل التي كانت تثمر أشجاره حين ينقطع البسر والرطب من جميع البلاد ٠ انظر : كتاب الاستبصار في عجائب =

نهر النيل ، حيث يدخل الانسان إلى مصر • وقد استولى بلدوين الأول ، ملك بيت المقدس اللاتيني على هذه المدينة بالقوة ، وأخذ كثيراً من الاسرى والغنائم له ولأتباعه الجنود •

الفصل التاسع والثلاثون :

. وتوجد مدينة قديمه أخرى تدعى باسم لاريس [1]فيما وراء الفرما ، وهي تقع في البرية قرب شاطئ البحر ، وبالقرب منها تقع مدينة بلبيس [2]التي تسمى بيلوسيوم على بعد مسافة من شاطئ البحر واخضع شعبنا تلك المدن تحت سيطرته، على الرغم من أنها كانت تقع فيما وراء حدود مملكة بيت المقدس ، أي انها خلف أبعد حصن للمملكة تجاه مصر •

الفصل الأربعون :

وتعتبر الداروم بمثابة حامية أو بلدة تقع على الحدود بين ادوم وفلسطين على بعد خمس ستديات من البحر • وقام عموري ملك بيت المقدس ببناء هذه القلعة على مكان مرتفع ، وبشكل مستدير ، وأربعة ابراج • وكان يوجد في ذلك الموقع ذات مرة دير للرهبان اليونان ، وما زالت تحتفظ باسمها داروم ، الذي فسر بأنه بيت اليونان • وبعد ذلك

= الامصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ١٩٨٦م ، ص ٨٩ •وذكرها المقدسي بأنها مدينة " آهلة عليها حصن ، ولها أسواق حسنة وهي في سبخة وماؤها مالح وحولها مصايد السلوى • " انظر : أحسن التقاسيم ص ١٩٥ • ويقول الهروي أن قبر جالنيوس الحكيم يقع في مدينة الفرما • انظر : الاشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق :جانين سورديل – طومين، دمشق ١٩٥٣م ، ص٣٤ • (الترجمة العربية)

[1]لاريس Laris : ربما تكون مدينة عين شمس أو رمسيس القديمة ، ويقال بأنها اسم مدينة فرعون بمصر ؛ بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ (٩ اميال) • بنيامين : الرحلة ، ص١٧٥ •

[2] تانيس : أحدى المدن المصرية المشهورة وهي " قصبة القرى والمزارع عامرة ، بنيانهم من طين والمشتول كثيرة الطواحين ومنها تحمل ميرة الحجاز من الدقيق والكعك "• انظر : المقدسي: احسن التقاسيم ، ص١٩٥ • (الترجمة العربية)

تأتي غزة[1]، وهي مدينة قديمة جداً ، على بعد اربع ستديات من القلعة سالفة الذكر ، وكانت (غزة) في يوم من الأيام إحدى المدن الفلسطينية الخمس • وقد وجدها الملك بلدوين رابع ملوك مملكة بيت المقدس أطلالاً وبدون سكان ، فقام ببنائها على جزء واحد من التل المرتفع ، حيث كانت المدينة قائمة في السابق ، وقام بتحصينها • وعندما أنهى الجزء المخصص له من العمل ، منحها إلى هيئة فرسان الداوية (المعبد) للأبد ، وقد منحها لهم ليحفظوها ويدافعوا عنها ضد الأعداء • وتبعد (غزة) مسافة عشرة أميال عن عسقلان[2] ، التي كانت أيضاً إحدى مدن فلسطين الخمس ، وهي تقع على شاطئ البحر ، وتتخذ شكل قوس أو نصف دائرة ، وكانت آخر مدن مملكة بيت المقدس ، التي بقيت بأيدي المسلمين حتى استطاع الملك سالف الذكر ، بعد كثير من الجهد والصعوبات ، وحصار طويل ، أن يستولي عليها ، حيث إنها كانت محصنة بأسوار وأبراج قوية ، وكان فيها مخزون كبير من الأسلحة والمؤن وأعداد من الرجال المقاتلين ، ومع ذلك فقد استطاع أخيراً أن يجبر سكان عسقلان على الاستسلام ، ومنحهم الأمان على أرواحهم وممتلكاتهم •

الفصل الحادي والأربعون :

تقع مدينة أسدود بين مدينتي عسقلان ويافا ، وهي واقعة على بعد عشرة أميال

---

[1] غزة : لفظة عربية كنعانية بمعنى القوة والمنعة والعزة ، وقد وصفت بأنها " مدينة كبيرة على طريق مصر وطرف البادية وقرب البحر ، بها جامع حسن وفيها أثر عمر بن الخطاب ومولد الامام الشافعي ، وبها قبر هاشم بن عبد مناف جد الرسول ﷺ وهي مدينة قوية جداً • انظر : المقدس البشاري : أحسن التقاسيم ، ص ١٧٤ ، الهروي : الاشارات ، ص٣٣ •

[2] عسقلان : احدى المدن الفلسطينية الشهيرة ذكرها المقدسي بقوله : عسقلان على البحر جليلة كثيرة المحارس والفواكه ومعدن الجميز ، جامعها في البزازين قد فرش بالرخام بهيئة فاضلة طيبة حصينة ، قزها فائق وخيرها دافق والعيش بها رافق وأسواق حسنة ومحارس نفيسة إلا أن ميناءها ردئ •••" انظر : أحسن التقاسيم ، ص١٧٤ ،ووصفها الهروي بقوله: " وضع شريف وثغرٌ قليل مثله في البلاد في حسنه وحصانته"• انظر : الاشارات ، ص٣٢ •(الترجمة العربية)

من مدينة عسقلان ، وهي غير بعيدة عن البحر ، وكانت سابقاً إحدى مدن فلسطين الخمس، ولكنها تراجعت في الوقت الحاضر إلى حجم قرية صغيرة ٠ وتعد قرية جت (عراق المنشية) رابع مدن الفلسطينيين ، وهي تقع على تل ليس بعيداً عن مدينتي اللد والرملة ٠ وقد أهملت (جت) فترة طويلة من الزمن ، ومن حجارتها قام فولك (الانجوي) [(١)] ببناء قلعة تدعى ابلين على ذلك التل نفسه ، وقد اعطيت لتكون تحت إمرة رجل نبيل يدعى باليان ، وهو الذي يلقب احفاده حتى اليوم باسم الابلينيين نسبة إلى ذلك المكان ٠ وهذا المكان ، بالاضافة إلى عدة أماكن أخرى ، مثل بئر السبع أو جبلين ، وبرج المراقبة الأبيض الذي يطلق عليه العامة اسمَ تل الصافي ، الذي يبعد ثمانية أميال عن عسقلان ، كل تلك الاماكن شيدها شعبنا قبل تمكنه من الاستيلاء على عسقلان، لكبح وقاحة العسقلانيين ، ولضبط وايقاف غاراتهم داخل (حدود) مملكتنا ٠ وتدعى خامس مدن الفلسطينيين باسم عقرون (عاقر) ، وهي على شاطئ البحر ليس بعيداً عن أسدود ٠

الفصل الثاني والأربعون :

وفيما وراء مدن فلسطين الخمس سالفة الذكر تأتي المدن والاماكن المنيعة على شاطئ البحر مثل يافا وأرسوف وقيسارية فلسطين التي نقرأ عنها في كتاب الملوك الأول ، بان الفلسطينيين أحضروا تابوت العهد [(٢)] بسبب وباء ٠ وهناك قيسارية أخرى تدعى فيليبي أو دان ٠ وبعد ذلك تأتي بترا أنكيسا [(٣)] أو ديستركتوم ، وتقع بين دورا وكفر

[(١)] فولك الانجوي : ينتسب إلى مقاطعة انجو ، وهو من مواليد ١٠٩١م ، حضر إلى الأراضي المقدسة بدعوة من الملك بلدوين دي بورج لأجل أن يزوجه من ابنته الملكة ميلسند ، وبعد وفاة بلدوين خلفه في الحكم فولك وهو في سن الاربعين ٠

Cf. William of Tyre vol.2, Book 14,ch.,2,PP.50-51-Book 16 , ch. 3 , P.139.

[(٢)] " أخذ الفلسطينيون تابوت العهد ونقلوه من حجر المَعُونة إلى اسدود ثم ادخلوه إلى معبد داجون الههم " صموئيل الأول ٥ : ١-٢

[(٣)] بترا انكيسا : هي الدوستري بالقرب من عتليت

ناحوم [١] •وهناك مدينة اخرى تدعى كفر ناحوم ، تقع بالقرب من بحيرة طبرية ، حيث قام السيد المسيح بالوعظ ، وعمل كثيراً من المعجزات • ثم تأتي مدينة حيفا أو بورفيريا [٢] ، ثم عكا أو بتوليماس ، وقد قيل عن هذه الأماكن بما فيه الكفاية •

الفصل الثالث والاربعون :

وبعد ذلك تأتي صور ، وهي مدينة نبيلة مشهورة تقع على بحر عميق ، ومحاطة بالأمواج من كل جانب • وتشتمل على ميناء جيد ، وتهيء ملاذاً آمناً للسفن • وتعتبر صور مطرانية ، وعاصمة إقليم فينيقيا بكامله ؛ وهي مدينة محاطة بسور وأبراج ، ويكثر فيها السمك ، وتروى جيداً بمياه الينابيع والجدوال العذبة ؛ وهي غنية بكروم العنب والحدائق ، وأشجار الفاكهة وحقول الحنطة • ويوجد ينبوع أو بئر على أرض مرتفعة داخل حدود المدينة ، ويقال إن المسيح (ﷺ) جلس عنده ليستريح من عناء السفر ، عندما سار على سواحل صور وصيدا • ويحتوي هذا النبع على ماءٍ صافٍ جداً ، يتدفق ليسقي البساتين والحدائق في تلك البقعة بأكملها • وهذا النبع هو الذي يشير إليه سليمان في

---

(١) كفر ناحوم : تقع بين الطنطوره وكفر لام ، وهي احدى المدن الفلسطينية التي كانت قائمة أيام السيد المسيح (عليه السلام) ، وتبعد عن طبرية نحو خمسة عشر كيلو متراً باتجاه الشمال الشرقي ، كما تبعد نحو أربعةِ كيلومترات ونصف عند مصب نهر الاردن ببحيرة طبرية ، وقد كانت مركزاً لجباية الاموال في العصر الروماني • وقد جرى تحديد موقعها منذ القرن الأول الميلادي في موقع تل حوم ، ويرى بعض الباحثين انها الموقع المعروف بتل منية ، ويقول آخرون إنها تل كنيسة ، والغالب أن الرأي الأول هو الأرجح ؛ فقد اكتشف في تل حوم ، قبل مدة ، أطلال كنيس يهودي قديم ، روماني الطراز ، وبقاياسور المدينة • وقد يكون هذا الكنيس هو الذي علم فيه سيدنا المسيح (عليه السلام) • انظر : لوقا ٧ : ١-١٠ ، بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين ، ص ٩٤ ، مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ٦، ق٢ ، ص٣٥٩ • ويشير الرحالة الروسي دانيال الراهب إلى أن الدجال يظهر في كفر ناحوم ، ولهذا السبب هجرها الفرنجة • انظر : رحلة دانيال ، ص ١٠٢ • وذكرها بورشارد :" بأنها كانت ذات مره احدى المدن الشهيره ولكنها تراجعت الآن وأصبحت من المدن المتواضعة فهي تضم قليلاً من المنازل ، نحو سبعة منازل لصيادي الاسماك الفقراء " • انظر : وصف الأرض المقدسة ، ص٧٢ •

(٢) Cf . Fetellus , Description of the Holy Land ,Trans . by Macpherson, London 1897 . p . 48 , note

نشـيد الأناشــيد :" وبـئر ميـاه حيــه " [١]، وهنــاك حجـر يقـع خــارج المدينـــة ، ولكنــه قريـب مـن الأسـوار ، يكرمـه ويوقـره المواطنـون والحجـاج ، لأنـه يقـال إن السـيد المسـيح جلـس عليـه ، وقـام بوعـظ الجمـاهير المحتشـدة ، لأنــه لا يمكـن أن يدخـل مدينـة الوثنيين • ويقـال إن هـذه المدينــة القديمـة جـداً قـد أنشـأها تـيراس [٢] ابن يافث بن نوح • وتدعى بالعبرية صـور " وندعوها باللغة العامية الشائعة صـور • إن وقارها وتفوقها ومجدها كان واضحاً من خلال سفر حزقيال الذي قال عندما تحدث عنها :" يا صور أنت قلت : أنا كَامِلَةُ الجمال • تُخُومُكِ في قَلبِ البحار ، وَبَنَّاؤُوك اكملوا جمالك " [٣]، ومرة أخرى ، " مَنْ قَضَى بِهـذا علـى صُـور وَاهِبَـةِ التيجـان ، التـي تُجَّارُهـا أُمَـراءُ ومُتَكَسِّـبُوها شُـرَفَاءُ الأَرْضِ ؟" [٤]ويخبرنـا الرسـول بـالمزيد عـن ثروتهـا وروعتها فضلاً عن تُجارها • وكان ملك هذه المدينـة يدعـى اجينـور [٥]الـذي أعطـى ابنـه فينكس اسمه لجميع المنطقـة • ومـن هـذه المدينـة جـاءت ديـدون [٦]التـي أسسـت

---

[١] نشيد الأناشيد ١٥:٤ • المقصود بالنبع هنا رأس العين •

[٢] سفر التكوين ١٠ :٢

[٣] حزقيال ٢٧ : ٣-٥

[٤] اشعيا ٢٣ :٨

[٥] اجنيور : كان ملكاً لمدينة صور ، وتشير الروايات إلى أن شقيقه قدموس هو الذي شـيد مدينـة صور • انظر : بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص٣٥ (الترجمة العربية)

[٦] ديدون Didon : تشير الروايات التاريخية إلى أن ديدون هي " اليسار Elissa " أو " اليشار Elisha " ابنة موتو Mutto أو ماتان Matan ملك صور ، وكانت اليسار ذات جمال نادر ، ولكنها تعرضت لبعض المحن واستقرت في ليبيا ،وهناك أطلق عليها أهل البلاد الاصليون اسم "ديدون" وذلك بسبب الرحلات البعيدة التي قامت بها • انظر : فرانسوا ديكريه : قرطاجة " امبراطوريـة البحر"، ترجمة عز الدين احمد عزو ، ط١ ، دمشق " الأهالي للطباعة والنشر " ١٩٩٦م ، ص٥٤ -٥٩ ، انظر أيضاً : رشيد الناضوري : المغرب الكبير (العصور القديمة) ، جـ١ ، بيروت ، "دار النهضة العربية " ١٩٨١م ص ١٦٢-١٦٤ • أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق =

قرطاجة [1]في افريقيا ، التي تدعى الآن مرّوك [2]، وكان حيرام ملكاً في صور أيضاً ، وهو الذي زود سليمان بخشب الأرز من لبنان لبناء معبد الرب ، كما قام خادمه ابديموس بالاجابة بعبقرية مدهشة عن الالغاز والأقوال الغامضة ، التي ارسل بها سليمان إلى حيرام ملك صور ليجيب عنها ، وكان لزاماً عليه أن يدفع مالاً كثيراً لسليمان إن فشل في الاجابة عنها ، وبمشورة هذا الرجل ومساعدته قام حيرام ، بدوره ، بإرسال بعض المسائل لسليمان ليقوم بحلها ، وإلاّ وجب عليه دفع غرامة مالية ، ويقول بعضهم إن ماركول هو الذي قام بمحاجّة سليمان على قدم المساواة ، وكان ابوللونيوس ملكاً آخر لهذه المدينة ، حيث تقرأ أعماله الكثيرة في مؤلفات قصصيه شائعة ،ودفن هنا أيضاً (القديس) اوريجين [3]، كما يخبرنا القديس

= القديم ، ط٢ ، القاهرة " الأنجلو مصرية " ١٩٦٣م، ص١٠٩ ، ١١٤ ، (الترجمة العربية)

[1] قرطاجة Carthage: الاسم مشتق من Carthago اللفظة اللاتينية للكلمة اليونانية Karchedon التي هي بدورها لفظة مشوهه للتسمية الفينيقية المركبة " قرت حدشت " بمعنى المدينة الجديدة ، وقد شيدت المدينة في الربع الاخير من القرن التاسع ق ،م في أحد أجمل المواقع في العالم قاطبةً إذ أنه كان يؤمن للمدينة ضمانات كافية لتطورها كعاصمة ولحماية مجدها الصاعد ، انظر : فرانسوا ديكريه : المرجع السابق ص ٥٣ ، ٦٠ - ٦١ ، انظر أيضاً : رشيد الناضوري : المغرب الكبير ج١ ، ص ٦٢-٦٤ ، وقد أشار احد الكتاب المغاربة إلى أن مدينة قرطاجه فيها " من الاثار وعجائب البنيان ما ليس في بلد شرقاً ولا غرباً " وقيل لو دخلها انسان ومشى فيها عمره يتأمل أثارها لرأى فيها كل يوم اعجوبة لم يرها قبل ذلك ، انظر : كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، ص ١٢١-١٢٢ ، أحمد فخري : المرجع السابق ، ص١٠٩ ، (الترجمة العربية)

[2] يذكر يعقوب الڤيتري نقلاً عن المؤرخ اليهودي يوسيفوس أن قرطاجة كانت تدعى مرّوك ، Cf Josephus , c . AP . I , PP . 17-18.

[3] القديس أوريجين Origen أو أوريجانوس : عاش بين سنتي ١٨٥-٢٥٤-٢٥٥م ، وتعلم علوم اليونانيين على يد أبيه ، وبعد وفاة والده انكب على دراسة الادبيات وتوسع وتعمق بها كما ألمّ بفقه اللغة ، وقد توجه إلى بلاد اليونان بسبب أمور ملحة تتعلق بشؤون الكنيسة فذهب عن =

جيروم [1]في رسالته إلى بماخوس وأوقيانوس يقول فيها :" لقد مر الآن مائة وخمسون

= طريق فلسطين ورسمه أساقفة تلك المملكة قساً في قيسارية ، وقد وضع عدة مؤلفات عن الكلمة الالهية ونشرها وهو في عنفوان شبابه • انظر : يوسابيوس القيصري : تاريخ الكنيسة ، الكتاب السادس ، الفصل الثاني – الفصل الرابع، ص٢٨٦-٢٩٣ ، الفصل الثامن ، ص٢٩٤-٢٩٦ ، الفصل السادس عشر ص٣٠٥-٣٠٦ ، الفصل التاسع عشر – السادس والثلاثين ، ص٣١١-٣٢٦ • وقد وضع اوريجين كتاباً أسماه ضد سلس Contre Celse وذكر فيه كثيراً من المفارقات منها : أنه يوجد في كل مكان حاضرتان : حاضرة الله وحاضرة العالم ، وفي كل جماعة يوجد المجلس الشعبي السياسي والكنيسة المسيحية ولكل مسيحي وطنان • وقد حاول أوريجين مع تأكيده على الأفضلية التي لا جدال فيها للوطن الروحي ، أن يثبت أن هذين النظامين قلما يحق لهما أن يختلفا إذا استثنى الانسان مسألة فرض قسم الولاء للامبراطورية • انظر : جان توشار وأخرون : تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة علي مقلد ، الطبعة الأولى ، بيروت " الدار العالمية للنشر " ١٩٨١م ، ص٩٣-٩٥ • وقد ذكر الرحالة الالماني بورشارد أنه زار نصب القديس أوريجين في مدينة صور • انظر : وصف الأرض المقدسة ، ص٤٤-٤٥ • (الترجمة العربية)

(١) القديس جيروم : هو أحد الحجاج الاوربيين الذين زاروا الأراضي المقدسة في الثلث الاخير من القرن الرابع الميلادي ويسمى جيروم ايضاً باسم صفرونيوس ايوسيبوس هيرونموس ، وقد ولد في اقليم دلماشيا ، وعلى وجه التحديد في بلدة ستريدو Stirdo (تعرف حالياً باسم متيردوفا) في نحو عام ٣٤٢ م • وتوجه جيروم إلى روما من أجل الدراسة ، وأمضى فيها نحو ثماني عشرة سنة يتعلم ويدرس النحو والشعر ، ثم تدرب على الشؤون القضائية في محاكم روما والفورم ، كما تلقي العربية بفضل مساعدة أحد الاحبار اليهود وبعد ذلك ارتحل إلى القسطنطينية حيث اتصل بجريجوري النازيانزي ، الذي ساعده على تعلم اللغة اليونانية ،وأرسل إليه البابا في سنة ٣٨٢م لأجل القدوم إلى روما وترجمة الكتاب المقدس ، وقام القديس جيروم وترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية وعرفت هذه النسخة باسم فولجاتا ، وقد استغرق هذا العمل عدة سنوات، وعاد القديس جيروم بعد ذلك إلى الأراضي المقدسة حيث أقام في بيت لَحم ، وقد تعرض لمرض خطير وتوفي سنة ٤٢٠م بعد صراع طويلٍ مع المرض • وتجدر الاشارة إلى أن =

عاماً منذ وفاة أوريجين في صور " • ويقال بأنه لهذه المدينة تنتمي المرأة الكنعانية ، التي قالت لسيدنا يسوع المسيح عن ابنتها التي " بها شيطان يعذبها جداً [١]" ، طبقاً لنبوة داود ، " إن بنت صور ستكون هناك ولديها هبة ؛ وحتى أغنى الشعوب تسترضيك بهدية [٢]" • ويقال إن البيان المحامي المثقف قد وُلِدَ هناك• وإلى حد بعيد يخبرنا لوسيان :" أن الفنيقيين كانوا أول من حاول تثبيت الصوت بوسائل أو اشارات بدائية بسيطة ، هذا إذا كانت مصادر التراث موثوقاً بها [٣]•

ويقال إن أهالي صور كانوا أول من صنع الصبغ الارجواني من المُرَّيْق ،وأغلى صبغ ارجواني يعرف بالصوري حتى يومنا هذا • وبعد أن حاصر بلدوين ، أول ملك لبيت المقدس ، هذه المدينة القوية المحصنة بشكل منيع ، لمدة أربعة أشهر ، لم يستطع أن يجني أية فائدة ، وكلّفه ذلك نفقات كبيرة ، ولذلك قام برفع الحصار ، وقرر أن يعود اليها في فصل آخر أكثر ملائمة وبوسائل أقوى • ولكي يضيِّق الخناق على أهل صور ويزعجهم ، قام باعادة بناء مدينة على شاطئ البحر بين صور وعكا ، وهي المدينة التي شيدها الاسكندر المقدوني عندما كان يحاصر صور ، وتدعى مدينة الاسكندرونة ، ولكن

= المسيحيين يحتفلون بعيد القديس جيروم في الثلاثين من شهر سبتمبر (أيلول) من كل سنة •
Cf. Encyclopedia Americana " St . Jerome " vol . 16 , U.S.A . 1985 ,PP .23-24- Academic American Encyclopedia , " St . Jerome " vol .11 , New Jersy 1981 ,P.398- Encyclopedia Britanica , vol . 13 , London 1958 ,PP . 2-3 , Attwater , D , the Benguin Dictionary of Saints , London 1975 ,PP.185-186

انظر أيضاً : بورشارد : وصف الأرض المقدسة ص٢٢-٢٣ ، اسحق عبيد : معرفة الماضي " من هيرودوت إلى توينبي " ط١ ، القاهرة " دار المعارف " ١٩٨١م ، الملحق الثالث ، ص ١٤٩-١٥٠ - اسحق عبيد : من الأرك إلى جستنيان " دراسة في حوليات العصور المظلمة "، القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٥٩-١٦١ - محمد مؤنس عوض : الرحالة الاوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص٣٠ • (الترجمة العربية)

[١] متى ١٥ : ٢٢ •

[٢] المزامير ٤٥ : ١٢ • ورد النص هكذا " بنت صور أغنى الشعوب تسترضيك بهدية "•

[٣] Pharsal., 3 , P. 220 .

شعبنا يسميها اسكندراليوم في هذه الايام ٠ وهذا المكان (يشتهر) بوفرة المياه ، ويقع على بعد خمسة أميال من صور ، وعلاوة على ذلك ، قام هيو من سانت أومر - سيد طبرية الشهير - ببناء قلعة منيعة على الجبال التي تطل على صور ، بين مدينته وصور ، وهذه القلعة تدعى تبنين [١]، وهي على بعد عشرة أميال من مدينة (صور) ، وذلك من أجل التضييق على أهل صور وآثارتهم من نقطة قريبة ، وفي الوقت نفسه يتجنب هجماتهم ٠ وتقع هذه القلعة في منتصف الطريق بين لبنان والبحر ، وهي غنية جداً بالأشجار ، والكروم والأراضي الزراعية المحروثة ٠ وبعد ذلك أسر بلدوين دي بورج ، الملك الثاني لبيت المقدس من قبل المسلمين [٢]، بسبب ذنوبه ، وقام بطريرك بيت

---

[١] ذكرها المؤلف باسم تورون Toron ، وهي تقع مقابل صور ، على بعد سبعة عشر ميلاً (نحو ثلاثة وعشرين كيلومتراً ونصف) إلى الجنوب الشرقي من بانياس ٠ وقام ببنائها أمير طبرية والجليل المعروف باسم هيودي سانت أومر ، على بعد عشرة أميال من مدينة صور وقد اختلف المؤرخون الصليبيون المعاصرون حول تاريخ بناء قلعة تبنين فيشير المؤرخ وليم الصوري إلى أن تاريخ البناء تم في سنة ١١٠٤م ، في حين يذكر البرت دكس أن تاريخ البناء كان في سنة ١١٠٧م ٠ ويذكر الاستاذ سعيد عاشور أن تاريخ البناء كان في سنة ١١٠٥م لأن بناءها ارتبط بتشيد حصن عال في نفس العام ٠ وقد سيطر جماعة فرسان الاسبتارية على القلعة سنة ١١٥٧م وسيطر عليها السلطان صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٧م /٥٨٣هـ ، غير أن الصليبيين عادوا وسيطروا عليها مرة أخرى ٠ وقد دمرها الملك المعظم عيسى سنة ١٢١٩م ، لكن الصليبيين أعادوا بناءها سنة ١٢٢٠ م وبقيت تحت سيطرتهم حتى استرجعها السلطان الظاهربيبرس عام ١٢٦٦م ٠ (الترجمة العربية)

Cf. William of Tyre , vol . 1,P. 469 , Runciman , S. vol . 2 .PP . 324-325-Riley Smith , J., The Feudal Nobility in the Latin Kingdom of Jerusalem , London 1973, P.198.

انظر أيضاً : بورشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص٥٩ - سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص١٤٦ - محمد مؤنس : الرحالة الأوروبيون، ص١١٦-١١٧ ٠ (الترجمة العربية)

[٢] ذكرهم يعقوب الڤتيري باسم السراقنة Saracens ، ويقول الاستاذ احسان عباس إن أقدم اشارة في المصادر العربية إلى السراقنة هي التي اوردها المسعودي في (كتاب التنبيه والاشراف ، ص١٦٨) في خضم حديثه عن نقفور ، إذ يقول " وأنكر - أي نقفور - على الروم تسميتهم =

المقدس [1] ، مع رؤساء الاساقفة ، وبارونات آخرين ، من المملكة ، وكونت طرابلس بالمكوث أمام المدينة (صور) ومحاصرتها ٠ وساعده أيضاً دوق البندقية الذي هاجم المدينة من ناحية البحر بعدد كبير من الرجال المدججين بالسلاح ، وأربعين سفينة شراعيه وكثير من السفن الأخرى الصغيرة والكبيرة ، وبعد عمل شاق ودم مراق ، وحصار طويل

= العرب سراقينوس وتفسير ذلك " عبيد ساره " طعناً منهم على هاجر وابنها اسماعيل ٠ ويضيف الاستاذ احسان عباس أن لفظة عرب عند المسعودي كانت تعني المسلمين ، وقد اتسع مدلول هذه اللفظة في عصر الحروب الفرنجية الصليبية ، واطلقها المؤرخون والحجاج الفرنجة على جميع المسلمين ٠ وقد كثرت الاراء والاجتهادات في العصر الحديث حول لفظة السراقنة ، وأرجعها بعض الباحثين إلى قبيلة السوارقة (السواركة) التي تسكن اليوم على الساحل بين غزة والفرما ٠ ويرى فريقٌ آخر أن اللفظة مشتقة من الفعل " سرق " كصفة للبدو الذين كانوا يعيشون على عمليات السلب والنهب ، على حين يرى فريق ثالث أن اللفظة مشتقة من شرق بمعنى " الجهة " وخصوصاً بعد أن ضمت دولة الانباط إلى الدولة الرومانية ، فالشراقنة هم الذين يقطنون إلى الشرق من كورة العربية ، وهو الاسم الجديد لمملكة الانباط بعد ضمها إلى روما ، بينما تبقى لفظة العرب لتدل على سكان تلك الكورة ٠ انظر : احسان عباس : تاريخ بلاد الشام ، ص ٥٥ – ٥٧ ، رحلة الحاج سايولف في بيت المقدس والأراضي المقدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط١ ، عمان " دار الشروق " ١٩٩٧م ص١٠-١١ ، بورشارد : وصف الأرض المقدسة، ص٣١ ، هامش ١ ، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة ، ط١، عمان ١٩٩٢م، ص٨٨-٨٩ ٠ ومع اتفاقي مع جميع الاراء التي اتى الاستاذ احسان عباس على ذكرها ، إلا أنني أعتقد أن لفظة السراقنة عند الغربيين كان المقصود منها مهاجمة المسلمين الذين فتحوا بلاداً كثيره ونشروا فيها الاسلام، وهذا يعني أنهم يهاجمون الدين الاسلامي الحنيف الذي جاء به الرسول ﷺ لجميع الامم ٠ ولعل ذلك يبدوا واضحاً من خلال حديث الحاج سايولف ودانيال الراهب ويوحنا فورزبورغ وبورشارد من دير جبل صهيون ويعقوب الفتيري وغيرهم٠ (الترجمة العربية)

[1] بطريرك بيت المقدس سنة ١١٢٤ م هو جرموند الذي اشترك في حصار مدينة صور كنائب عن الملك بلدوين الثاني الذي وقع أسيراً في قبضة المسلمين ٠(الترجمة العربية)

للمدينة بمختلف آلات الحرب ، أجبروا سكان المدينة على الاستسلام في الشهر الخامس للحصار ، حيث لم يستطع السكان تحمل المجاعة وسلموا المدينة بشرط الحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم • وهكذا استولى المسيحيون على مدينة صور وأعادوها إلى المسيحية في عام ١١٢٤م (لتجسيد السيد المسيح) عليه السلام•

الفصل الرابع والأربعون :

وبعد ذلك تقع صرفند على شاطئ البحر ، والتي تحدث النبي ايليا عند بوابتها إلى الأرملة التي كانت تجمع الحطب وتوافر لها الطعام لأنها صنعت الخبز لرجل الاله • وقام المسيحيون ببناء كنيسة صغيرة قرب بوابة المدينة • وبعد ذلك ، تأتي مدن أخرى بجانب البحر ، أولا صيدا ، ثم بيروت ، ثم بيبلوس التي تدعى في يومنا هذا جبيل الواقعة على شاطئ البحر في مقاطعة فينيقيا • وكانت في وقت ما تدعى ايفيا ؛ لأنه يقال أن ايفياس الابن السادس لكنعان هو الذي أنشأها • ويقول عنها حزقيال :" شيوخ جبيل وَصُنَّاعُها المَهَرَة الذين كانوا فيك هم قَلاَّفوك الذين يَسُدُّوَن شُقُوقَكِ • جميع سفن البحر وملاَّحوها قَدِمُوا إليك للمتاجرة معك "[1] • ومرة أخرى نقرأ :" وجز عمال الحجارة (عمال جبيل) الأخشاب والحجارة لتشييد الهيكل " [2]• وقام برترام كونت طرابلس بالاستيلاء على المدينة بمساعدة الجنوية ومعهم سبعون سفينة شراعيه، ثم منحها للجنوية • وخلف هذه المدينة على جانب البحر تأتي مدينة تدعى البترون[3]، لكنها في اللغة الدارجة تسمى بتيرون • وبعد ذلك تأتي قلعة نيڤين ، ثم مدينة طرابلس • وبعد ذلك تأتي مدينة تدعى عرقة على بعد ميل واحد من البحر • وبعد ذلك مدينة إرواد التي شيدت على جزيرة بالقرب من شاطئ البحر، على يد آرادوس بن كنعان ، وفيها وجد القديس بطرس الحوارى والدة كلمنت تطلب الصدقة ، حيث قام بهدايتها واعادتها إلى ابنها ، كما جاء في يوميات كلمنت ، حيث نقرأ

---

[1] حزقيال ٢٧ : ٩ •

[2] الملوك الأول ٥ : ١٧ – ١٨

[3] ذكرها المؤلف باسم بوتروم Botrum •

عن عمودين من الزجاج بصناعة رائعة ، واللذين وضعا في هذه الجزيرة وأثارا إعجاب جميع الناس • ثم تأتي مدينة انتارادوم ، التي تدعى هكذا لأنها تقع فوق آرادوس ، ولكنها هذه الأيام تسمى في اللغة الشائعة طرطوس • وقام القديس بطرس – عند مروره في طريقه من بيت المقدس إلى انطاكية – ببناء كنيسة صغيرة كرست لمريم العذراء المباركة• وهذه الكنيسة يغمرها شرف عظيم حتى يومنا هذا ، يؤمها اعداد كبيرة من الناس، لأن مريم العذراء تقوم بكثير من المعجزات وتشفي كثيراً من المرضى الذين يأتون إلى المكان الذي كان مكرساً من قبل الكنيسة الأصلية عندما كانت في بدايتها • ويصرح كثيرون بأن هذه كانت أول الكنائس التي كرست للقديسة مريم • وهي موضع تكريم ليس فحسب من قبل المسيحيين ، بل من قبل المسلمين الذين غالباً ما يحضرون اولادهم إلى الكنيسة المذكورة من أجل تعميدهم ، لكي يمكنهم أن يعيشوا حياة أطول ، أو لكي يستعيدوا صحتهم الجسمية • وبعد الاستيلاء على المدينة المقدسة ، عندما اجتاز تلك الأجزاء في طريق الحج إلى بيت المقدس ، وقام كل من كونت بواتيه ، وكونت بلوا وبعض النبلاء الآخرين بالاستيلاء على المدينة من الأعداء وإعطائها إلى كونت طرابلس •

وبعد ذلك ، تأتي مدن ساحلية أخرى مثل ماراكليا ، وفالينا ، مع قلعة المرقب وجابيلوم التي تدعى عموما جبيل ، واخرها جميعاً تقع في اتجاه انطاكيا ، وهي مدينة ذات موقع جميل وغنية ببضائع هذا العالم وتدعى لاذقية سوريا ، أما باللغة الشائعة فتسمى ليش• وعندما كان اللورد تانكرد[1] النبيل الشجاع يعمل حاكماً لامارة انطاكية ، قام

---

[1] تانكرد : يعتبر الامير تانكرد من أشهر امراء الحملة الفرنجية الصليبية الأولى ، وهو ينتمي لاسرة شهيرة في الغرب الاوروبي ، فوالده هو الماركيز أودو بونز Odo Bonus • ووالدته هي إمّا Emma ابنة روبرت جويسكارد • وقد استطاع تانكرد أن يكون أشهر من أخواله ، الذين حققوا مجداً عسكرياً ، فلم يغره ثراء أبائه ، ولذلك لم يكن مبذراً ، ولم يثر سلطان عائلته في نفسه نوازع التعالي • فقد فاق أقرانه في استخدام السلاح ، وفاق الشيوخ في رزانته ووقاره ، وتجلت علامات شجاعته بين الجميع ، لأنه كان على درجة عالية من الكفاية ، ومع ذلك فهو يعمل في خدمة جود فري ، على الرغم من أن الثروات كانت تفيض من بين يديه • وقد شارك=

بالاستيلاء على هذه المدينة في اليوم الذي استولى فيه على مدينة مشهورة تدعى افامية ، وبذلك يكون قد وَسّعَ حدود إمارة أنطاكية بإضافة مدينتين جميلتين في يوم واحد • وتوجد لاذقية أخرى في اسيا الصغرى ، والتي اعتبرها القديس يوحنا من بين سبع كنائس في اسيا [١]• وجميع تلك المدن كانت بحوزة شعبنا ، الذي لم يترك للمسلمين قلعة واحدة قرب البحر ، لكي تتبدد قوتهم [٢]على شاطئ البحر •

الفصل الخامس والأربعون :

لم يستطع جماعتنا غزو بعض المدن الساحلية الواقعة فيما وراء لبنان على وجه التخصيص ، إلا أنهم اجبروهم على دفع الجزية ، إذ إن جماعتنا ما كانوا مسرورين بتخليص أنفسهم من تلك المضايقات • وكانت مدينة حمص ، التي تدعى الآن كاميل ، أو شاميل ، وبعض مدن سوريا البقاع مثل هيليوبوليس (بعلبك) ، التي تدعى ممبج [٣]وحماة وبعض المدن الأخرى كانت قرب شعبنا ، وتتعرض بسهولة للازعاج والمضايقة • ولهذا فإن هذه المدن تشتري الأمن والسلام مقابل دفع المال الكثير في حقيقة الأمر • ولم يكن كل من الخليفة وسلطان مصر قادرين على الدفاع عن حدود مملكتيهما ضد الهجمات الجرئية والشجاعة لرجالنا ، وكان كل منهما يدفع الجزية لملك بيت المقدس، وذلك لأن المصريين كانوا يخافون من سلطان دمشق • ومن ناحية أخرى ، كان ملك دمشق يدفع كثيراً من

= تانكرد في الاستيلاء على بيت المقدس عام ١٠٩٩م ، وفي معركة عسقلان في العام نفسه كما وقع على عاتقه الاستيلاء على مدينة حيفا سنة ١١٠٠م •

Cf . Raoul de Caen, Gesta Tancridi Expeditione Hierosolymitana , R. H . C. - H. O cc . , tome III , Paris 1866 , pp . 605 , 703 -Albert d, Aix , op.cit, pp . 523 -527 . cf . also : William of Tyre,Vol.1. PP. 69 , 134 ,399-Chalandon , F. ,Histiore de la Premiere Croisade, Paris 1925, p. 300- Grousset, R,op. cit, Vol . 1 . p . 179 .

(الترجمة العربية)

[١] سفر الرؤيا ٣ : ١٤ •

[٢] ذكر يعقوب الفتيري ما يلي : من أجل أن تتبدد قوة العدو وهو يقصد بذلك قوة المسلمين الذين اتحدوا من أجل طرد الغزاة الفرنجة من بلادهم • (الترجمة العربية)

[٣] من الخطأ تحديد موقع ممبج Hieroapolis = Membij مع بعلبك • Cf.Fetellus, P.24

المال مقابل الحصول على الهدنة والأمن من رجالنا الذين كانوا يقيمون بين الدمشقيين والمصريين ٠

الفصل السادس والأربعون :

قام بلدوين دي بورج ، الملك اللاتيني الثاني لبيت المقدس ، بتجميع قوات مملكته ليضرب بها حصاراً على حلب ؛ ولكن عدداً كبيراً من المسلمين أسرعوا بالمجيء من الشرق ليدعموا المدينة ؛ ولذلك أجبر الملك على رفع الحصار والتراجع عن المدينة ، لأن أعداد قواته كانت أقل بكثير ٠ والملك الرابع لبيت المقدس بلدوين ابن الملك فولك مع كونراد امبراطور الرومان ، ولويس ملك فرنسا الذي حمل الصليب عندما قام الراهب كليرقو بوعظ الصليبيين ، وبالإضافة إلى بطريرك المقدس ومطران أوستيا وممثل الأبرشية الأسقفية وكثير من رؤوساء الأساقفة والدوقات والكونتات والبارونات وجمع كثير من فرنسا والامبراطورية كل هؤلاء ضربوا حصاراً على دمشق ٠

إن دمشق مدينة قديمة جداً ، وهي في الغالب المدينة الرئيسة بين مدن الشرق من حيث الحجم وتعداد السكان ٠ وسميت بهذا الاسم نسبة إلى خادم ابراهيم الذي يقال إنه هو الذي أنشأها، إنها عاصمة سوريا الصغرى ، وتسمى لبنان فينيقيا كما نقرأ في كلام النبي أشعياء ٠ " إن رأس سوريا هو دمشق "[1] ٠ وتقع في سهول مستوية ، في برّ قاحل جاف، ما عدا بعض الأماكن التي تتمتع بهبة من المياه التي تجري قادمة من الجبال ، وتسير في قنوات وتروي السهول كلّها ، جاعلةً منها منطقة خصبة ومليئة بأشجار الفاكهة ٠وقرب المدينة سالفة الذكر يوجد مكان يدعى في يومنا هذا ملجى سفار[2] ، وفيه ناشد المسيح شاول عندما اقترب من دمشق قائلاً له " شاول ، شاول ،لِمَ تَضطَهِدُني ؟ " [3] والآن قام الأمراء سالفو الذكر بمحاصرة المدينة ، بجيش لا حصر له من جانب ، وموقع واحد في منطقة مجاورة ، واخترقوا أسوار المدينة،وحازوا بالقوة على النهر الذي يمر أمام المدينة ٠

---

[1] ورد في النص " لأن رأس أرام هي دمشق " ٠ أشعياء ٧ : ٨ ٠

[2] من الواضح أن الكلمة العربية تعني " الاستمرار في رحلة " ٠

[3] أعمال الرسل ٩ : ٤ ٠

وكان سكان دمشق يشكون بمقدرتهم على مجابهة رجالنا عند سور المدينة بعد اختراقه • وقام بعض السوريين الذين كانوا يعملون مرشدين ومستشارين للحجاج الغرباء من الأمراء، وقد أعمتهم شهوتهم فأقنعوا الأمراء بسحب جيشهم إلى جانب آخر من سور المدينة • لذلك ترك الأمراء مكانهم الأول ، الذي استرده المسلمون وتحصنوا ضدنا ، وبعد أن شحّت المؤن ونقص الماء عن الجيش ، وعندما رأى أمراؤنا عدم إخلاص الرجال الذين وثقوا بهم [1]، وبعد أن لاحظوا ابتعاد هؤلاء عن الإيمان ، ولجوئهم إلى الخيانة ، وبعد عمل الشرقيين لتلك الأشياء ، وبعد أن بذل أمراؤنا كثيرا من الجهد والعمل وكان كسبهم قليلاً ، عادوا إلى الوطن •

الفصل السابع والأربعون :

ضرب يوحنا امبراطور القسطنطينية ، وأمير انطاكية ، وكونت الرها مع قوات لا حصر لها من الجنود ، والعربات والخيول، حصاراً حول مدينة قيسارية ليس بعيداً عن انطاكية التي تسمى الآن قيسارية العظمى [2]، ولكن يوحنا أخذ مالاً من المُحَاصَرين ورفع عنهم الحصار ، وعاد أدراجه إلى وطنه ، وهو غاضب ؛ لأن الأمير والكونت سالفي الذكر كانا مهملين ومتساهلين في عملهما وفشلاً في مساعدته • وقام بلدوين (الثالث) رابع ملوك بيت المقدس أيضاً بجهد كبير تحفه المخاطر ، واتجه ليستولي على مدينة بصرى[3] ، ولكنه وجدها محصنة أكثر مما توقع ولم يستطع الاستيلاء عليها فعاد إلى بلدة ثانية مغتاظاً جداً من المسلمين [4] وأثناء عودته قتل كثير من رجاله •

وتعد بصرى مدينة قديمة جداً وهي عاصمة منطقة

---

[1] " حتى صديقي المُلازمُ لي الذي وثقتُ به ، الاكل من طعامي قد انقلبَ عليَّ وَرَفَعَ عليَّ عَقِبَهُ " المزامير ٤١ : ٩ •

[2] قلعة شيزر أو سيجار ، لاريسا (سيزارا)القديمة •

[3] ذكرها المؤلف باسم بوسترم ولكنها في الحقيقة مدينة بصرى Bozrah •

[4] ذكرهم يعقوب القتري باسم السراقنة •

العربيـــة الأولـــى وتســـيطر علـــى مقاطعـــة أو كـــورة الطراخونيـــة [1] حيـــث يقـــول القديـــس لوقـــا " فيليـــب حـــاكم إيطوريـــة [2] ومقاطعـــة

---

[1] الطراخونية (تراخونيتس) Trachonitis : احدى المقاطعات السورية القديمة ، وقد أشار المؤرخ الفرنجي وليم الصوري إلى أن التسمية مشتقة من لفظة تراكونس بمعنى كهوف ، بسبب كثرة الكهوف المنتشرة بالمنطقة ، وينوه المؤرخ إلى أن الكهوف هي مسقط رأس السكان ، ومقر معيشتهم ، وهي بمكانة المنازل التي يقيمون بها ٠ Cf. William of Tyre , vol .2, pp.151,412

وكانت هذه المقاطعة تعرف باللجاه ، ولم يسمع بها إلا زمن الرومان ، وكانت حياة سكانها مختلفة جداً وكانوا يعتمدون على السرقة واللصوصية ، ولكن هيرود الكبير أجبرهم على العمل بالزراعة، وكان ذلك مخالفاً لطباعهم ، فثاروا ضد هيرود الذي أحضر الثلاثة آلاف أيدومي لضبط الأمن فيها ٠ انظر : جونز : مدن بلاد الشام ، ص٣٢ ، ١٠٥ ٠ ويبدو أن حدود هذه المقاطعة كانت تمتد من جبل الشيخ غرباً إلى حوران (الحورانية) شرقاً، ومن نهاية جبال لبنان الشرقية في الشمال حتى حدود مقاطعة البثينية ٠ انظر أيضاً : بورشارد من دير جبل صهيون : وصف الأرض المقدسة ، ص٢١ ، هامش ٢ ٠ (الترجمة العربية)

[2] أيطورية Ituraea : هي مقاطعة أو كورة بين اللجاه (الطراخونية) والجليل ، وتشتهر هذه المقاطعة بوفرة المياه وتربتها البركانية ، وتمتاز معظم أراضيها بخصوبتها العالية ٠ وقد عُرِفَ سكان هذه المقاطعة باسم اليطوريين الذين يرجع نسبهم إلى العرب العدنانيين ، وهناك من يقول إنهم سمّوا بهذا الاسم نسبة إلى يطور أحد أبناء اسماعيل ٠ وكانوا يتحدثون اللغة الارامية ، وامتازوا بشدة بأسهم وحذقهم في رمي السهام ٠ وكان ظهورهم على مسرح الاحداث في سنة ١١٥ق ٠ م ٠ وهذا لا يعني أنهم لم يظهروا قبل هذا التاريخ ، فقد استقروا ، في بداية الأمر ، في منطقة شرق الاردن ، وحاربوا اليهود ، وبعد ذلك هاجر إلى المنطقة التي نسبت إليهم ، وامتد سلطانهم إلى البقاع حيث تمركزت قوتهم في تلك المنطقة ، وفي سلسلتي جبال لبنان ولبنان الشرقي، وكان لهم عاصمتان ، الأولى وهي خلقيس (عين الجر – عنجر) ، ومؤسسها هو معن أحد أمراء اليطوريين ، وعاصمة دينية هليوبوليس " بعلبك " ٠ وكان للامير الايطوري سلطتان ، سلطة الكاهن الأعلى Archiereus وسلطة الحاكم Tetrach ٠ وقد توسع اليطوريون على حساب الممالك المجاورة لهم ، فعندما ضعفت المملكة السلوقية لأنفسهم =

الطراخونية [1] • ولأن تلك البلاد لا يوجد فيها جداول أو ينابيع فإن أهلها يجمعون الماء في أحواض [2] بوساطة ممرات مائية تحت الأرض ، ولذلك سميت هذه المنطقه الطراخونية (تراخونيتس) • ويسكن الناس في تلك المناطق في كهوف وتراكونات صخرية تحت الأرض • وبعد منطقة ديكابوليس (صفورية) – التي تمتد حدودها من صيدا إلى طبرية وتصل أيضاً إلى ما بعد مدينة طبرية باتجاه دمشق – تقع منطقة إيطورية التي تمتد بعد أراضي صيدا والجبال التي تفصلنا عن المسلمين في الوادي المسمى بوادي بكر ، وحيث إنها تصل إلى أسفل جبل لبنان ، فإنها تسمى أيضاً بغابة لبنان • ومنطقة إيطورية هذه تقع بجانب منطقة الطراخونية وتتصل بها •

الفصل الثامن والأربعون :

احاط الملك عموري شقيق الملك (بلدوين الثالث سالف الذكر) مدينة القاهرة

= أجزاءً منها ،فامتدت امراتهم جنوباً حتى بلغت بحيرة طبرية • ولعل المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشمال من بحيرة طبرية وإلى الشرق من الاردن الأعلى كانت خاضعة لهم ، وقد مدوا أنظارهم غرباً نحو المدن الفينيقية فاستولوا على بعض ممتلكات الفنيقيين ، وشيدوا لهم قلاعاً على الساحل ، وأنهكوا بهجماتهم المتكررة جبيل وبيروت واستولوا على بوتريس وعرقة ، وكاد امتدادهم في الجهة الشرقية يصل إلى دمشق ، وإلى الشمال من دمشق استولوا على قطعة من الأرض تمتد من أبيلا وخلييون في الجنوب حتى يبرود في الشمال ، وكانت مناطق البثينية والطراخونية (اللجاه) والحورانية تابعةً لهم في بعض الاحيان • انظر : جونز : مدن بلاد الشام، ص ٢١ ، ٨٥ ، ٨٤ – احسان عباس : تاريخ بلاد الشام ، عمان " الجامعة الاردنية " ١٩٩٠ م ، ص ٩٢-٩٣ – مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ١ ، ق١ ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٣م ، ص٦٠٢ – انظر أيضاً : بورشارد من دير جبل صهيون : وصف الأرض المقدسة ، ص٢١-٢٢ ، هامش ٣ ، ص ٧٥

Cf . Fabri, vol . 1, p . 464 - Marino Sanuto,p. 22 .

[1] لوقا ٣ : ١ •

[2] بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص ٢١ ،٣٦،٦٢ -٦٣ ، ٦٦،٧٠،٧٤-٧٥،٩٢،١٠١ •

المصرية بأدوات الحصار ، حيث يقال إنه كان من الممكن الاستيلاء عليها بسهولة لو أنه لم يتبع مشورة رجل خبيث يدعى ميلو دي بلانسي ، الذي أخذ مبلغاً من المال من الأعداء [1]، حيث قام الملك برفع الحصار والتراجع عن مدينة القاهرة أولاً ٠ وبالفعل فقد ضرب حصاراً على الاسكندرية ؛ وهي مدينة مصرية نبيلة أخذها أسد الدين شركوه وابن أخيه صلاح الدين من سلطان مصر ٠ وأجبر عموري سكان الاسكندرية على بعض الشروط ولكنه أعطى المدينة لسلطان مصر بعد تسلم المال الذي وعد أن يدفعه هذا السلطان ٠ وبعد ذلك قام الملك عموري نفسه مع عدد لا حصر له من الجنود اليونانيين – الذين أرسلهم امبراطور القسطنطينية للمساعدة – بفرض الحصار على دمياط وهي مدينة حصينة في مصر ، ولكن بسبب الجوع والبرد والفيضانات العظيمة رفع الحصار بعد الخسارة الجسيمة التي مني بها جيشه ٠

الفصل التاسع والأربعون :

حيث إن رجالنا لم يستطيعوا الاستيلاء على المدن سالفة الذكر ، وكثير غيرها ، وخاصة تلك التي في الداخل ، فقد قاموا ببناء حصون قوية منيعة بينهم وبين أعدائهم ، وعلى أطراف أراضيهم لكي يدافعوا عن حدودهم ، ومثال ذلك الجبل الملكي مونتريال والبترا في الصحراء التي اسمها الحديث الكرك بعد نهر الأردن ؛ صفد (سافول) وبلفوار بالإضافة إلى أماكن قوية أخرى على هذا الجانب من نهر الاردن ٠ وصفد قلعة قوية بين عكا وبحيرة طبرية وليست بعيدة عن جبال جلبوع ٠ وبلفوار ليست بعيدة عن جبل طابور [2] قرب مدينة زرعين (يزرعيل) الواقعة على مرتفع من الأرض بين بيسان

---

[1] يقصد المسلمين ، ويشير المؤلف هنا إلى أن أحد امراء الفرنجة الصليبيين حصل على مبلغ من المال مقابل فك الحصار عن المدينة سالفة الذكر ٠ (الترجمة العربية)

[2] جبل طابور : يقع في اقليم الجليل في ظاهر قرية دبوريا التي شيدت عند سفحها الغربي ، وهو يشرف على سهل بن عامر ويبعد اربعة أميال إلى الشرق من الناصرة ، ويرتفع عن سطح البحر نحو خمسمائة وثمانية وثمانين متراً ٠ انظر :جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، جـ١ ، ص٢٧٦، قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩م ، ص١٢ ، سعيد =

وطبرية ، وهي مدينة نبيلة مكتظة بالسكان ٠

الفصل الخمسون :

قسمت مملكة بيت المقدس بين مختلف الأمراء والبارونات الذين كان واجبهم أن يحفظوا ويحرسوا الأرض تحت قيادة الملك ، لأجل التأمين على أمنها ٠ واحتفظ الملك بحوزته بأشرف أجزاء من الأرض وافضلها ، مثل مدن بيت المقدس ، ونابلس (شكيم) ، وعكا ، وصور مع بعض البلدات والقرى ٠ وكان أتباع المملكة المرتبطون بالقسم لخدمة الملك مع عدد من الفرسان ، وكان من بين هؤلاء كونت طرابلس ، وسيد بيروت ، وسيد صيدا ، وسيد حيفا (بورفيريا)، وسيد قيسارية ، وسيد طبرية الذي كان ايضاً سيد الحولة، وكونت يافا وعسقلان ، وسيد مونتريال وجميع الأراضي الواقعة فيما وراء نهر الأردن ، وسيد ارسوف ، وسيد يبنه[1] (عبلين) وآخرين ؛ ولكن هذه كانت الرئيسة والأولى في السبق والوقار ٠

الفصل الحادي والخمسون :

وبدأت الكنيسة الشرقية ، منذ ذلك الحين ، بالازدهار مرة ثانية ، وبدأت ممارسة الدين تنتشر بشكل خارجي في أراضٍ شرقية ، وبدأت كروم العنب بطرح العناقيد ٠ ثم بدأ ذلك الشيء المكتوب في أغنية الأغاني يتحقق (انتهى الشتاء ، والمطر انتهى وذهب ؛ وظهرت الزهور على الأرض ، ومن كل جنس ولغة ومن كل أمة تحت السماء ، جاءوا

= البيشاوي : نابلس ، الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية ، ط١ عمان ١٩٩١ ص٦٩ ، هامش ٢٥١، مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ٧ ، ق٢ ، ص١٣-١٩ ٠

[1] يبنه Ibelin : كانت تعرف باسماء كثيرة منها Iamnia و Jamnia وابلين Ibelin ، وهي تقع جنوب يافا وعلى بعد فرسخين منها ، أي ما يعادل ستة أميال (أحد عشر كليو متراً وثماني وثمانين متراً) ٠وقد أقام الملك فولك قلعة على اراضي يبنه سنة١١٤١م ٠ انظر : بورشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص١٦٤ ، سعيد البيشاوي : الممتلكات الكنسية ، ص٩٥ ، هامش٢ ٠
Cf. also : Mayer,H.E., op. cit . , p .92 .

مفعمين بالحماسة لله ، وانتشر رجال الدين في الأراضي المقدسة يجذبهم عبق الأرض المقدسة والأماكن المشرفة • وأصلحت الكنائس القديمة وبنيت أخرى جديدة ؛ وبكرم من الأمراء وصدقات المؤمنين بنيت الأديرة للرهبان في أماكن مناسبة ؛ وانتشر القساوسة ، وكانت كل أعمال الخدمة ومظاهر عبادة الله تنبعث في كل مكان • واعتزل رجال الدين الدنيا وطبقا ، لعواطفهم ورغباتهم المختلفة وورعهم الديني ، واختار كل منهم مكاناً يعيش فيه بما يناسب أهدافهم وتفانيهم •

الفصل الثاني والخمسون :

وبعض هؤلاء الرجال اقتدوا بالمسيح ، واختاروا تلك البرية التي تدعى كرانتينا [1]، حيث صام سيدنا المسيح في العزلة لمدة أربعين يوماً [2]بعد تعميده ؛ واختار الرجال تلك الأماكن ليعيشوا فيها نساكاً في أقبية لخدمة الله بشجاعة متواضعة • واختار بعضهم الآخر أن يقلدوا اليشع حيث عاشوا حياة عزلة على جبل الكرمل ، وخاصة على ذلك الجزء الذي يعلو فوق مدينة بورفيريا التي تدعى الآن حيفا ، وذلك قرب البئر المسمى بئر اليشع ، وعاشوا في أقبية تشبه المشط حيث يصنع نحل الرب العسل الروحي اللذيذ • وهناك كرمل [3]آخر وراء نهر الأردن قرب الصحراء ، حيث اختبأ داود هرباً من وجه شاول وحيث كان يقيم الفلاح نابال [4]، ولكن الكرمل حيث اعتاد ان يعيش اليشع على شاطئ البحر على بعد أربعة أميال من عكا •

الفصل الثالث والخمسون :

وكثير اختار ضريحاً هادئاً حيث يموتون فيه ، واختاروا الحياة لخدمة الرب في وادي الأردن ، إذ لجأ القديس يوحنا في صباه هرباً من الدنيا ، حتى يتسنى له أن يوحد الله بحرية أكثر • ولم يأكل القديس يوحنا شيئاً سوى الجراد مع العسل في هذه العزلة في

---

[1] الكرانتينا : تقابل هذه اللفظة القرنطل •

[2] متّى ٤ •

[3] الكرمل : ورد خطأ والمقصود هنا قرمول •

[4] متّى ٣ ، مرقص ١ ، لوقا ٣ Cf , alsa: Fabri, vol 1, p . 640 •

البرية • جرت العادة في معظم أجزاء سوريا عندما تأتي أسراب الجراد أن تجمع وتحفظ من أجل الطعام • أنا رأيت الكثير من العسل في تلك الأجزاء في قصب السكر فهو مليء بالعسل ، وهذا يعني أنه من العصير الحلو جداً ، ويعد سحق القصب بالضغط ، ثم تسميك فوق النار يصنع الناس أولا نوعاً من العسل ، ثم يصنعون السكر • وهذه تسمى قصبات العسل كلمة **Cannnumeles** مكونة من جزئين قصبة **canna** أي **cane** وكلمة عسل **mel** لأن هذه القصبات مثل قصب البوص •

وبما أنني لم أفكر بأن معمدان المسيح المبارك كان عليه أن يأكل لحم الجراد عندما امتنع حتى عن الخبز ، فقد قمت باستفسار لدى راهب سوري كان ديره يقع في تلك الأجزاء ، ويحتوي على عدد كبير من الرهبان الذين كانوا يعيشون حياة قاسية تحت حكم الأجزاء ، ويحتوي على عدد كبير من الرهبان كان يأكله القديس يوحنا في تلك الصحراء بالقرب من الأردن • فأجاب على الفور بأنه في حجرة الطعام في الدير توضع عشبة يسمونها لانجستاي أو فول الجراد لتقدم للرهبان، وتنمو هناك كميات كبيرة من تلك النبتة حول ذلك الدير ؛ وأضاف بأن القديس يوحنا كان يأكل من تلك الأعشاب • وبالاضافة إلى ذلك فإنهم كثيراً ما كانوا يجدون مخزوناً هائلاً من العسل البري الذي كانت تصنعه النحل في تلك البرية •

وبعض الرجال المتدينين ذهبوا إلى تلك البرية قرب بحيرة طبرية ، حيث قام المسيح بالوعظ مرات كثيرة هناك فقد اطعم عدداً كبيراً من الناس من خبز الشعير وأسماك صغيرة ، وشرّف تلك المنطقة بمعجزاته المختلفة • وهنا أيضاً ظهر المسيح للحواريين بعد بعثة ، وهنا أكل وشرب معهم • وفوق هذه البحيرة قام المسيح على سطح الماء ليتحدث مع بعض حوارييه قائلاً (اتبعوني وسوف اجعلكم صيادي رجال)•

وهنا اختار الرجال مساكنهم المنعزلة ، وبعضها كان في السهول ، حيث هناك كثير من القش من العشب الجاف ؛ وبعضهم سكن الجبل المجاور الذي كان المسيح معتادا في الذهاب إليه لكي يصلي لوحده • إن بحيرة طبرية عبارة عن بحيرة عذبة المياه على حدود الحولة ، وهي مليئة بجميع أنواع الأسماك ، وهي جميلة المنظر ، والماء شربه

ممتع•ولأنها طويلة وواسعة تسمى هذه البحيرة بالبحر جريا على عادة العبرانيين والمصريين الذين يطلقون على المياه المتجمعة اسم البحر ، سواء كانت هذه المياه عذبة أو مالحة ، وتسمى هذه بحيرة طبرية لأنها تتصل بمدينة طبرية والتي بقربها تقع بيت صيدا مدينة بطرس واندرو التي شرفها المسيح بحضوره شخصياً • إنها تسمى بحيرة جينساريت والتي فسرت بمعنى " توليد الرياح " (**generating wind**) ، لأنه من ينابيع الجبال التي تقع حولها ، وكثيراً ما تتجمع رياح قوية تسبب هياجاً في البحيرة وتتحول إلى عاصفة تؤثر على بعض السفن الصغيرة بسبب الأمواج العالية • ويجري نهر الأردن ، داخل بحيرة الحولة ، من مصدرين : أحدهما جور ، والآخر دان ويستمد منهما النهر اسمه ، ومياهه عند أسفل جبل لبنان قرب قيسارية فيليبي ، ويتدفق الماء في كتلة واحدة لمسافة مائة ميل ، ويروى الأراضي المجاورة ، ثم يجري عبر وادي الستريس الذي يسمى وادي الملح ، ثم يصب في البحر الميت ، حيث يبتلع ولا يرى مرة ثانية ، وهذا قرب مكان يدعى زغر الذي يسمى الآن بومبير [١]، ويدعى البحر ، سالف الذكر ، ببحيرة الاسفلت والبحر المالح ؛ لأنه مالح ، ومرّ جداً ، لدرجة أنه لا يستطيع الإنسان ولا الحيوان الشرب من مائه ؛ وكثيراً ما يسمى بحر الشيطان ، لأنه لا تعيش فيه كائنات حية ، ولا تستطيع التواجد في مياهه• ويوجد على جانبه جبل عال من الملح ؛ وبالاضافة إلى ذلك ، تحمل الأشجار التي على شواطئه ثمر التفاح الذي له منظر جيد من الخارج ، ولكنه لا يوجد شيء في الداخل ما عدا الرماد والغبار اللاذع لأن الرب "امطر على سدوم وعموره كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء " [٢] كما أمطر على ثلاث مدن أخرى •

وكان سكان تلك المدن عصاة آثمين ضد الطبيعة البشرية ، حيث كانوا يقومون بممارسات شائنة مع بعضهم بعضاً• وفي هذا المكان الذي يسمى بنتابوليس **Pentapolis** تقع البحيرة سالفة الذكر ، ولا يستطيع أحد الوصول إلى قاعها ؛ لأن الرب بعد أن أمطر

---

(١) بومبير : Paumier والمقصود هنا بالمر Cf , W''liam of Tyre, book xx • Palmer ii,c.30, p. 504.

(٢) التكوين ١٩ : ٢٤ •

تلك المدن بالنار قام بالقائها في البقعة التي لا قاع لها ٠ ويقدم نهر الأردن الذي تحدثنا عنه سابقاً خدمة كبيرة لجميع سكان المناطق الواقعة بين ذلك المكان وجبل لبنان ، فهو يروي البساتين ويجعل الأرض تحمل الثمار ، ويقدم مياهاً عذبة صالحة للشرب ، وكميات من السمك للطعام ، وينمو على ضفتيه القصب والبوص الذي يستخدمه الناس لعمل منازلهم ، وإقامة الجدران والأسوار ٠ وتلقى الحقول ، التي على جانب النهر ، بالحلاوة بسبب وفرة قصب السكر الذي يعطي كثيراً من السكر ٠ ويظهر أن الحجاج ميالون ، وكذلك المواطنين ، على غسل أجسادهم وملابسهم بورع في مياه نهر الأردن ، لأن مُخلِّصنا كان قد تم تعميده على يد القديس يوحنا المعمدان في مياه النهر [١]وقد طهّر هذه المياه عندما لمس جسده الطاهر تلك المياه ، وأضفى قوة عظيمة على مياهه ٠ وعلاوة على ذلك ، فقد قدست الكنيسة بأجمعها ذلك النهر المحظوظ المكرم ٠وسمع صوت الرب فوق ذلك النهر ، " ورأى روح الله نازلاً مثله حمامه وحالاً عليه " [٢]وتم تعميد الابن في شبه إنسان ٠ وتم تعميد كثير من الناس من كلا الجنسين من الرجال والنساء على يد القديس يوحنا في تلك المياه أثناء شعائر تعميد التوبة ، حيث اكتسبوا شرف تعميد المسيح ؛ وكمثل على الطُّهر ، هناك نعمان السوري الذي شُفي من البرص في تلك المياه ، حيث عاد لحمه كلحم صبي صغير [٣]٠ وعبر اليشع مع عدد من بني إسرائيل فوق نعل جاف في حين توقفت المياه في الأعلى على هيئة كومة ، والمياه في الأسفل كانت تتدفق داخل البحر ٠ ومن هنا أخذ بنو إسرائيل ١٢ حجرا من قاع النهر بعدد اسباط اسرائيل الاثني عشر [٤] ٠ وأشار يوحنا المعمدان إلى تلك الحجارة عندما قال " إن الله قادر ان يطلع من هذه الحجارة أولاداً

---

[١] متّى ٣ : ١٣-١٦ ٠

[٢] متّى : ٣ : ١٦ ، ومرقص ١ : ١ ، لوقا : ٣ ٠

[٣] الملوك الثاني ٥ : ١٤-١٥ " نزل نعمان إلى نهر الاردن وغطس فيه سبع مرات ، كما أمر رجل الله، فرجع لحمه كلحم صبي صغير ، وطهر من برصه " ٠ الملوك الثاني ٥ : ١٤- ١٥ ٠

[٤] يوشع ٣ ، ٤ ٠

لإبراهيم " [1]. وتناول ايليا رداءه وطواه ، ثم ضرب به الماء ، فانفلق النهر على شطرين، فاجتاز كلاهما فوق اليابسة [2]وأقام كثيرٌ من المتدينين في تلك المنطقة بجانب النهر لقداسته وملائمة مياهه .

الفصل الرابع والخمسون :

لقد قاموا ببناء دير على جبل طابور [3]احتراماً وتكريماً لذلك المكان . وطابور هذا جبل مرتفع ومنحدر وعليه تجلى المسيح مع موسى وايليا بوجود بطرس ويعقوب ويوحنا مبيناً روعة بعثة المستقبلي [4]. ويقع هذا الجبل في منطقة طبرية ليس بعيداً عن الحولة ، ويوجد عند سفحه جدول كيشون . وتقع جبال جلبوع (فقوعة) [5]على أحد جوانبه، وتقع بحيرة طبرية على الجانب الآخر . وفيما يتعلق بتلك الجبال ، فبعضهم يصرح عبثاً بأنه لا يسقط عليها ندى ولا مطر [6]، ولكن ذلك ثبت خطأه كما يقول هؤلاء الذين يقطنون في الأراضي المجاورة .وقام الرهبان السسترشيان والبريمو نستراتنسيان ببناء أديرتهم في مواقع مناسبة وترك كثير من هؤلاء بلادهم ومنازل آبائهم ، وأماكن طفولتهم ، رغبة في الأرض المقدسة ، علماً بأن الجماهير وازدحام الناس قد يكون عائقاً للدين . ومع هذا فقد اختاروا العيش وسط جماهير الناس ، بدلاً من حرمان أنفسهم من ميزة العيش في المدن المقدسة ، وهي بيت المقدس ، وبيت لحم ، والناصرة وهذه المدن تشبه أوعية البخور التي تعبق بالعطر ، فهي تعبق بوجود مخلصنا المسيح . حيث حملت العذراء بالمسيح في الناصرة وولدته في بيت لحم ، وفي بيت المقدس صلب من أجل انقاذنا من الآثام ومات ودفن .

---

(1) متّى ٣: ٩ .

(2) الملوك الثاني ٢ : ٨ .

(3) Ludolph , P.126- William of Tyre,vol.2,p.495-The Pilgrimage of Joannes Phocas in the Holy land, Trans. by Aubrey Stewart, London 1889,p.13 .

(4) متّى ١٧ : ١-٣ .

(5) صموئيل الثاني ١ : ٢١ . ذكرها المؤلف باسم جبال جلبوع .

(6) " يا جبال جلبوع لا يكن عليكن طل ولا مطر " صموئيل الثاني ١ : ٢١ cf, alsa: Ludolph,p.124

الفصل الخامس والخمسون :

إن بيت المقدس هي مدينة المدن [1]، وأقدس المقدسات ، عظيمة بين الأمم ، وأميرة بين الامارات ، وبامتياز خاص سميت مدينة الملك العظيم • وهي تقع في وسط الأرض ومركز العالم ، وسوف تتدفع إليها جميع الأمم [2]• لقد كانت ملكا للبطاركة ، والأم الحاضنة للأنبياء ، ومعلمة الحواريين ، ومهد عقيدتنا ومسقط رأس المسيح ، أم الايمان ، مثل روما التي تعتبر أم المؤمنين ؛ لقد اختارها الرب وقدسها ، وسار عليها المسيح باقدامه ، وكرمتها الملائكة ، وترددت عليها جميع الأمم (التي تعيش) تحت سماء هذه الدنيا • وتقع بيت المقدس على جبل مرتفع ، ومحاطة بأراضٍ ذات تلال من كل جانب في ذلك الجزء من سوريا الذي يدعى بلدانية القدس وفلسطين ؛ وتزخر بالعسل واللبن ، وتكثر فيها الحنطة والنبيذ والزيت وجميع النعم الدنيوية • وتفتقر المدينة لوجود الأنهار والبحيرات والعيون ، باستثناء عين واحدة تدعى سلوان [3]، تتدفق تحت جبل صهيون عبر وادي يهوشافاط ، وأحياناً تُغِلُّ مياه وفيرة ، على الرغم من شحة المياه في تلك المنطقة بشكل عام • ولكن يوجد في داخل المدينة وخارجها أحواض من ماء المطر تكفي لشرب الإنسان والحيوانات ولجميع الاحتياجات الأخرى • وللمدينة أسماء كثيرة مصادرها مختلفة ومتباينة طبقاً لمختلف الأمم واللغات • دعيت أولاً باسم يبوس ، ثم سالم ، ومنها يتكون

---

[1] مراثي ارميا ١ : ١ •

[2] " يَحدُثُ في آخر الأيام ، أن هيكل الرب من كل الجبال ، ويعلو فوق التلال ، فتتوافد إليه جميع الأمم • اشعياء ٢ : ٢ •

[3] عين سلوان : ماؤها عذب وجيد وهي تروي الحدائق الواسعة التي وقفها الخليفة عثمان بن عفان على فقراء المدينة • وتوجد عين سلوان في القسم السفلي من وادي قدرون (جهنم = مريم= وادي النار = وادي يهوشافاط) • وعين سلوان ليست نبعاً بالمعنى الصحيح بل هي خزان للماء الذي يجري اليها بوساطة قناة من عين العذراء المسماه عين ام الدرج ، ويأتيها الماء على فترات متقطعة أي حسبما يفيض الماء من العين التي فوقها • انظر : لي سترانج : المرجع السابق ، ص١٩٢ • (الترجمة العربية)

الاسم الثالث وهو جيروزلم Jerusalem • وتدعى أيضاً سوليما وهيروسوليما ولوزوبيت ايل • وكان ايليا آخر الأسماء نسبة إلى ايلوس القسطور الروماني [١] الذي أعاد بناء المدينة ، بعد أن دمرها فاسبسيان وتيطس [٢]• وكان اسقفها الأول يعقوب (جيمس)

---

[١] ايلوس هدريانوس Aelius Hadrianus : هو الامبراطور الروماني الرابع من سلسلة الاباطرة الذين حكموا بعد تيطس ، ويبدو أن يعقوب القتيري قد وقع في خطأ عندما اعتقد أن المدينة المقدسة بقيت مدمرة نحو ستين عاماً • والحقيقة أن ايلوس هدريانوس تولى حكم الامبراطورية الرومانية سنة ١١٧ م إلى ١٣٨م ، وقد حضر إلى فلسطين وحاصر بيت المقدس ودمرها عام ١٣٢، وبعد ذلك بثلاثة سنوات أمر باعادة بناء المدينة مرة أخرى ، وقد سميت المدينة ايليا كبتولينا تمجيداً لاسم الامبراطور ايلوس هدريانوس الذي حولها إلى مستعمرة رومانية وحرم على اليهود سكانها ، وقد أسكن جاليةً رومانية في المدينة • وقد اهتم هدريانوس بالحضارة اليونانية وكان لاهتمامه هذا أثر واضح في بعث نشاط فني يوناني في مصر ، وقد تجلى هذا في الرسوم الجميلة لوجوه الافراد التي وجدت على عدد من المميات المحنطة التي عثر عليها في منطقة الفيوم • وعندما فتح المسلمون بيت المقدس كانت تحمل اسم ايليا ومما يؤكد هذا أنها وردت في العهدة العمرية بهذا الاسم • Cf. William of Tyre, vol. 1, p. 341 –سايولف : وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة ، ص ٢٥ • يوحنا فورزبورغ : وصف الأراضي المقدسة في فلسطين ، ترجمة سعيد البيشاوي ، ط١ ، عمان " دار الشروق " ١٩٩٧م ، ص١٥ ، بورشارد: وصف الأرض المقدسة ، ص ١٣٤-١٣٥ ، مصطفى العبادي : الامبراطورية الرومانية " النظام الامبراطوري ومصر الرومانية " ، بيروت " دار النهضة العربية " بدون تاريخ، ١٣٨-١٣٩ ، أحمد سوسه : مفصل العرب واليهود في التاريخ ، ص٦١٢ •
(الترجمة العربية)

[٢] كان فاسبسيان أحد القادة الرومان العاملين في الشرق زمن الامبراطور الروماني نيرون ، وعندما تمرد السامره في مدينة شكيم حضر إلى المنطقة ودمر المدينة • وعندما توفي الامبراطور نيرون عام ٦٨ م أصبح فاسبسيان امبراطوراً وجعل ابنه تيطس قائداً عاماً في فلسطين • وخلال حكم فاسبسيان أمر ببناء مدينة جديدة بدلاً من مدينة شكيم حملت اسم فلافيا نيو بولس Neopolis أي مدينة فلافيا الجديدة ، والمقصود هنا مدينة نابلس • وفي عهد تيطس تمرد =

الحواري الذي ضرب بهراوة القصار ، وانتقل شهيداً إلى الرب • وبعده كان في بيت المقدس اساقفة ساذجين ليس لهم ذلك الوقار الظاهر ، واستمر ذلك حتى كنيسي عام عقد في مدينة القسطنطينية ، واحتراماً للمدينة المقدسة ، عينوا هناك بطريركا وزوده ببعض الأساقفة المساعدين الذين أخذوهم من بطاركة الاسكندرية وانطاكية ، وذلك لأن البطريركية الجديدة أسست على حدود البطريركيتين السابقتين • وفي كنسية الرب يصنف بطريرك المقدس بالمنزلة الرابعة بعد الأبرشية الأسقفية • ويوجد تحت سلطته أربعة رؤساء أساقفة (مطارنة) ، أولهم مطران صور الذي يحكم على أربعة أساقفة مساعدين وهم : أساقفة عكا ،وصيدا ، وبيروت ، وبانياس • وبانياس مدينة تدعى الآن بلنياس [1]؛ وتقع عند سفح جبل لبنان قريباً من دمشق • وهي حدود أرض الميعاد • والمطران الثاني أو رئيس الأساقفة هو صاحب قيسارية ولديه اسقف مساعد واحد وهو اسقف سبسطية •

الفصل السادس والخمسون :

كانت سبسطية تعرف باسم آخر قديم هو السامرة ، حيث دفن القديس يوحنا المعمدان وايليا وعبوديا الرسول • إن المدينة المسماة بحيفا أو بوڤيريا ، لم يكن لديها مطران ولكنها تقع مباشرة تحت سلطة رئيس أساقفة قيسارية • والمطران الثالث هو صاحب الناصرة الذي لديه أسقف مساعد واحد هو مطران طبرية • وتقع مدينة طبرية على ساحل بحيرة طبرية في سهل الحولة • وتكثر فيها الحنطة والنبيذ والسمك •وكانت أبرشية رئيس الأساقفة في السابق تقع في مدينة سكيثوبولس التي تدعى الآن بيسان وهي تقع في السهل الواقع بين جلبوع (فقوعة) ونهر الأردن • وهذه مدينة كثيرة الثمار وتروى جيداً من مياه الجدول والآبار وفي وقت ما كانت العاصمة المطرانية (الأسقفية) نقلت إلى مدينة الناصرة بسبب عراقة المكان وبدافع من الإحترام للمسيح • والمطران الرابع هو صاحب البترا الذي كان لديه مساعد واحد فقط ، والمطران اليوناني على جبل

= اليهود في بيت المقدس ، فحضر تيطس إلى المدينة وحاصرها فتره طويلة من الزمن ثم اقتحمها وقتل أعداداً كبيره من اليهود والمسيحيين • (الترجمه العربية)

[1] قارن مع بورشارد من دير جبل صهيون : وصف الأرض المقدسة ص٤١ •

سيناء ، وصاحب كنيسة القديسة كاترين العذراء ورئيس رهبان الأردن على حدود مؤاب وهي المدينة العاصمة للعربية الثانية وتحدث أشعياء عن ذلك المكان قائلاً : أرسل الحَمَل إلى حاكم الأرض من سالع [1] (البترا Margin:Petra) إلى الصحراء [2]. وهي تقع قرب مدينة قديمة جداً تدعى رابوث التي ذبح اوريا أمام بوابتها بتحريض من داود.

الفصل السابع والخمسون :

إن بطريرك بيت المقدس له أساقفة مساعدون يعملون تحت سلطته مباشرة مثل صاحب بيت لحم والخليل واللد . وكانت كنيسة بيت لحم ديراً للكهان المترهبنين ، حتى عهد بلدوين ، أول ملك لاتيني لمملكة بيت المقدس . وقام هذا الملك – بدافع من الاحترام لعظمة المكان ، حيث مسقط رأس المسيح – برفع منزلة هذه الكنيسة إلى كاتدرائية ،وعيَّن فيها مطراناً بتكليف من البابا باسكال [3]صاحب الذكر الطيب ، الذي منحه سلطة مباشرة على مدينة عسقلان . وبالطريقة نفسها ، كانت كنيسة الخليل ديراً في السابق ، وقد رفعت إلى درجة الوقار الأسقفي ، بسبب عظمة المكان ، واحتراماً لعباد الله الصالحين المدفونين

---

[1] ذكرها يعقوب القتيري سلع Sela .

[2] أشعياء ١٦ : ١ " أيها الهاربون من مؤاب إلى سالع في الصحراء ، أرسلوا حملاناً إلى ملك يهودا في أورشليم ... " أشعياء ١٦ : ١ .

[3] البابا باسكال الثاني : تولى عرش البابويه في الفتره الواقعة بين سنتي ١٠٩٩–١١١٨ م . وقد شهد عهده عدة أمور هامه في الشرق إذ استولى الفرنجه على بيت المقدس ، ومعظم المدن الفلسطينية ، كما جرت مراسلات بينه وبين الأمراء اللاتين في الشرق ، كم اتخذ بعض القرارات لصالح بطريركية بيت المقدس ، عندما أعلن بأن المقاطعات والمدن التي استولى عليها بلدوين الأول ، وتلك التي سيستولي عليها في المستقبل ، تخضع لسلطة مملكة بيت المقدس ، وقد أرسل في هذا الشأن عدة رسائل للملك بلدوين الأول ، والى البطريرك جبلين . وقد توفي باسكال الثاني يوم الجمعة الموافق ١٨ يناير سنة ١١١٨م . Cf. William of Tyre , vol 1, pp . 508-513,523

Cf. alsa: Hamilton,B., The Latin Church of the Crusades states, London 1980, pp.67-68

انظر : سعيد البيشاوي : الممتلكات ، ص ١١٦ ، هامش ٢ . (الترجمة العربية)

في الكهف المزدوج هناك وهم آدم ، وحواء [١] ، والبطاركة الثلاثة إبراهيم ، واسحق ، ويعقوب بالإضافة إلى سارة رفقة والأسماء القديمة للخليل هي : عربة ، وقريات أربع ٠ وكانت مدينة اللد ، في وقت ما ، تدعى ديوسبوليس وتسمى الآن القديس جورج ٠

الفصل الثامن والخمسون :

وعلاوة على ذلك ، فإن للبطريرك ، سالف الذكر ، سلطة على رهبان ، وكهنة يتميزون بحمل شارة الوقار الأسقفي ، وهيئة من رجال الدين يقومون بمساعدة البطريرك بكل وقار واحترام لأداء الخدمات الربانية ٠ إن الكنيسة البطريركية هي كنيسة الضريح المقدس (كنيسة القيامة) الواقعة عند أسفل جبل (الجمجمة) ٠ وفي هذه الكنيسة ، يقيم بانتظام رهبان ويمثلون تحت قيادة القديس أوغسطين ، وكان لهؤلاء كاهن أكبر ، من واجبه اختيار البطريرك ، بالتعاون مع هؤلاء الرهبان وهو يمثل ، بالنسبة ، لهم منزلة الراهب الكبير ٠ ويقيم في كنائس معبد الرب، وجبل صهيون ، وجبل الزيتون رهبان وكهنة يقومون بخدمة الرب ، طبقاً لنظام القديس أوغسطين ٠ وفي كنائس وأديرة القديسة مريم اللاتينية ووادي يهوشافاط هناك رهبان مع كهنة سود يقومون بخدمة الرب طبقاً لنظام القديس بندكت ٠ وفي بيثاني [٢]قرية مريم ومارثا وأخيهما لعازر - الواقعة على مسافة ٥٠

---

(١) Jerome , Pilgrimage of st . Paula, P. 11 .

(٢) قرية بيثاني Bethany : من القرى الفلسطينية المشهورة التي ما زالت قائمة حتى الآن تحت اسم قرية العيزرية ٠ وقد تم انشاء القرية على احدى الروابي الواقعة جنوب شرق بيت المقدس وأسست الملكة الفرنجية ميلسند ، ابنة الملك بلدوين الثاني ، ديراً في القرية عرف باسم دير بيثاني٠ وقد تطورت القرية واتسعت ، إذ يمكن ان يطلق عليها بلدة في الوقت الحاضر ٠ انظر : يوحنا فورزبورغ : وصف الأراضي المقدسة في فلسطين ، ص ١٦ ، هامش ١ ، مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ٢ ، ق٢، ص ١٤٢-١٤٧ ، سعيد البيشاوي : الممتلكات الكنسية ، ص٢٢٣ ، هامش ١ ، Cf also : Grousset, R. , op. cit, vol.2, p. 161

وقد وصفها الرحالة الروسي دانيال الراهب بقوله : " هي قرية ريفية صغيرة على بعد فرستين (ميلين) جنوب بيت المقدس ، وعند دخول بوابة القرية ، من الناحية اليمنى، يشاهد المرء كهفاً-

ستيديا [1]من بيت المقدس ، وراء جبل الزيتون ، وعلى منحدر ذلك الجبل- تقع كنيسة القديس لعازر ، وفيها رئيسة راهبات ، وراهبات يعملن حسب تعاليم القديس بندكت • وهناك بيثاني [2]أخرى فيما وراء نهر الأردن ، حيث قام يوحنا بالتعميد • وتتبع كنيسة القديسة حنة ، التي انجبت أم المسيح ، للنظام نفسه ، وهي تقع بمحاذاة بوابة يهوشافاط [3] قرب بركة الضأن في الموضع الذي يقال إن مريم العذراء قد ولدت فيه ؛ وتقيم هناك رئيسة الراهبات مع عدد من الراهبات السوداوات اللواتي يقمن بخدمة الرب حسب تعاليم القديس بندكت وهي تشبه وعاء (قدر) البخور ، وكانت مليئة بالناس الورعين الأتقياء الذين لم يجبروا أن يكونوا هناك بدافع من العوز أو الفقر ، ومع ذلك فقد فقدوا صرامتهم في الدين ، وصدق حياتهم ودفء حنانهم وإحسانهم • وعلى جبل طابور ، هناك كنيسة للرهبان السود تحت سلطة رئيس أساقفة الناصرة • ولا يوجد في مدينة يافا مطران،

= فيه ضريح لعازر ، والقبو حيث أصابه المرض ووقع ميتاً " • وأشار دانيال إلى وجود كنيسة واسعة زينت بالرسوم الرائعة في وسط قرية بيثاني • انظر : رحلة الحاج الروسي دانيال ، ص٦٣ •

[1] الاستيديا : مقياس لقياس المسافات الطويلة يساوي حوالي من ٦٠٧ – ٧٣٢ قدماً •

[2] المقصود هنا بيت عبرا الواقعة فيما وراء الاردن •

[3] بوابة يهوشافاط : عرفت بعدة أسماء أهمها : بوابة ستنا مريم ، وبوابة الاسباط ، وبوابة الضأن ، وبوابة الاسود • وتعتبر هذه البوابة من أشهر بوابات بيت المقدس ، لأنها بمثابة المدخل الرئيس للمدينة المقدسة من الجانب الشرقي ، وهي تقع شمالي الحرم الشريف باتجاه الشرق • وقد دعيت باسم بوابة الضأن ، لأن الأغنام التي كانت تقدم للأضاحي في المعبد كانت تساق عبر هذه البوابة ، بسبب وجود بركة الضأن قربها • ودعيت أيضاً بوابة الوادي ؛ لأن الطريق الذي يمر عبرها يؤدي إلى وادي يهوشافاط • ويقع قبر السيد العذراء على بعد رمية حجر منها • وسميت أيضاً بوابة عين التنين ؛ لأنه كان يوجد خارجها نبع يدعى عين التنين • انظر : بورشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص٢٨ ، ١٤٦ –١٤٧ ، رائف نجم وآخرون : كنوز القدس ، ط١ ، ميلانو " مؤسسة آل البيت ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة " ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٣٥٢ • (الترجمة العربية)

ولكنها تتبع مباشرة سلطة رئيس الرهبان او الكهنة في كنيسة الضريح المقدس • وبالطريقة نفسها مدينة نابلس التي تدعى سوخار [١] ، حيث يوجد بئر يعقوب ، الذي تحدث بجانبه المسيح مع المرأة السامرية [٢]، فهذه المدينة ليس لها أسقف ، ولكنها تتبع مباشرة رئيس رهبان معبد السيد • وهناك أيضاً مدن أخرى كثيرة في أرض الميعاد ، كان لها أساقفة من الكنائس السورية ، أو اليونانية ، على الرغم من عددهم وفقرهم وذلك قبل عهد اللاتين ، وقد أخضع اللاتين كثيراً من الكنائس الكاتدرائية ، والمدن لسلطة مدينة كاتدرائية واحدة خشية أن تصبح منزلة الأسقف وهيبته رخيصة • دعنا نضف الآن وصفا لتلك الأماكن البارزة لقداستها بين الأماكن الموقرة الأخرى •

الفصل التاسع والخمسون :

وتقع الناصرة بين جبلين ، وهي مدينة صغيرة قريبة جداً من المدخل المؤدي إلى طبرية في الغرب ، ويوجد ، بين الناصرة وصفورية ، ينبوع تتدفق مياهه الصافية بشكل غزير ويدعى نبع صفورية [٣] وكان ملوك بيت المقدس يميلون لتجميع جيوشهم في هذا المكان لوجود الماء والكلأ ، وطبقاً لما يقوله بعضهم ، فإن مريم العذراء المباركة كانت قد ولدت في هذه المدينة [٤]؛ ولا يوجد هناك من شك بأن العذراء المباركة كانت تسكن هناك بعد خطبتها ليوسف ، وهناك أرسل الملاك معلناً بداية إنقاذنا • وهذه المدينة المقدسة أحبها الله حيث تحولت الكلمة إلى لحم [٥]، ودم ، والزهرة التي يفوق أريجها جميع أنواع العطور ترعرت في رحم العذراء ، ولهذا فسر اسمها بشكل صحيح بأنه الزهرة [٦]•

---

[١] يوحنا ٤ : ٥-١٠ •

[٢] يوحنا ٤ : ٥ - ١٠ •

[٣] ذكره يعقوب الفتيري باسم نبع سيفور Siphor وكان يعرف باسم نبع صفوريس ويدعى الآن عين صفورية •

[٤] لوقا ١ •

[٥] يوحنا ١ •

[٦] أشعياء ١١ •

وتتميز هذه المدينة عن جميع المدن الأخرى ، بأن المسيح مخلصنا ومنقذنا قد ولد فيها [١] ، وتحت اقدامه وضع الله جميع الأشياء في السماء والأرض ، وهيأها لتكون خادمة لوالديه. وتقع مدينة بيت لحم على منحدر جبال القدس ليس بعيداً عن المدينة المقدسة ، إذ تبعد عنها مسافة أربعة أميال ، ونشاهد ، في مدينة داود ، هذه الكنيسة الكتدرائية المقدسة والمكرمة للعذراء المباركة .ويفسر اسم بيت لحم بأنه بيت الخبز ، حيث ولد الخبز الحقيقي الذي نزل من السماء . ويوجد هنا ايضاً المذود ، الذي تفضل السيد المسيح بالاستلقاء عليه ، وكانت " السماء عرشه والأرض موطئ قدمه " [٢] . وهنا في هذا المكان ، وجد الرعاه طبقاً لارشاد الملائكة الطفل ملفوفاً بملابس رثة مع أمه العذراء ، حيث حضر المجوس الثلاثة إلى تلك المدينة سالفة الذكر ، مسترشدين بنجمه ، وبتواضع عبدوا الرب الذي ولد ، وقدموا له هدايا روحية . وفي هذه المدينة قام الملك الآثم هيرود [٣]، عدو الإيمان ، بالبحث لقتل المسيح ، وقام بقتل كثير من الأبرياء . وهنا يستقر ضريح راحيل [٤]زوج يعقوب التي توفيت في المكان نفسه بعدما ولدت بنيامين ، ومن هنا جاءت المرأة نعمي [٥] التي أحضرت راعوث المؤابية من البتراء في الصحراء ، والتي اتخذها بوعز [٦]زوجة له، والتي من بذرتها جاء المسيح سيد الأرض لابنه صهيون [٧]. واشتاق داود لماء بئر

---

[١] أخطأ يعقوب القُتيري في اشارته إلى ان المسيح عليه السلام ولد في مدينة الناصرة لأن مولده كان في مدينة بيت لحم .

[٢] أشعياء ٦٦ : ١ .

[٣] لوقا ٦ .

[٤] تكوين : ٣٥ : ١٩ Fabri , op. cit, Vol. 1, p. 566

[٥] راعوث ١-٢ .

[٦]بوعز : كان من أسياد قومه ، وذو ثراء عظيم ، تقي كريم وديع النفس فضلاً عن أنه كان جباراً واسع الحيلة . انظر : القس الياس مقار : نساء الكتاب المقدس ، ط٣ ، القاهرة " دار الثقافة " بدون تاريخ ، ص ١٢١ . (الترجمة العربية)

[٧] أشعياء ١٦ : ١ .

بيت لحم راغباً في شرب مياه الحكمة ، والانقاذ من بئر السيدة العذراء٠ والقديس جيروم ، الذي ترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية ، اختار لنفسه هذه المدينة المقدسة ، التي أحبها الله، حيث يقوم بخدمة الرب ، والمدفون جثمانه الغالي تحت الثرى ٠ وكذلك القديسه بولا [١] ، وابنتها ايستوكيوم [٢] إلى جانب كثير من العذارى الأخريات اللواتي وهبن أنفسهن لخدمة الرب ، والتأمل الألهي في الرهبنة هناك ، واحتقرن كل مظاهر الجمال

---

[١] القديسة بولا : ولدت في مدينة روما في حدود سنة ٣٤٧م ، وقد أشار القديس جيروم إلى أنها تزوجت من السناتور توكسوتيوس ، الذي توفي وترك لها خمسة أطفال ، وكانت بولا عند وفاة زوجها في سن الثلاثة والثلاثين من عمرها ٠ وقررت القديسة بولا في سنة ٣٨٥م الاستقرار في بيت لحم بجوار القديس جيروم ، ورافقتها في تلك الرحلة ابنتها ايستوكيوم ٠ وقد احتلت القديسة بولا مركزاً مرموقاً من بين النساء اللاتي عملن مع القديس جيروم ٠ وقد أسست نزلاً للنساء وآخر للرجال ، وتعلمت اللغة اليونانية من والدها ، كما اتجهت نحو دراسة اللغة العبرية ، وقد أفادها ذلك عندما توجهت إلى دراسة الكتاب المقدس تحت اشراف استاذها ، ومن المعروف أنها توفيت في بيت لحم سنة ٤٠٤م ، ويحتفل بعيدها في السادس والعشرين من شهر يناير من كل سنة ٠ انظر : يوحنا فورزبورغ : المصدر السابق ، ص٩٢ ، هامش ١ ، محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، صفحة ٣٠-٣١ ٠ Cf. also: Attawater , D., op. cit, pp . 269-270.

(الترجمة العربية)

[٢] القديسة ايستوكيوم Eustichium : ولدت في روما سنة ٣٦٨ ، وكانت ترافق القديس جيروم خلال اقامته في بيت لحم ، وغدت تلميذة متفوقة ، وتعلمت اللغة اليونانية ، كما أنها درست اللغة العبرية شأنها في ذلك شأن والدتها ، وقد أفادها ذلك دون شك في دراسة الكتاب المقدس ، وعندما توفيت بولا سنة ٤٠٤م احتلت ايستوكيوم مكانها في مرافقة الارامل في بيت لحم ، وقد توفيت ايستوكيوم في بيت لحم سنة ٤١٩م ويحتفل بعيدها في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر من كل سنة ٠ انظر : يوحنا فورزبورغ : المصدر السابق ، ص٩٣ ، هامش ١ ، بورشارد من دير جبل صهيون : المصدر السابق ، ص١٥٦ ، محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ، ص٣١ ٠

Cf. also: Attawater , D., op. cit , P .124.

(الترجمة العربية)

الخارجي حبا وكرامة للسيد المسيح ، وتفانياً من أجل هذا المكان المقدس.

الفصل الستون :

تفوق مدينة بيت المقدس جميع الأماكن والمدن الاخرى ، من حيث القداسة والعظمة، كما لو كانت تفوح برائحة بستان مثمر ، حيث باركها المسيح ، وكشف بشخصه أسرار النصرانية ، وطقوس انقاذ البشرية من الخطيئة . وقد استقطبت هذه المدينة عدداً كبيراً من الاتقياء ، الذين قاموا بزيارة كثير من الأماكن المقدسة في أوقات ومواسم مختلفة، بروح متقده حماسه لا نظير لها ، وكانوا متفانين بعملهم ، وعانت أرواحهم وأنفسهم كثيراً من عدم الراحة والرقاد ، لأنهم كانوا لا يألون جهداًبأن يبقوا في حالة من اليقظة طوال الوقت بدافع من حبهم الخالص . ويجب أن تبقى هذه المدينة حية في ذاكرتنا على الدوام طالما نذكرها باستمرار، وهي تقع على جبل مرتفع ، ويحيط بها من كل جانب سور قوي وتتميز بالوسطية حيث إنها لا تبدو واسعة أو ضيقة . وتمتد مسافة أربع رميات قوس من جانب إلى الجانب الآخر . وتظهر في الجانب الغربي قلعة من الحجارة المربعة متماسكة مع بعضها بعضاً بوساطة الملاط والرصاص المذاب . وهي تمثل ، في أحد جوانبها سوراً للمدينة وتسمى برج داود ، ويقع جبل صهيون في الجهة الجنوبية من المدينة ، حيث أقام داود في قلعة صهيون بعد أن قام بطرد اليبوسيين ،منها واطلق عليها إسم مدينة داود ، ويقع جبل الزيتون في الشرق . وكان جبل كالفرى أو الجمجمة يقع خارج أسوار المدينة ، حتى عهد الامبراطور إيلوس هدريانوس . وتم صلب السيد المسيح على هذا الجبل في المكان الذي يدعى الجلجثة ، ويقع بالقرب من ذلك المكان ضريح المسيح عند أسفل جبل الجمجمة . وهناك حدثت آلام السيد المسيح ودفن خارج البوابة [1]. ولكن إيلوس هدريانوس المذكور أعاد بناء المدينة التي كانت قد دمرت على يد تيطس وفسباسيان ، وقام هدريانوس بتعبيد شوارع المدينة وأزقتها ، وعمل مصارف ليتم تنظيف المدينة من الأوساخ أثناء هطول الأمطار .

---

[1] رسالة القديس بولس إلى العبرانيين ١٣ : ١٢ . ورد في رسالة القديس بولس : " فلذلك يسوع ايضاً تألم خارج الباب ليقدس الشعب بدمه "

الفصل الحادي والستون :

وقام هدريانوس بتوسيع المدينة بشكل كبير ، وأحاط ضريح المسيح بدائرة من الجدران • وقام المسيحيون ، بعد ذلك ببناء كنيسة عظيمة في ذلك المكان ، هي كنيسة البعث ، وتم تشيدها بمهارة واتقان على شكل دائري ، وبفتحة علوية ، وذلك بدافع من الاحترام لضريح السيد • وهذه الكنيسة تتصدر الأماكن المقدسة الأخرى جميعها • ويجثم، في هذا المكان جسد المسيح الطاهر [١] ، الذي دفن بالمر [٢] والألوه [٣] حتى اليوم الثالث • لكنه نهض من مرقده ثانية في اليوم الثالث • "وظهر الملاك هنا للمرأتين ، وصار الجنود الذين يحرسون القبر كأنهم موتى "[٤] • وهنا في ليلة بعث المسيح تنزل النار من السماء • والآن عندما تقرأ في أنحاء الدنيا هذه الكلمات " نهض المسيح من الضريح والذي شنق من أجلنا على شجرة " • عندما تقرأ هذه الكلمات أمام المؤمنين ، فإن كهنة كنيسة الضريح المقدس يتمتعون وحدهم [٥] بالقول " نهض المسيح من الضريح " وفي الإشارة المرئية إلى ذلك • ونقرأ بالطريقة نفسها في الإنجيل " أنه ليس هنا ، لقد بُعِث " • والشماس الذي يقرأ الانجيل ، يشير باصبعه إلى ضريح المسيح • إن المكان المدعو الجمجمة ، وفي العبرية جلجوثا يتصل ، بكنيسة ضريح المسيح ، ويحتل مكانة بارزة بين الأماكن المقدسة ، ويتسم بقوة عظيمة ليؤثر على القلب حيث ذكرى آلام المسيح • وهنا حدث أن عانى المسيح من أجل انقاذنا ، لقد نزعت عنه ملابسه وثُبِّتَ على الصليب بالمسامير ، وأعطي المر والخل

---

[١] يوحنا ١٩: ٣٩ ، مرقس ١٦: ١ •

[٢] المر : صمغ راتينجي يخرج من ساق شجر المر •

[٣] الألوة : الصبر، نبات يستخرج من بعض أنواعه عصارة مرّة تدعة aloes وتستعمل في الطب كمسهل •

[٤] متّى ٤ :٢٨ •ورد في النص الأصلي في العهد الجديد " ولما رآه الجنود الذين كانوا يحرسون القبر أصابهم الذعر وصاروا كأنهم موتى • فطمأن الملاك المرأتين "• انظر : متّى ٢٨:٤–٥ •

[٥] Ludolph , op . cit ., P. 107 .

ليشرب وسخر منه اليهود ، وأحاط به الآثمون ، ثم عذب حتى الموت المخزي [١]، وصلى من أجل قاتليه ، وأوصى الحواريين بالعناية بوالدته ، ووعد بالنجاه للص ، وبكى بصوت مرتفع ، مسلماً الروح وهو يذرف الدموع ، ونزف الدم ، وسال الماء من جنبه المطعون [٢]لكي يغسل خطايا البشرية ٠ وهنا تقاسموا ثيابه [٣]بينهم ، وألقوا بأجزاء من ردائه ، وعند ذلك اهتزت الأرض وتشققت الصخور ، ونزل دمه على الأرض وأظلمت الشمس ، وحجبت نورها ٠ وعند زيارة ذلك المكان ، فإن هذه الأفكار تقع في قلوب الحجاج المرهفة المؤمنة موقعاً تجعلهم يذرفون دمع الحزن والشفقة ٠

وأما بالنسبة لمدينتنا المنيعة صهيون [٤] ، وهو جبل يتسم بالوفرة [٥] ، حيث اشتهاه الله لساكنيه[٦]، جبل يُدرُّ الحلاوة وأقراص العسل ، وزهور ذات أريج عبق ، يلمس ويريح ويعيد عقول الآثمين ، ولقداستها العظيمة الفائقة ،فهي تنشط تلك العقول وتغذيها٠ وهنا بقي المسيح في عيد الفصح مع حوارييه ، وأخذ منشفه لفها على وسطه وغسل أقدام الحواريين [٧] ، ثم أقر العهد الجديد والخبز الذي تحول في داخل جسمه ، والنبيذ الذي اختلط بدمه ، وعلم أتباعه بحديثه المقدس ، وهنا جثم يوحنا على صدره الكريم ، وعاشت العذراء المباركة ، بعد وفاة ابنها ، مع يوحنا الذي أوكل إليه العناية بها ٠ وهنا ظهر

---

[١] يوحنا ١٩ : ٣٠ ، مرقس ١٥ : ٢٠ ٠ هذا حسب الاعتقاد المسيحي أما بالنسبة لنا كمسلمين فإن المسيح عليه السلام لم يعذب ولم يصلب أو يقتل وإنما رفعه الله سبحانه وتعالى إلى السموات العلى ٠ (الترجمة العربية)

[٢] يوحنا ١٩ : ٣٥ ، لوقا ٢٣ : ٤٧ ٠

[٣] متى ٢٧ : ٣٥ ٠

[٤] اشعياء ٢٦ : ١ ٠

[٥] Fabri,op . cit., vol .1, p. 498, vol.2 , p. 560 .

[٦] المزامير ٦٨ : ١٦ ٠

[٧] يوحنا ١٣ ٠

المسيح لحوارييه [1] ، عندما كانوا جالسين ، والأبواب موصدة عليهم ، وعلاوة على ذلك ، وبعد صعود المسيح ، بقي الحواريون في هذا المكان حتى يوم عيد الحصاد ، منتظرين مجيء الروح المقدسة الموعود بالصيام والصلاة ٠ وهنا عندما جاء يوم عيد الحصاد أصبحوا أقوياء باستقبال الروح القدس على هيئة لهب من النار ، بالاضافة إلى معرفة الألسن كلّها ٠ وأيضاً في هذا المكان ، وعند سماع الصوت المفاجيء في السماء ، جاء عدد كبير من اليهود ، الذين أعلن لهم القديس بطرس عن نبوءة يوئيل[2] ، وتحول كثير منهم للرب ٠ كل هذه الأشياء تبرز هذا المكان ليحتل منزلة ماجدة فوق الأماكن المقدسة الأخرى كلّها ، وتمنحه وقاراً خاصاً متميزاً ، وعظمة مميزة ٠

الفصل الثاني والستون :

إن معبد الرب المقدس ، الذي قام ببنائه سليمان على جبل موريا [3]، على بيدر أورنان اليبوسي ، لا يضاهى ، ويفوق الأماكن المقدسة الأخرى ، وعلى الرغم من أنه كان قد دمر أولاً ، من قبل البابليين [4]، ومرة ثانية من قبل الرومان [5]، إلا أنه قد أعيد بناؤه من قبل المخلصين والمتدينين في الموقع نفسه ، في بناء مستدير ، وصناعة رائعة مدهشة، ويقال إن الملاك المهلك [6] ، قد وقف في هذا المكان على صخرة ما تزال موجودة في المعبد ، وظهر لداود (عليه السلام) ، وقام بقتل عدة الآف من أبناء اسرائيل ، بسبب معصية

---

[1] لوقا٢٤: ٣٦ " وقف يسوع نفسه في وسطهم ، وقال لهم سلام لكم ! " لوقا ٢٤ : ٣٦ ٠

[2] يوئيل ٢ : ٢٨ - ٢٩ ٠

[3] الملوك الثاني ٢٥ : ٨-١١ ٠

[4] هاجم البابليون بقيادة نبوخذ نصر ، مدينة بيت المقدس بسبب تمرد اليهود عام ٥٨٦ ق ٠ م ، وارتكب المهاجمون مجزرة رهيبة ضد سكان المدينة ، ومن تبقى تم سبيه إلى مدينة بابل ، حيث قضى اليهود في السبي نحو ٤٨ عاماً ، وبعد ذلك أعاد قورش الفارسي اليهود إلى فلسطين ٠

[5] قام اليهود بثوره زمن تيطس الروماني الذي هاجم بيت المقدس عام ٧٠ م ، وقتل أعداداً كبيرة من اليهود والمسيحيين ، وأخرج من تبقى منهم إلى خارج حدود بيت المقدس ٠

[6] صموئيل الثاني ٢٤٠

ترقيم أو إحصاء الناس التي جرت بناء على أمر داود ، ولذلك يقول المسلمون ، عن معبد الرب ، إنه الصخرة [1] حتى هذه الايام ، ويتعاملون معه بوقار حتى أن أحدهم لا يجرؤ على تدنيسه بأي نوع من الأوساخ كما يفعلون بالأماكن المقدسة الأخرى [2]، وهم يأتون من أماكن بعيدة ليتعبدوا هناك منذ عهد سليمان وحتى الوقت الحاضر • وعندما يتمكنون من امتلاك المدينة المقدسة ، فإنهم سوف يضعون ذكرى محمد (ﷺ) نصب أعينهم ، ولن يسمحوا لأي مسيحي بالدخول إليه• ويقول بعضهم إن تابوت العهد مخبأ في الصخرة المذكورة ، حتى يومنا هذا ، حيث إن يوشع [3] ، ملك إسرائيل ، عندما رأى أن دمار المدينة كان وشيكاً ، أمر بأن يوضع التابوت في أقدس المقدسات ، في معبد الرب ، ويخبأ هناك• ولكننا نقرأ ، في كتاب المكابيين الثاني [4] ، بأنه عندما اقترب أسر المدينة ذهب أرميا النبي إلى الجبل[5]، الذي صعد عليه موسى ، ورأى آيات ربه ، وأخذ ارميا وعاء خبز القربان ، وتابوت العهد ، ومذبح البخور داخل كهف وجده هناك ، ووقف عند باب الكهف قائلاً : " بالنسبة لذلك المكان ، سيبقى مجهولاً حتى يجمع الله عباده مرة ثانية ، ويلقاهم برحمته ، عندها سوف يريهم المسيح تلك الأشياء وعندها ستظهر روعة المسيح "• وفي هذا المكان المقدس ، أنجز سليمان عمله بتقديم القربان "وملأ مجد الرب البيت "؛[6] وظهرت روعة الرب ، ونزلت نار من السماء ، وأكلت ما قُدِّم لها من أضاحي وقربان، وملأ مجد الرب الهيكل ، ولم يتمكن الكهنة من الدخول إلى بيت الرب ،لأن مجد الرب

---

(1) مسجد قبة الصخرة •

(2) لم يعرف عن المسلمين أنهم تعرضوا للأماكن الدينية غير الإسلامية بمثل الاعمال التي ذكرها مؤلف هذا الكتاب •

(3) أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ٧ ، ٣٥ : ٣ •

(4) المكابيين الثاني : ٥ - . Fabri , op. cit., vol.2,p.182 •

(5) جبل نيبو Nebo •

(6) الأخبار الثاني ٧ : ١-٣ •

ملأه• وشهد جميع بني اسرائيل نزول النار ، ومجد الرب على الهيكل [١]• " ثم ركع سليمان باسطاً ذراعيه باتجاه السماء ، وصلى داعياً ربه بأن يجيب دعاء كل من دخل المنزل، وعندها أجابه الرب قائلاً :" لقد سمعت دعاءك ، ورأيت كل ما قدمته أمامي ، لقد طهرت هذا المكان الذي بنيته من أجلي ، والآن ستظل عيوني مفتوحة وآذاني ستسمع ، وتجيب الدعاء في هذا المكان ، وانني اختبرت هذا المكان ، وطهرته لنفسي•" ونقرأ عن هذا المكان في الكتاب الثاني للمكابيين ، بأنه أرسل هيلودورس من قبل الملك سلوقس [٢] للاعتداء ، وانتهاك الحرم ، والاستيلاء بالقوة على المال الذي كان موعداً بالخزنة هناك ، عند ذلك ظهر فرس عليه راكب مخيف ، وجهازه فاخر ، فوثب وضرب هليودورس بحافات يديه ، وكانت عدة الراكب كأنها من ذهب • وتراءى أيضاً لهليودورس فَتَيَان عَجِيَا القُوه بَديعا البهاء ، حسنا اللباس فوقفا على جانبيه يجلدانه جلداً متواصلاً حتى أثخناه بالضرب " [٣]• ويقال إن العذراء المباركة ، كانت تقوم بالخدمة مع عذارى أخريات في ذلك المكان ، قبل خطبتها ليوسف ، وقد كنّ يعملن بصناعة الأوعية والملابس واعدادها للكهنة ، ويتعلمن عن الرسالات المقدسة ، والصيام ، والتأمل ، والصلاة ، ويقمن بدراسة الإنجيل والنصوص الدينية المقدسة بشكل واعٍ • وقد قيل إنه عندما أحضرت العذراء من قبل والديها ، وهي طفلة لتخدم في معبد الرب ، قامت العذراء بصعود الدرجات المؤدية إلى المعبد دون صعوبة تذكر ، وقد بدا ذلك مدهشاً في نظر الناس جميعهم ، وهو شيء لم يسمعوا به من قبل ، وذلك أنه لم يقم طفل من قبل بعمل شيء مماثل من هذا القبيل• وقام زكريا بتقديم البخور للرب في هذا المكان [٤]، عندما ظهر له الملاك وأخبره بأن الله قد سمع دعاءه – حيث أن جميع الكهنة كانوا يصلّون لله وقت البخور لمجئ المسيح ،

---

[١] المكابين الثاني ٣ : ٢٥-٢٧ •

[٢] ذكره يعقوب القُتيري باسم أنطوخيوس والصحيح أنه الملك سلوقس •

[٣] المكابيين الثاني ٣ : ٢٥-٢٧ •

[٤] لوقا ١ : ٩-١٤ •

وتحرير الناس – وأضاف الملاك بأن زوجته العاقر اليصابات سوف تحمل منه بولد [1] ٠
وفي هذا المكان قُدِّم سيدنا اليسوع المسيح من قبل والديه مع حمامة ، وأخذه سمعان بين ذراعيه وتحدثت عنه الأرملة المقدسة حِنّة إلى جميع هؤلاء الباحثين عن الخلاص من الخطيئة في بيت المقدس٠ وهنا عندما بلغ المسيح سن الثانية عشرة ، جلس بين الأطباء يستمع إليهم ويطرح عليهم الأسئلة ، وجميع الذين سمعوه ذهلوا من فهمه وأجوبته [2] ٠
وعندما ذهب إلى المعبد للصلاة ، قام بابعاد هؤلاء الذين كانوا يبيعون ويشترون ، وقام بقلب طاولات صرافي العملة ، ومقاعد بائعي الحمام قائلاً " إن بيتي سوف يدعى بيت الصلاة "٠ وقام ذات مرةٍ بالصعود إلى برج المعبد ، حيث حاول الشيطان إغواءه مقترحاً بأن يقوم المسيح بتدمير نفسه٠ وعندما أصبحت آلام المسيح وشيكة الوقوع ، كان يقضي اليوم كله في الوعظ والتعليم ٠ وفي المساء كان يذهب إلى بيثاني (العيزرية) ويعود مع بزوغ الفجر ٠ وعند وفاته تشقق ستار هذا المعبد ، من القمة إلى القاع ، ليفتح الطريق إلى داخل قدس الأقداس ٠ ومن برج هذا المعبد سقط القديس جيمس بينما كان يصلي ، وتلقى صولجان شهادته بوساطة ضربه من عصا القصار [3]، ويوجد في القدس أيضاً ، معبد آخر ذو حجم هائل ، ومساحة كبيرة نسبة إليه يطلق على الرهبان المقاتلين إسم فرسان المعبد ، وهذا المعبد يدعى معبد سليمان ، ربما للتفريق بينه وبين معبد الرب ٠ إن جبل الزيتون ، جبل الخصوبة ، وهو جبل الأنوار الثلاثة ، التل المقدس المقبول يقع على بعد ميل واحد من بيت المقدس ، ويقع على منحدره بيت فاج [4]التي تفسر بأنها(بيت الفك)

---

[1] الخروج ٣٠ : ٧-٨ ٠

[2] لوقا ٢ : ٤٢ – ٤٧ ٠

[3] القصار : المقصر للنسيج الصوفي بالنقع أو الاحماء – يوحنا فورزبورج ، الفصل ٢٧ ٠

[4] قرية بيت فاج : Beth Phage : احدى القرى الفلسطينية المندثرة ، وكانت تعرف بهذا الاسم في العصرين الروماني والافرنجي ، واسم القرية من الاسماء الآرامية بمعنى بيت التين ، والقرية تقع على بعد ميلين من جبل الزيتون ، ويقوم مكانها الآن قرية الطور ٠ انظر : مصطفى مراد –

أو قرية الكهنة ؛ وبيثانى (العيزرية) [1] أو قرية مارثا ومريم ولعازر ، حيث قامت مريم بدهن أقدام المسيح ومسحتهما بشعرهما وبينما كانت مارثا مشغولة بخدمة المسيح ، جلست عند قدميه تستمع إلى الكلام الصادر من فمه • وعلى هذا الجبل ، رفع المسيح لعازر ، وهنا كثيراً ما تلطف بنزوله ضيفاً ليعلم ويقوم بأداء المعجزات • وعلى هذا الجبل ، كان المسيح جالساً مستنداً على المعبد عندما سأله الحواريون عن علامات حكمه القادم،وعن نهاية هذا العالم [2]• وغالباً ما كان يذهب إلى هذا الجبل يصحبه الحواريون لأداء الصلاة ، وخصوصاً عندما أصبحت آلام المسيح وشيكة الحدوث • وقام على هذا الجبل بتكريم أبناء العبريين ، الذين قابلوه وهو يحمل أغصان النخيل ، وسار من ذلك المكان منتصراً راكباً حماره بالأناشيد والترانيم • وصعد من هذا الجبل وبوجود حوارييه إلى السماء تلفه هالة من الروعة والمجد •

الفصل الثالث والستون :

وهناك أماكن مقدسة أخرى ، في داخل المدينة وخارجها على سبيل المثال ، وادي يهوشافاط ، بين صهيون وجبل الزيتون ، حيث تقع هناك وراء وادى قدرون قرية صغيرة تدعى الجسمانية [3] ، حيث تم شفاء الرجل الضرير من العمى • وتقع هناك أيضاً كنيسة

= الدباغ ، بلادنا فلسطين ، جـ٨،ق٢، ص١٢٧ •

[1] كاستيولم (The Castle of Bethany) • انظر مذكرات يعقوب فيتري ، صفحة ٤٥ •

[2] سفر متّى : ٢٤ •.

[3] الجسمانية : تلفظ الجتسمانية ، والكلمة تتألف من مقطعين " جت " بمعنى " معصرة " ، وسماني بمعنى " زيت " ، فيصبح معنى الكلمة " معصرة الزيت " • والجسمانية قرية فلسطينية تقع بجوار بيت المقدس ، وتشتمل على ضريح السيدة مريم العذراء ، وهي واقعة في وادي قدرون " وادي الدموع " • ويذكر أن السيد المسيح " ﷺ " كان يتردد على هذا المكان كثيراً طلباً للعزلة ، ومن أجل الترويح عن النفس • وقد قضى آخر أيامه في هذا المكان متعبداً ، حيث القى اليهود القبض عليه • وقد أقام الرومان ، في القرن الرابع الميلادي ، كنيسة في الموقع ، ولكنها دمرت سنة ٦١٤م علي يد الفرس • وبعد ذلك ، قام الفرنجة بتجديد بناء الكنيسة في سنة =

القديس ستيفن ، أول شهيد في الموضع الذي رجمه فيه اليهود . وتقع قرية عمواس [1]على بعد ٦٠ ستيديا، من بيت المقدس ، وتقع بالقرب منها مودين وهي مدينة المكابيين ، ومدينة جبعون [2] بالقرب منها ، وقام المسيح بقطع الخبز وتقديم الشكر في عمواس التي عرفت بقطع الخبز فيها [3]. وتفضل السيد المسيح بزيارة أماكن كثيرة هناك ، وتطهيرها بحضوره جسدياً لأنه حيثما داس المسيح على مكان بقدميه ، يعتبر هذا المكان ، لدى المؤمنين ، بأنه مكان مقدس ، ومن الرفات الثمين . ولا غرو إذن بأن تلك الأرض الموعودة ، التي تزخر باللبن والعسل ، وهي أرق من أجمل العطور ، أن جذبت واستقطبت الناس من كل الفئات، سواء كانوا من رجال الدين ، أو الجنود ، أو المدنيين الذين تركوا آباءهم وأقاربهم ، وجاءوا ليعيشوا هنا في ظل هذا الجو المفعم بالإيمان . وكان الاسبتارية ، أو أخوة مستشفى القديس يوحنا ، من هؤلاء الذين استقروا في بيت المقدس والآخرون هم أخوة فرسان المعبد وأخوة مستشفى القديسة مريم من الألمان [4].

= ١١٨٧م وبقيت خراباً إلى أن اعيد بناؤها سنة ١٩١٩م . انظر : رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة ، ص٩٤ . مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ٨ ، ق٢ ،ص ١٨-١٩ ، بورشارد من دير جبل صهيون : وصف الأرض المقدسة ، ص٢٧ ، هامش (٤) - رحلة الحاج سايولف في بيت المقدس والأراضي المقدسة ، ص٣٣، هامش١ ،(الترجمة العربية)

[1] قرية عمواس : احدى القرى الواقعة في منطقة القدس وقد عرفت باسم نيقوبوليس Nicopolis بمعنى مدينة النصر وقد اشتهرت عمواس في الفتوحات الاسلامية بالطاعون الذي ذهب ضحيته مجموعة من قادة المسلمين .

[2] جبعون Gibeon : هي احدى المدن الكنعانية المشهورة ، وقد سكنها الحويون وهم من سلالة الكنعانيين . وتقع المدينة على بعد خمسة عشر ميلاً إلى الشمال من بيت المقدس ، وتدعى اطلالها " الجيب " وهي واقعة على قمة خصبة ، حيث يوجد اسفل الهضبة من الناحية الشرقية ينبوع ينحدر ماؤه إلى بركة طولها ١٢٠ قدماً وعرضها ١٠٠ قدم . انظر : سفر التكوين ١٠ : ١٧ ، احمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ ، ص ٨٢٢ . (الترجمة العربية)

[3] لوقا (٢٤) .

[4] عرفت هذه الجماعة باسم هيئة فرسان التيتوتون .

الفصل الرابع والستون :

كانت بداية مستشفى القديس يوحنا ، في عهد السوريين واليونانيين ، عندما كانت المدينة ما تزال تقبع تحت سيطرة المسلمين على النحو التالي :

فعلى الرغم من آثامنا ، في وقت كان فيه المسلمون يسيطرون على أرض الميعاد كلّها ، ومع ذلك ، فقد كره كثير من المسيحيين ، من الأمة السورية ، أن يغادروا بلادهم ، ولكنهم استمروا في العيش بين المسلمين،مع أنهم كانوا في حالة مزرية ومضطهدين تحت نير العبودية ٠ وأمير مصر ، الذي كان سيداً على البلاد جميعها من اللاذقية في سوريا ، حتى الاسكندرية أبعد مدينة في مصر ، منح الجزء الرابع من مدينة بيت المقدس على جانب الضريح المقدس للسوريين وبطريركهم ليعيشوا هناك ، وذلك مقابل دفع جزية سنوية، في حين كان المسلمون يقيمون في الأجزاء الثلاثة الأخرى ٠ واعتاد المسيحيون القدوم من الغرب إلى أرض الميعاد ، وكان بعضهم يأتي للتجارة ، وبعضهم جاءوا معرضين أنفسهم للخطر بدافع من التفاني في سبيل الحج ، وزيارة الأماكن المقدسة ٠ وكانوا يدفعون الجزية للمسلمين ، وكان من بينهم اللمبارديين [١]، وخصوصاً الأملفيين ، وهم ينتسبون إلى مدينة امالفي [٢]، التي لا تبعد عن مدينة سالرنو[٣] أكثر من سبعة أميال ، كانوا يجلبون التجارة الخارجية وجعلوا من أمير مصر صديقاً بإعطائه الجزية والهدايا ،

---

[١] اللمباردي : اللمبارديون وهم شعب تيوتوني غزا إيطالية عام ٥٦٨ ب ٠ م ٠

[٢] امالفي Amalfi : كانت احدى مدن الجمهورية الايطالية القديمة ، وكانت سفنها تتجه إلى الشرق وتحمل السلع والخيرات ٠ وكان لامالفي شأن عظيم أيام سيطرة العرب على حوض البحر الابيض المتوسط ٠ وأهل هذه المدينة اشداء لا قبل لأحد لمحاربتهم ، وتشتهر أراضيهم بأشجار الفاكهة وكروم العنب وأشجار الزيتون ٠ انظر : بنيامين التطيلي : الرحلة ، ص٦٨ ٠

[٣] سالرنو Salerno : هي أحدى المدن الايطالية الحصينة الواقعة جنوب ايطاليا ، وكانت تحيط بها الأسوار المرتفعة " من جانب البر ويذب عنها البحر من الجانب الثاني ، وقلعتها الحصينة تشرف عليها من أعلى الجبل "٠ وقد اشتهرت سالرنو في العصور الوسطى بمدرستها الطبية الكبرى حيث كان يُدّرس الطب العربي٠انظر: بنيامين التطيلي : المصدر السابق ، ص٦٧-٦٨ ٠

وكانوا على علاقة طيبة معه • وقام هؤلاء الرجال بإقناع الأمير بالسماح لهم بإقامة كنيسة لاتينية تكريماً للقديسة مريم ، بالقرب من كنيسة الضريح المقدس ، وبالكاد تبعد مرمى حجر عنها ؛ لأن السوريين كانوا يتبعون عادات ونظم الكنيسة اليونانية أثناء أدائهم للشعائر الدينية • ومنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا ، أطلق على تلك الكنيسة اسم القديسة مريم اللاتينية ، حيث عينوا هناك رئيس دير ، ورهبان لاتين ، للقيام بالخدمة ، والشعائر الربانية طبقاً للطقوس اللاتينية • ومع اعتقاد الكهنة بأنه من غير اللائق إسكان النساء من الحجاج داخل الدير ، قام هؤلاء ، بمرور الزمن ، ببناء دير آخر خارج أسوار الكنيسة كرس من أجل القديسة مريم المجدلية ، وكمقر للراهبات ، حيث تقوم بعض النساء المتدينات بخدمة النساء من الحجاج اللاتين ، والترفيه عنهم في ذلك المكان • وبعد ذلك ، ومع تزايد أعداد الحجاج المنتشرين ، وحيث أن الأديرة المذكورة سابقاً لم تكن كافية لاسكان الفقراء ، والمرضى ، والناس والمصابين جميعاً ، فقد قام رئيس الدير ، سالف الذكر ، والكهنة ببناء مستشفى ، وكنيسة لخدمة هؤلاء الناس ، وكرس ذلك لأجل القديس يوحنا الكريم [1]• إن هذا الرجل ، الذي أحسن إليه الرب ، لجدير بالثناء من كل النواحي ، وهو قبرصي الأصل، وبفضل قداسته وطهارته عُيِّن بطريركا للاسكندرية • وقد سمي إليمون بمعنى المحسن ، لأنه كان معروفاً بإحسانه ، وأعماله الورعة التقية الأخرى • وفي البداية ، لم يكن لمستشفى القديس يوحنا (زينودوشيوم) [2] أية مصادر للدخل أو أملاك أخرى ، واعتاد رئيس دير القديسة مريم اللاتينية على تزويد المرضى والمحتاجين من فتات الطعام ، وبقايا الموائد للديرين ، ومن الصدقات التي كان يدفعها المؤمنون • ولكن عندما أنعم الله برحمته بتحرير مدينة خلاصنا من يد الكفار ، وكان ذلك على يد الدوق جودفرى ، وبقية المؤمنين بالمسيح ، وتمت إعادتها إلى الدين المسيحي • وكان هناك رجل كريم ومخلص يدعى جيرارد ، كان يشرف ، لمدة طويلة ، على الناس في المستشفى سالف الذكر جنباً إلى جنب مع رجال متديين آخرين، واتخذ من عهد الكهنة نهجاً حيث وضع صليباً أبيض

---

[1] انظر مقتطفات من Aristeas في هذه السلسلة ص ٢٥،٣٧- ٣٩ •

[2] زيندوشيوم : Xenodochium أو زينودوكيوم وردت عند يعقوب الفتيري بمعنى مستشفى •

اللون على ملابسه ، وعلى صدره ، والتزم بعمله الجاد بالمراقبة والاشراف ، وانضم إليه، في الاشراف على الفقراء ، سيدة رومانية الأصل ، نبيلة الدم ، تدعى اجنيز ، ولكنها كانت أنبل نسباً من خلال حياتها المقدسة ، وكانت تحتل منصب رئيسة الراهبات في دير النساء [١]، وقد ألزمت نفسها بالقسم على العمل طبقاً للقوانين والعادات السامية التي كان يجرى العمل بها هناك ، وكان الأخوة سالفو الذكر يقومون بخدمة الرب بورع وتقوى ، ويشرفون على الفقراء والمرضى والمحتاجين ، وكانوا يقومون بدفن الموتى من هؤلاء في حقل الفخاري [٢] الذي اشتراه اليهود لدفن الغرباء مقابل ثلاثين قطعة فضية ، وضعها يهوذا في المعبد [٣]، وكان جيرارد ، ومساعدته أجنيز فقراء ، ولكنهم كانوا يحافظون على طاعة رئيس دير مريم اللاتيني واحترامه وهو الذي أسس المستشفى ، سالف الذكر ، وكان هذا الرئيس يطعمهما ، ويطعم المرضى من مائدته ، واستمر ذلك لوقت طويل ، وكانوا يعملون بورع واحترام تكريماً للقديس يوحنا المحسن ، راعيهم ومساعدهم الأول ، والمدافع عنهم ، وعن مشفاهم أمام الله ، وكانوا يعتبرونه وسيطهم وسيدهم، كانوا يطيعون بطريرك بيت المقدس بإخلاص ، ويدفعون له العشر [٤] دون جدال طبقاً لوصايا الرهبان ، وقواعد العهد القديم والجديد، لقد كانا يقومان بالصلاة ، والصيام ، وصلوات المساء والسهرة ، والمراقبة ويكثران من أعمال الرحمة ، وعاشا عيشة تتميز بالاقتصاد والتقشف ، ولكنهما كانا لطيفين وكريمين مع الفقراء والمرضى ، وقد اعتادا على الانفاق بسخاء وإعطاء خبز الحنطة النقية للمرضى والاحتفاظ ببقايا الخبز من النخالة لاستخدامهم الشخصي ، وإذا ما ارتكب أي منهم خطأ ، لم يتركوه دون عقاب ، خشية أن يشجع التساهل في المعاصي على اقترافها ، وطبقا لما يقتضيه الأمر ، بالنسبة لارتكاب الآثم ، وحيثما وجدوا مذنبين فإن البعض ، من هؤلاء الآثمين ، كان ينزع الصليب من على ملابسهم ، ومن ثم ينبذون تماماً

---

(١) King , op . cit , p. 14 .

(٢) متّى ٢٧ : ٧ ،

(٣) متّى ٢٧ : ٥ ،

(٤) عشر الغلة تدفع للكنيسة ،

كأعضاء فاسدين ؛ وبعضهم كانوا يربطون بالسلاسل ، ويودعون في السجن ؛ وكان يحكم على آخرين من هؤلاء المذنبين بتناول وجبات لا تسمن ولا تغني من جوع ملقاة على الأرض عند أقدام الرهبان حتى يقوموا بأداء الكفارة المناسبة. لهذا فقد أحبهما العارفون لهم جميعهم لأن الله كان معهما ولهذا انطلق صوتهم إلى الأرض كلها [١] ، وذاع صيت قداستهم إلى أقاصي العالم ، وحضر الناس ، منذ استعادة الأرض المقدسة[٢] ، من مختلف أصقاع الأرض ، وباختلاف أممهم وألسنتهم إلى بيت المقدس ، لزيارة ضريح المسيح ، محملين بهدايا الأمراء ، وصدقات المؤمنين مما أدى إلى أن يصبح جيرارد ومساعدته اجنيز من الأثرياء ، خلال فترة قصيره ، حيث كانا يحصلان على موارد كثيرة ، من كل بلد في الغرب ، وأصبحا يمتلكان المدن والقرى التي كانت تحت سيطرتهما كما لو كانا سيّدا الأرض .

الفصل الخامس والستون :

وكان الناس يقصدون بيت المقدس بمختلف طبقاتهم من فقراء وأغنياء ، رجالاً ونساء ، شيوخاً وأطفالاً ، لزيارة الأماكن المقدسة . وقد لوحظ ذلك بمرور الوقت وكان بعض اللصوص وقطاع الطرق [٣] ينصبون الكمائن للحجاج الغافلين ، ويقومون بنهب بعضهم ، ويقتلون بعضهم الآخر . وقد عزم بعض الفرسان الاتقياء ، الذين أحبهم الله ،

---

[١] المزامير ١٩ : ٤ .

[٢] ذكر يعقوب القتيري ، أن الأوروبيين حضروا إلى الأراضي المقدسة ، من مختلف أقطار أوروبا ، بعد أن استعاد الفرنجة الأراضي المقدسة من المسلمين ، وهو يتحدث عن هذه الأراضي ، وكأنها كانت ملكاً لهم واستعادوها أثناء الحملة الفرنجية الصليبية الشرسة على البلاد الاسلامية . ويبدو أن هذه اللغة هي التي كانت سائدة خلال هذه الفترة ، لأن الذين اتخذوا من الدين ستاراً لتحقيق أطماعهم الاستعمارية ، كان من السهل عليهم اختلاق الآكاذيب والافتراءات على أصحاب البلاد الشرعيين . (الترجمة العربية)

[٣] لم يكن في الأرض المقدسة قطاع طرق ولصوص يعتدون على الحجاج المسيحيين ، ويبدو أن يعقوب القُتيري يشير إلى مقاومة شعبية قام بها سكان فلسطين من أجل تحرير بلادهم من نير الاستعمار الفرنجي الصليبي . انظر : رحلة الحاج سايولف ، ص٥، ٢٣ .

وبدافع من الاحسان ، والنبل الكريم ، على الدفاع عن هؤلاء الحجاج ، وحمايتهم من خطر اللصوص سالفي الذكر ، والعمل على حراسة الطرق العامة ، حيث قرروا العيش كرهبان في حالة من الفقر ، ولكن نفوسهم كانت تتسم بالعفة والطاعة كجنود لملك الملوك ، وكان رؤساء هؤلاء الفرسان ، هما هيو دي باينز[١] ، وجيفري دي سانت اومر[٢]، وتعهد بالقيام بهذا المشروع تسعة فرسان في البداية • وقاموا بالخدمة لمدة تسع سنوات ، وهم يلبسون رداء كنسياً خاصاً كان يهدى إليهم من بعض المؤمنين على سبيل الاحسان ، وكان الملك وفرسانه يحبون هؤلاء الفرسان النبلاء ، الذين وهبوا أنفسهم لأجل المسيح ، وقام الملك وغبطة البطريرك ، بمساعدة هؤلاء الرجال ودعمهم بوسائلهم وإمكاناتهم الخاصة • وبعد ذلك ، منحوهم الهدايا من أجل راحة أنفسهم ؛ وحيث إنه لم يكن لهؤلاء الفرسان كنيسة خاصة بهم ، ولا يمتلكون محل إقامة دائماً ، فقد قام الملك بالسماح لهم بأن يقيموا لفترة من الزمن ، في جزء من قصره ، قرب معبد الرب • ومنحهم رئيس الدير ورهبان معبد الرب مساحة قرب قصر[٣] الملك ، لاستخدامها في إقامة الشعائر الدينية • لأنهم أقاموا قرب

---

[١] هيو دي باينز Hugh de Payens : أحد القادة الفرنجة الذين حضروا إلى الأراضي المقدسة من مقاطعة شامبانيا وقد قال بالفكرة التالية : " انه لما ينال رضا الآله أن يصبح الربط بين حياة الرهبنة ومحاربة المسلمين المثل الأعلى الجديد للفرسان " • وقد أقسم مع ثمانية من أصحابه يمين الولاء والطاعة لبطريرك بيت المقدس والزهد ، والعفة ، وأضاف يميناً رابعاً أن يقدم للحجاج الحماية والمساعدة في الطريق الواصلة بين يافا وبيت المقدس ، وطلب هيو من الملك بلدوين الثاني ، ان يخصص له مكاناً في القصر الملكي (المسجد الأقصى) في عام ١١١٨م • واستمر هذا الرجل يحارب المسلمين حتى توفي عام ١١٣٦م بعد حياة حافلة قضاها في خدمة الفرنجة في فلسطين •

Cf. Mayer, p.82

[٢] جيفري دي سانت اومر أو الديمار Geoffrey de St Omer :كان في منزلة الفرسان ومكرس للرب ونذر نفسه مع زميله هيو باينز أن يكون في خدمة بطريرك بيت المقدس وأن يعيش في فقر وبساطة كما تعهد أن يكون بين يدي البطريرك لخدمة الرب كرهبان نظاميين •

Addison , The Khinghts Templars , p. 11 .

[٣] كان هذا القصر يقع في ساحة المسجد الأقصى قرب الغرفة التي شيدها فرسان المعبد •

Cf . notes on the city of Jerusalem

معبد الرب أطلق عليهم ، بعد ذلك ، أخوة فرسان المعبد •والآن ، وبعد أن أمضى هؤلاء الرجال ، تسع سنوات في هذا العمل ، في حالة من الفقر ، وعاشوا في حالة من الانسجام في البيت [1]• وفي عام الرحمة ١١٢٨م ، وبأمر من مولانا البابا هونوريوس ، واللورد ستيفن ، بطريرك بيت المقدس[2] ، منح هؤلاء الرجال حكما ، ورداء أبيض دون أي صليب • وقد تم ذلك في مجلس عام عقد في مدينة تروى في (اقليم) شامبانيا ، تحت رئاسة اللورد أسقف ألبا ، وممثل الأبرشية المقدسة بحضور رئيس أساقفة ريمز وسينز ، ورؤساء الأديرة لجماعة السستريان [3]، وكثير من أساقفة الكنائس • بعد ذلك ، وفي عهد مولانا البابا ايوجنيوس الثالث [4]، وضعوا صلباناً حمراً على ثيابهم ، وتقلدوا الصليب الأبيض كرمز للبراءة ، في حين كان الصليب الأحمر رمزاً للشهادة ، وطبقاً لاحكامهم ،

---

[1] ورد في الكتاب المقدس " يسكن الله المتوحدين بيتاً ويطلق المقيدين إلى النجاح ••• " انظر : المزامير ٦٨ : ٦ •

[2] البطريرك ستيفن الشارتري : فرنسي الجنسية ، وكان رئيساً لدير القديس يوحنا في مدينة شارتر ، وحضر إلى فلسطين في احدى رحلات الحج • وعندما توفي البطريرك جرمون وقع اختيار رجال الدين على ستيفن ليكون بطريركاً لبيت المقدس وقد توفي سنة ١١٣٠م ، وتشير بعض الروايات إلى أنه مات مسموماً ، غير أن هذه الروايات لم تكن مؤكدة • وكان ستيفن الشارتري رجلاً موهوباً ، وافادت منه الكنيسة اللاتينية في مملكة بيت المقدس اللاتينية •

Cf, William of Tyre , vol. 1 , pp . 39-40 - Cf, alsa : La Monte, J., Feudal Monarchy in the Latin King dom of Jerusalem 1100-1291, New York 1970 , pp . 168-175 . Dodu, G., Histoire des Institutions Monarchiques dans le Royaume Latin Jerusalem, Paris 1894, PP. 356-357- Hamilton , B., pp, 67-68 .

[3] جماعة السستريان Cistercian : هي جماعة رهابنية اسست على يد روبرت موليزم Robert of Molesme ، في عام ١٠٩٨ في مدينة فرنسية تحت نظام بندكتي قاس • ولم يفكر روبرت في البداية في انشاء طائفة جديدة وكل ما أراده هو وجماعته ان يقيموا ديراً ليس مليئاً بالثروة شأن دير موليزم • انظر : السيد الباز العريني : تاريخ اوربا العصور الوسطى ص ٤٨٢ •

[4] البابا ايوجنيوس الثالث Eugenius III : تولى مقاليد المنصب البابوي حوالي ثمان سنوات في الفترة الواقعة بين عامي ١١٤٥ – ١١٥٣ •

كان لزاماً عليهم التضحية بدمائهم دفاعاً عن الأرض المقدسة ، ويهزمون أعداء الصليب برجولة ، ويبعدونهم خارج حدود المسيحية • ويدخلون المعركة بشكل منظم بدون تهور ، و بحكمة ، وحذر بناء على أوامر قائدهم ، وهم أول من يقوم بالهجوم وآخر من ينسحب • ولم يكن يسمح لهم بالانسحاب ، أو التقهقر دون أوامر • وقد كانوا جنوداً للمسيح يتميزون بالقوة والشجاعة ، وكانوا مثل الجنس الثاني من المكابيين ، الذين لم يعتمدوا على قوتهم فقط ، بل كانوا يضعون أملهم في قوة الله ، وثقتهم في صليب يسوع المسيح حيث يُعَرِضُونَ أنفسهم للموت في سبيل الرب [1] ، الذي يقاتل معهم ومن أجلهم•وهكذا أصبحوا أشداء ضد أعداء المسيح لدرجة أن الواحد منهم ، كان يطارد ألفاً ، والاثنين يطاردان عشرة آلاف [2]• وعندما كانوا يستدعون للحرب ، لم يكونوا يسألون عن عدد الأعداء ، بل عن مكان وجودهم • بهذا نجدهم أسوداً في الحرب ، وحملاناً في الوطن ؛ وفي الميدان ، كانوا شرسين بلا هوادة ، بينما في الكنيسة مثل النّساك والرهبان ؛ لذا فهم قساة ضد أعداء المسيح ، بينما هم رحماء لطفاء مع المسيحيين• لقد كانوا يحملون شعاراً أسود وأبيض ، أطلقوا عليه بوسينت ، وهذا يرمز إلى لطفهم ورقتهم مع الأصدقاء ، ولكنهم كالأسود أشداء ضد الأعداء • وبملاحظة أن الحماسة الدينية لا يمكن الحفاظ عليها دون تنظيم صارم ، فقد قام هؤلاء الرجال الحكماء بحماية أنفسهم ، وهيأوا الأمور لحكومة جيدة من بعدهم ، بالعزم على عدم ترك المهملين ، أو المذنبين المنحرفين من إخوانهم دون عقاب ، لأنهم ينظرون بعناية ، ويقيسون بدقة لبشاعة الجريمة وظروف المذنب • ويأخذون الصليب الأحمر من بعض المذنبين ، وينبذونهم إلى الأبد خشية أن يقوم أحد الخراف المريضة بنقل العدوى إلى باقي الخراف في القطيع ؛ وبهذا يحكم على بعضهم الآخر بتناول وجبات خفيفة تلقى على الأرض دون غطاء طاولة ، حتى يقوموا بالتكفير عن خطاياهم بشكل مناسب ، وبهذا الخزي أمام الناس ، يجعلهم يتوردون خجلاً والباقي من الناس يعتبرون ويخافون أن يقفوا

---

[1] ورد في الكتاب المقدس : " لأنك يا رب أنقذت نفسي من الدمع وقدمي من التعثر "• المزامير ١١٦ : ٨ • وفي مكان آخر " أوفي نذوري للرب أمام كل شعبه "• المزامير ١١٦ : ١٨ •

[2] " خمسة منكم يطردون مئة ، ومئة منكم يطردون عشرة آلاف " • اللاوين ٢٦ : ٨ •

الموقف نفسه • وكان لا يسمح بطرد الكلاب التي كانت تأكل معهم من أجل زيادة عقوبتهم ، وتفخيم كفارتهم ، وبعضهم الآخر ، يقيدون بالسلاسل أو يسجنون ، إما لفترة معينة من الزمن ، أو لمدى الحياة ، طبقاً لما يراه القضاة الدينيون مناسباً، وهذا العقاب ربما يحررهم من سجن جهنم فيما بعد ، وفي أحيان كثيرة أخرى ، كان بعض الثائرين والعنيدين يمنعون من السير في الطرق العامة ، أو المشاركة في محادثة الشرفاء ، طبقاً للقواعد العامة والمبادئ • وكان الفرسان النبلاء يقدمون الاحترام والطاعة لبطريرك بيت المقدس ، الذي يدينون له بتأسيس أخويتهم ، ومورد رزقهم الدنيوي، ودفع الاعشار ، وأشياء أخرى ، وإعطاء ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر • ولم يكن هؤلاء الفرسان عبئاً على أحد ، بل كانوا محبوبين من الناس بسبب ورعهم وتواضعهم • وهكذا أصبحت شهرتهم وقداستهم منتشرة في أنحاء العالم بأسره ، مثل وعاء البخور ذي الرائحة العطرية الفواحة ؛ لقد ملأ عبيرهم أرجاء بيت الكنيسة المقدسة ، وكان ذكرهم عذباً كالعسل في أفواه المؤمنين ؛ وسوف تروى شجاعتهم ومعاركهم وانتصاراتهم المجيدة على أعداء المسيح في كنائس القديسين كلّها• الفرسان من جميع أنحاء العالم من الفقراء والأغنياء مثل الدوقات والأمراء – اتخذوا من هؤلاء الفرسان قدوة وحطموا قيودهم الدنيوية ، ووهبوا أنفسهم من أجل المسيح ، وقدموا إليهم راغبين في الإنضمام إلى أخوّتهم في الدين : وقد أعرضوا عن الأبهة ، وغرور الدنيا ، ومباهج وشهواته الجسد ، ونظروا إليها كمجرد قذارة ، وقد احتضنوا خدمة المسيح بتواضع رهباني ، وبدافع من الإيحاء الإلهي وبورع عظيم • وتزايد عددهم بشكل كبير في وقت قصير حتى أنه أصبح لديهم في الدير أكثر من ثلاثمائة فارس يرتدون العباءات البيض دون حساب رجال الخدمة الذين كانوا لا حصر لهم• وقد ازدادوا بشكل استثنائي بالاستيلاء الكبير على كلا هذا الجانب من البحر وبعده ، حيث أنهم امتلكوا القرى والمدن • وحسب عادات أخوة مستشفى القديس يوحنا الذي يرسل منه لكل عام للدفاع عن الأرض المقدسة إلى سيدهم العظيم ، والذي كان مقعده الرئيسي في بيت المقدس • وبالطريقة ذاتها ، فقد كان أمناء الصندوق في بيوت أخوية مستشفى القديس يوحنا يرسلون فيه كل عام مبلغاً معيناً لسيدهم العظيم ، حيث إن أخوة المستشفى المذكور

تقليداً لفرسان المعبد يستخدمون أسلحة الجسد ، واستقبلوا الفرسان مع مساعديهم بأشخاصهم، وربما ليتحقق ما قاله النبي أشعياء عن رفعة شأن الكنيسة " ساجعلك بهية إلى الأبد وَفَرَحَ كل الأجيال " [1]، وأضاف " الذئب والحمل يرعيان معاً ويأكل الأسد التبن كالبقر " [2]، وسوف يسكن الذئب مع الحمل ويجلس النمر مع الطفل ، وسيقيم القطيع والاسد والاغنام مع بعضهم بعضاً ٠

الفصل السادس والستون :

وبما أنه لا يمكن قطع الحبل المشدود ثلاثياً بسهولة ، فقد أسعد العناية الإلهية إضافة بيت ثالث إلى البيتين الآخرين سالفي الذكر ، وهذا البيت كان مفيداً ، وتحتاجه الأرض المقدسة كما لو كان مركباً من الاثنين الآخرين ، وهؤلاء الرجال يتبعون تماماً قواعد ومبادئ أخوية فرسان المعبد في السلم والحرب معاً ، ومثل أخويه مستشفى القديس يوحنا كانوا يرعون المرضى والغرباء وآخرين في مستشفاهم الذي يدعى مستشفى القديسة مريم في بيت المقدس ، وكانوا يقومون بالخدمة الكافية لهم بكل ورع وتفان وطاعة عظيمة لسيد البطاركة وأساقفة الكنائس الآخرين ؛ لأنهم يدفعون جزية العشر عن كل ما يملكون ، كما هو متطلب في القانون والقضاء الإلهي ، ولا يخطئون ضد أساقفة الكنائس هؤلاء الرجال الذين بدأوا من مصدر متواضع ، حتى أصبحوا كنهر عظيم ، وكانت السيدة مريم العذراء راعيتهم ، ويخدمونها بكل ورع واحترام ، وقد أدى ذلك إلى شهرتهم روحياً ودنيوياً ٠ وبعد استعادة المدينة سكن فيها المسيحيون وكثير من التيوتون والالمان الذين توجهوا إلى بيت المقدس في رحلة حج ، ولم يستطيعوا التحدث بلسان أهل المدينة ، وأوحت الرحمة الإلهية لأحد رجال الدين التيوتون الكرماء أن يقيم مع زوجته في بيت المقدس ، ويشيد مأوى على نفقته الخاصة ليقيم فيه الفقراء والمرضى التيوتون ، ولكن بسبب استخدام العديد من الحجاج الفقراء لمنزله أمكنهم التحدث باللغة التي يعرفونها ، وقام بموافقة البطريرك ببناء مصلى خاص وكرسه لوالدة المسيح مريم المباركة ٠ وأشرف على

---

[1] أشعياء ٦٠ : ١٥ ٠

[2] أشعياء ٦٥ : ٢٥ ٠

المحتاجين والمرضى ، لمدة طويلة ، من ماله الخاص ، ومن الصدقات التي كان يجمعها من المؤمنين • وقد تخلى بعض الناس ، وخاصة من الشعب الالماني ، عن كل شيء يملكونه ، وأعرضوا عن مباهج الدنيا وربطوا أنفسهم بقسم عند رؤيتهم لاحسان ذلك الرجل وأعماله الخيرة ، وتفانوا في خدمة الله ، ومساعدة الفقراء والمستشفى المذكور • وبمرور الوقت ، وحيث إنه لم يشترك بالخدمة الفقراء فقط ، بل أيضاً الفرسان والنبلاء الأتقياء من المانيا ؛ فقد أقسموا على العمل في ذلك المستشفى مختارين لأنفسهم فقراً تطوعياً ، مفضلين العيش كفقراء في بيت الههم على السكن في خيام الاشرار " [١] ، • واعتقدوا بأنه ليس الجميل والمقبول لدى الله العمل على الإشراف على المرضى والمحتاجين فقط ، بل العمل أيضاً استقرار حياتهم من أجل المسيح، وأن يصبحوا جنوداً للمسيح روحياً وجسدياً بالدفاع عن الأرض المقدسة ضد أعداء المسيح • وقد تبنوا مبادئ فرسان المعبد وممارستهم ، ولكي لا تخلوا عن أعمال الورع والكرم التي ترضى الله ، مثل مخلوقات الكتاب المقدس [٢] التي كان لها وجهان في آن واحد وجه انسان ووجه أسد • ووهبوا أنفسهم بورع وخشية في خدمتهم ، واكتسبوا رحمة وفضلاً من الله ومن الناس ، ولتميزهم كانوا يرتدون صلباناً سوداً على عباءات بيض فضفاضة • وحيثما استمروا في العمل ، حتى يومنا هذا ، في حالة من الفقر والحماس الديني ، فانى أدعو الله أن ينقذهم من الغنى والثروة ، التي تجعل الناس متكبرين وجشعين ومشاكسين وذوي ميول عدوانية ، يسيطر عليهم القلق الشديد ويصبحون أعداء للدين • " فإنه ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ...." [٣].

الفصل السابع والستون :

وعلاوة على ذلك [٤]، ازدهرت الأرض المقدسة مثل حديقة تملأها البهجة ، وفيها

---

[١] المزامير ٨٤ : ١٠ •

[٢] حزقيال ١ : ٨ •

[٣] متّى ١٦ : ٢٦ •

[٤] صيغة بهذه الطريقة عند بيزنت Besant وبالمر Palmer cf. The city of Jerusalem , P 273.

كثير من رجال الدين وأشخاص متدينون ، إلى جانب النسّاك ، الرهبان ، والكهنة ، والراهبات والعذارى اللواتي كرسن أنفسهن من أجل الاله ، وأرامل عفيفات طاهرات ، وكانت البلاد تعبق بالعطر الساحر ، كما لو كان يصدر عن الورد ، والزنبق ، والبنفسج ٠ وبارك الرب مستهل السنة بلطف منه ، وجعل البرية ، التي يقطنها التنين والافاعي ، تزخر بالنبات الأخضر وقصب السكر٠مع أن الرب تركها مقفرة لفترة من الوقت ، ومع ذلك ، ومن عطفه العظيم ، جمع الأبناء معاً ، وجعل الأرض تمتلئ بمختلف الأجناس من البشر على مختلف أممهم وألسنتهم في تلك البقعة لتبدو أن النبوة قد تحققت :" يجيءُ أَبْنَاؤُكِ مِنْ مَكَان بَعيد ، وَتُحْمَلُ بَنَاتُكِ على الأذْرع "[1] ٠ لقد ظهر ذلك جلياً على الأرض ، وكانت مملوءة بالبشر ، وكانت الأرض تفرح كأنّ بها قلباً تغمره الفرحة عندما يتدفق إليها البشر من البحر ، وخاصة من جنوة ، والبندقية ، وبيزا ٠ ومن هناك ، جاءت قوة الأمم ، ورجال حرب ، وخاصة من فرنسا وألمانيا ٠ فالفرنسيون أقوى بكثير في البحر ، والألمان قوتهم تظهر في البر ؛ فالاوائل أفضل في القتال البحري ، ويستطعيون القيام بالمعارك على سطح الماء ، من خلال خبرتهم وممارستهم ؛ بينما الآخرون جنود أفضل على اليابسة، حاذقون في الحروب ومحاربون أقوى على ظهور الجياد بالسيوف والرماح ؛ وتتمثل شهرة الاوائل في سفنهم بينما الآخرون في جيادهم ٠ والايطاليون أكثر جدية وحصافة،يتسمون بالفطنة ، والحذر ، مقتصدين في الطعام ، ومعتدلين في الشراب ٠ وعادة ما يلقي الايطاليون بخطب مطولة منمقة ، ويتسمون بالحكمة في استشارتهم ، ومتحمسين لتوسيع مصالح بلادهم ، وهم حريصون على المستقبل ، ولا يرغبون في العمل تحت امرة الآخرين ويدافعون عن حريتهم فوق كل شيء ؛ وهم يشكلون القوانين والنظم الخاصة بهم تحت رئيس من اختيارهم ، ويحافظون على تلك القوانين بدقة وصرامة ٠ ويعد هؤلاء من الضرورة بمكان لـلأرض المقدسة ، ليس للقتال فحسب ، ولكن لأعمال البحر ونقل التجارة ، والحجاج ، والمؤن ٠ ولأنهم يقتصدون في المأكل والمشرب ، فقد عاشوا في الشرق حياة أكثر من أمم الغرب الأخرى ٠ إن الألمان ، والفرنسيين ،

---

[1] أشعيا ٦٠ : ٤ ٠

والبريتين، والانجليز وآخرين من وراء الألب ، هم أقل حذراً ، وأكثر كسلاً وإهمالاً ، وأقل حرصاً في معاملاتهم ، وأكثر جشعاً في المأكل والمشرب ، وأكثر تبذيراً في النفقات، وأقل حذراً في الكلام وأكثر اندفاعاً ، وأقل فطنة في خططهم . ويبدون في الكنيسة أكثر ورعاً وإحساناً في منح الصدقات ، وأعمال الرحمة الأخرى . وهم أكثر شجاعة في القتال " وخاصة البريتين "وهم أكثر فائدة للأراضي المقدسة ، ويخشاهم المسلمون بشكل كبير . ومع ذلك يطلق عليهم الحمقى [1]من قبل البولانية ، بسبب طيشهم وإفراطهم في المسكرات. والبولانية اسم اطلق على أولئك الذين ولدوا في الأراضي المقدسة بعد تحريرها ، ولكنهم أيضاً وافدون جدد – مثل الافراخ ، لدرجة أنهم جرت مقارنتهم مع السريان – أو لأن القسم الأكبر من امهاتهم كن من الشعب الأبولي طبقاً للجنس البشري . لأن الناس ، الذين قدموا إلى الأرض المقدسة ، لم يجلبوا إلا عددا قليلاً ، من النساء بالمقارنة مع عدد الرجال في جيش الامراء الغربيين ؛ وهؤلاء الذين مكثوا في الأرض المقدسة دعوا النساء ، من مملكة ابوليا ، وتزوجوا منهن . وعلاوة على ذلك ، فانه يوجد كثير من الأمم في الأرض المقدسة بعادات مختلفة ، والذين يختلفون ، بشكل كبير ، بين بعضهم الآخر ، في الشعائر الإلهية والطقوس الدينية ، على سبيل المثال : السوريون ، واليونانيون ، واليعاقبة ، والموارنة النساطرة والأرمن والجورجيون ، هؤلاء أكثر فائدة للأرض المقدسة ، من حيث التجارة ، والزراعة ، والاعمال الأخرى المفيدة ، فهم يبذرون الأرض ، ويغرسون كروماً تنتج لهم غلالاً وفيرة [2].

الفصل الثامن والستون :

وهكذا أسقطت الغيوم الخير بأمر من الرب ، وأثمرت الأرض المقدسة ، وكانت

---

[1] ذكرهم دوكانج Du Cange باسم الأبناء الحمقى Filios Hernaude . Cf. Du Cange, art . Filius . ويعتقد أن كلمة بولاني مشتقة من العربية ابن فلان ؟ Son of ، وكان الحجاج الاوروبيون يدعون هكذا من قبل البولانية وطني المولد ، ولكن الكلمات استخدمت بازدراء ذا مغزى ابن ... . Compare Mariuo Sanuto , iii , Part viii., C . 2 and C 5 .

[2] المزامير ١٠٧ : ٣٧ .

البهجة تغمر نفوس الناس " كما يبتهجون في آوان الحصـــاد " [1]، وكما يفرح الناس عند توزيع الغنائم ، نادى نبي آخر ، والذين سمعوه قالوا " يقال أنت ، تعالوا لنذهب إلى جبل الرب،إلى بيت إله يعقوب [2]، حيث أن الله قد زار الأرض وباركها ؛ وجعلها مثمرة [3]، ليس فقط من شبَا [4] ، ولكن من جميع الأراضي الأخرى ، جاءوا يحملون الذهب والبخور لبيت المقدس مظهرين أمجاد الرب ، حيث كان ضريح المسيح رائعاً ، والنبوة [5]كانت تظهر وكأنها تتحقق بالحرف الواحد ، سوف يقام جبل الرب في أعلى الجبال ، وسوف يرتفع عن التلال ، وسوف تتدفق جميع الأمم إليه ، وسوف يذهب كثير من الناس ... وسوف يقولون عن بيت المقدس التي نقرأ عنها في سفر طوبيا " تتلألئين بسنى بهيج وشعوب الأرض لك يسجدون ، يزورك الامم من الاقاصي بقرابينهم ، ويسجدون فيك للرب [6] " وسوف يحققه الرب في عهد اليهود . حيث ورد في سفر التثنية :" كل موضع تطؤه أخامص أقدامكم ، يكون لكم من البرية ولبنان من النهر ، نهر الفرات إلى البحر الاقصى يكون تخمكم [7]". والآن عندما تنفث كروم عنب الرب عطراً عبقاً حتى آخر الأرض ، الثعبان الكبير ، والتنين السام عدو البشرية ، لا يستطيع تحمل هذا الأريج لوقت طويل عندما رأى التغير العظيم الذي أحدثته يد العال المتعال في الشرق ، " الكنيسة المقدسة يجب أن تتوسع ، والعبادة الإلهية تنتشر ، والكفار يضطربون ، ويرتقي المسيحيون ؛ تلك الإشارات يجب أن تتجدد حتى أنه في عيد الفصح سوف تهبط النار من السماء ، في كنيسة بعث السيد المسيح ، ولذلك يجب أن يلتقي الشعب بورع لكي يظهر

---

[1] أشعياء ٩ : ٣ .

[2] أشعياء ٢ :٣ .

[3] المزامير ٦٤ : ١٠ ، ٦٥ : ١٠ ، ٦٧ : ٦-٧ .

[4] أشعياء ٦٠ : ٦ .

[5] اشعياء ٢: ٢-٣ .

[6] طوبيا ١٣ : ١٣-١٤ .

[7] التثنية ١١ : ٢٤ .

مجد الله ، ويعظم أعماله الرائعة ، وأن الكفار يجب أن يتقلصوا ، والمؤمنين يجب أن يغمرهم السرور هو وقد أبهره النور العظيم ، حتى تسبب ضربه بجرح مميت ، فقد بدأ بعمل طرق مختلفة يستطيع بها صب سمومه بشكل سري ، ويستأصل كروم الرب ، وبينما الناس نائمون بذر زواناً في بستان الرب[١] ٠

الفصل التاسع والستون :

بحثاً عن الراحة [٢]، فإن الشيطان لم يستطع أن يجد شيئاً في البداية بين الحجاج الأوائل الذين كانوا ما يزالون فقراء ومنهكين بسبب من المتاعب ؛ ولكنه وجد أخيراً بيتاً خالياً نظيفاً ومزخرفاً ، فكان هناك أناس يعيشون في ترف ودون خوف وكان لديهم زيادة في الحنطة والنبيذ والزيت[٣] ، وكان لديهم الكثير من المتاع الدنيوي ٠ ثم اتخذ لنفسه سبع أزواج أخرى أكثر خبثاً من نفسه – ويمكن القول سبع معاصي مميتة – ودخل في نفوس هؤلاء الناس الذين أدى بهم نكران الجميل إلى الإنحطاط وأصبحت حالتهم الاخيرة أسوأ من الأولى لقد انتنت جروحهم ، وفسدت بسبب حماقتهم [٤]، لقد " سمنوا وغلظوا واكتسوا شحماً "[٥] ، ومن بين ثراهم وترفهم ظهر المكر والخبث لديهم [٦]٠ وعندما أكلوا حتى شبعوا ارتكبوا الفسق ، وهرولوا طوائف إلى مواخير الزانيات [٧]٠ واندفعوا مثل الماء

---

[١] متّى ١٣ : ٢٥ ٠

[٢] " ولكن متى خرج الروح النجس من انسان يسكنه يهيم في الاماكن القاحلة طالباً الراحة ، فلا يجد " ٠ متّى ١٢ : ٤٣ ٠

[٣] " غرست في قلبي فرحاً أعظم من فرح من امتلأت بيوتهم وأجرانهم بالحنطة والخمر الجديدة"٠ المزامير ٤ : ٧

[٤] " انتنت جراحي وساله صديدها بسبب جهالتي " المزامير ٣٨ : ٥ ٠

[٥]التثنية ٣٢ : ١٥ ٠

[٦]المزامير ٧٣ : ٦–٨ ٠

[٧]ارميا ٥ : ٧ ٠

وراء شهواتهم [١]، لم يصبوا من إناء إلى آخر [٢]ولكنهم استلقوا كالبهائم في روثهم ، وكانوا كالخيول ، " يصهل كل واحد منهم على امرأة صاحبه " [٣]. ليتلاشوا ، "ولا يعاينون الشمس "[٤].لقد أداروا عيونهم ،إلى الأرض ، وكانوا متكبرين ، ومحتقرين ، وثائرين ومتنازعين مع بعضهم بعضاً ، يبذرون الخلافات بين الأخوة ، وكانوا كريهين يعملون بالسحر ، وغضبانين وغير عادلين ، يتمرغون بالكسل والفساد ، ويغلب عليهم الجشع ، ويشربون ، ويعاقرون المسكرات ، وينغمسون في اللهو والملذات والرذائل والقذارة ، كما كانوا لصوصاً وقطاع طرق ، رجال دمويين ، خونة وعاقين لوالديهم ولكبار السن منهم ، وكانوا حمقى ساذجين ليس لديهم العطف ولا الإيمان أو الرحمة ، وتستخدم هنا كلمات النبي : " وتفشت فيها اللعنة والكذب ، والقتل ، والسرقة ، والفسق . قد تخطوا كل حد ، وسفك الدم يعقبه سفكُ الدم "[٥]حيث وسّع الشيطان حدود روحه بدون نهاية ، وأعد الأماكن لكل رذيلة ، وجريمة ، وزاد تعذيبه بشكل كبير . وهكذا كانت أفكار جميع الناس الأشرار تتجه نحو الشيطان ، وقد أفسدوا حياتهم على الأرض [٦]: لقد انزوت الطيبة والدين الحقيقي بعيداً ، وفترت حماسة الكثير وأصبح بارداً . لم يجد ابن الانسان إيماناً على هذه الأرض [٧]، لأنه كان من النادر إيجاد امرئ يميز الفرق بين المقدس والرجس [٨] ، أو بين الثمين وعظيم القيمة. فالجميع ينحط نحو الدمار والاضطراب : ومن

---

[١] Ecclus. 18.

[٢] يوئيل ١ .

[٣] ارميا ٥ : ٨ .

[٤] المزامير ٨٥ : ٧ .

[٥] هوشع ٤ : ٢ .

[٦] ورد في العهد القديم ما يلي :" واذا ساد الشر الأرض أمام الله وعمها الظلم نظر الله واذا بها فاسدة لأن كل بشر على الأرض قد سلك في طريق الاثم ." انظر : التكوين ٦ : ١١-١٢ .

[٧] لوقا ١٨ : ٨ .

[٨] حزقيال ٢٢ : ٢٦ .

أخمص القدم إلى قمة الرأس ليس فيهم عافية [1]، وكان الشعب كالكهنة[2] .

الفصل السبعون :

فلنبدأ بملاذ المسيح ، حيث يدفع معظم سكان العالم الجزية على هيئة صدقة أو قرابين ، وعطايا مختلفة لأساقفة الكنائس ، ورجال الدين ؛ كان الرعاة [3] يطعمون أنفسهم بأخذ الصوف والحليب من قطعانهم ، ولكنهم لا يلتفتون إلى أرواحها ، بل إنهم يظهرون مسألة الخيانة لمن هم أقل شأناً ، وإلى حد ما مثل الثيران السمينة على جبل السامرة [4]، لقد أصبحوا أغنياء من خلال فقر المسيح (عليه السلام) ، ومتكبرين من تحقيره ، وقحين من خجله ، لقد سمنوا وأصبحوا أثرياء جراء ميراث المعذب (المصلوب) . ومع ذلك ، فعندما قال المسيح لبطرس" سمعان [5] " ارع خرافي " ، ولم نجد مكاناً قال فيه " جز غنمي " ! وبالحرص على أرباحهم [6] فقط ، وعدم الإهتمام بأمور يسوع المسيح ،

---

[1] أشعياء ١ : ٦ .

[2] هوشع ٤ : ٩ .

[3] ورد في كتاب العهد القديم " إنكم تأكلون اللبن وتلبسون الصوف وتذبحون السمين والغنم لا ترعونها . حزقيال ٣٤ : ٣ .

[4] ربما المقصود هنا جبل جرزيم الذي يتجه نحوه السمرة في صلاتهم ويقدمون عليه الذبائح والقرابين ، ويعتقدون أن سيدنا ابراهيم أراد أن يضحي بابنه اسحاق فوق هذا الجبل . وهذا يخالف ما ورد في القرآن الكريم بأن الذبيح هو اسماعيل (عليه السلام) الذي أراد سيدنا ابراهيم أن يضحي به في مكة . (الترجمة العربية)

[5] قال المسيح عليه السلام لسمعان بطرس بن يونا " أتحبني ؟ قال له نعم يا رب ، قال له : ارع خرافي . قال له ثانية : يا سمعان بن يونا أتحبني ؟ قال له نعم يا رب ، أنت تعرف أني أحبك . قال له ارع خرافي " . يوحنا ٢١ : ١٦-١٧ .

[6] قال القديس بولس :" ولا ينظرن أحدٌ إلى ما هو لنفسه ، بل فلينظر كل واحدٍ إلى ما هو لغيره " رسالة القديس بولس إلى أهل فيليبي ٢ : ٤ .

أصبحوا قادة عمياناً وكلاباً خرساً [1] لا تستطيع النباح ٠ لقد دخلوا بين الرب بأبهة وفخر، لقد كان لديهم مفتاح المعرفة [2] ولكنهم لم ينهلوا منها ، ولم يسمحوا لأحد الدخول إليها ، لقد أصيبوا، ببرص جيحزي [3] ، لقد أقاموا في كل مكان كنائسهم مقعداً لهم ، حيث يباع الحمام ، وموائد صيارفة النقود ، والتي قام السيد المسيح بقلبها رأساً على عقب ، وقالوا حتى يهوذا الخائن " ماذا ستعطيني وسوف ارسله لك [4]؟" فقد كانوا يحبون الهدايا ، ويبحثون وراء الموارد والعائدات ، أخذوا المفاتيح من سمعان بطرس ، وأعطوها إلى سمعان ماجوس ٠ وغرقوا في شرف من كل نوع ، وأصبحوا يتسمون بالكسل المخزي ، ولم يستعملوا الفتات الذي سقط من طاولة السيد المسيح ، ولكن أرغفة كاملة منها لإطعام الصغار الذين انجبوهم من خليلاتهم ، ويعتبر ذلك خزياً كبيراً لأنفسهم ٠

الفصل الحادي والسبعون :

بعد أن تأثر رجال الدين بسموم الأغنياء ، وأصبح لديهم ممتلكات عظيمة ، استخفوا بمن هم أعلى منهم منزلة ، وحطموا القيود وابعدوا عنهم التزامهم لدى هؤلاء [5]، وأصبحوا مزعجين ليس فقط للكنائس ورجالها ، ولكنهم أصبحوا يحسدون وَيُصَغِّرونَ بعضهم بعضاً ، وكان هذا فضيحة كبرى للمسيحية ، واستمروا في ارتكاب الإهانات ، كما

---

[1] ورد في كتاب العهد القديم :" فإن رُقباءه كلهم عمي ، لا علم لهم وكُلّهم كلاب بكم لا يستطيعون النباح حالمون مضطجعون محبون للنوم " ٠ أشعيا ٥٦ : ١٠ ٠ انظر أيضاً : لوقا ٦ : ٣٩ ٠ لوقا ١١ : ٥٢ – متّى ٢٣ : ١٣ ٠

[2] الملوك الثاني ٥ : ٢٧ ٠

[3] جيحزي : هو خادم اليشع الذي طلب المال من الرجل الذي عالجه من مرض البرص ٠ على الرغم أن النبي رفض أخذ الفضة والذهب ٠ وقال له اليشع " فليحل برص نعمان بك وبنسلك إلى الابد فخرج من أمامه وجلده أبرص في لون الثلج ٠ " انظر الملوك الثاني ٥ : ٢٧ ٠

[4] متّى ٢٦ : ١٥ ٠

[5] ورد في المزامير : " لنقطع رُبُطَهُما ولنلق عنّا نيرهما " ٢ : ٣ ، وفي الطبعة الارثوذكسية: "لنحطم عنّا قيودهما ونتحرر من نير عبوديتهما " ٠

كانوا يبدون الكراهية ، وكادوا يحاربون بعضهم بعضاً، وعندما شرعوا ببناء برج بابل[١]، انفصلوا وانقسموا عن بعضهم البعض ليس فقط بالكلمات ، بل باللكمات أيضاً ، كما أنهم تحزبوا ، وشرع بعض الرجال بالتخاصم • وكان كثير منهم يمتازون بأمزجة أفضل ، عادلين ويخشون الله ، والذين ابقوا على القواعد والمبادئ المقدسة لرهبنتهم بقدر ما استطاعوا في مثل ذلك العهد ، وكانوا مثل القمح بين التبن والسوسنة [٢] بين الأشواك • ولقد أثر عليهم ذلك ،وقسّى قلوبهم ، وأصابهم حزن عميق ، " إنهم لم يسيروا في طريق العصاة ، ولم يجلسوا مجلس المحتقرين " [٣]•وانتشرت ظاهرة عدم التقوى والانحراف عن الطريق السوية بين الأشرار من الناس ، حتى أنهم لم يخشوا تقديم القربان المقدس لرجال وضعوا في الجرم من قبل الأساقفة ولعنوا بالاسم • هؤلاء الذين يجب عليهم أن يبتهجوا معهم عندما يبتهجون ، ويبكوا عندما يبكون ، كانوا الرجال الوحيدين الذين ابتهجوا عندما بكى الآخرون [٤]• وبدا واضحاً أن الحزم في نظام الكنيسة بدأ يتراخى منذ ذلك الحين ، وكان الرجال الدنيويون المفسدون للأخلاق يضربون عرض الحائط بما كان يمليه عليهم أساقفتهم، ولم يعيروا انتباهاً لأدنى ذرة من العدالة الروحية ، وألقى رؤساء الأديرة والرهبان والكهنة المأجورين ، والقساوسة بمخافة الله جانباً ، وتجرأوا على وضع منجلهم في حنطة الآخرين منضماً مع أشخاص ضدّ القانون في الزواج المقدس ، وكانوا يزورون المرضى بدافع من الشهوة ، وليس بدافع من التقوى ، وكانوا يقدمون القرابين إليهم رغماً عن إرادة راعي أبرشيتهم ، وتقييد النفوس ، وإطلاق حريتها ، كان شيئاً لا ينتمي إليهم ومخالفاً لشرع الله والرهبان الطاهرين ، ويقول الحواري " من أنت حتى تدين عند

---

[١] التكوين ١١ : ٤ –١٠ •

[٢] الأناشيد ٢ : ٢

[٣]ورد في الكتاب المقدس " طوبىللانسان الذي لا يتبع مشورة الاشرار ولا يقف في طريق الخطائين ، ولا يجالس المستهزئين " • المزامير ١ : ١ •

[٤]يقول القديس بولس :" إفرحوا مع الفرحين وابكوا مع الباكين •

غيرك [١]" . واعتاد هؤلاء السماح لدين الموتى بحرية ضد إرادة الأساقفة وهكذا يمنحون أنفسهم حقوق كهنة الأبرشية. إن واجب الكنهة الحزن والصلاة يشرفون على أضاحي العامة من الناس . ولم يكن الرهبان فقط على هذه الحالة من عصيان رؤسائهم ، بل الراهبات أيضاً نَفَّضْن عن نفوسهن نير النظام ، وخرجن من عزلتهن – " وتبعثرت حجارة الحرم في ناصية كل شارع [٢]" وكُنَّ قد قمن بزيارات متكررة للحمامات العامة بصحبة أشخاص من الكنيسة . انني لم أكتب الأشياء المذكورة أعلاه ، لأنسب جرائم سلفهم إلى الأجيال التالية أو الحاضرة ، ولكن يمكن أن يغسلوا أيديهم في دم غير الأتقياء ويتعلموا تقليد الأخيار والإبتعاد عن الشر [٣]. دعهم يتعلموا التواضع مثل السيد المسيح ، ويحتضوا فقره وصفاءه وإحسانه ، ويمكن أن يعتزلوا العالم الخارجي ليس في ملبسهم فقط ، " وبصبركم تقتنون أَنْفُسَكُمْ " [٤].

الفصل الثاني والسبعون :

وكلما أصبحوا أعظم قوة بين عامة الناس ، وبين الشخصيات الكنسية ، أصبحت وسائلهم أكثر انحرافاً وفساداً . لقد كان جيلاً شريراً فاسداً ، أبناء أشرار منحطين ، رجال فاسدين ، نشأوا من الحجاج سالفي الذكر ، وهم رجال متدينون ، رضى الإله عنهم ، وتشيع الرحمة في نفوسهم مثل العطارة من النبيذ ، والتفلُ من الزيتون والبِيقَةَ [٥] من القمح، والصدأ من الفضة ؛ لقد خلفوا آباءَهم في أملاكهم ، وليس في اخلاقهم ، وبددوا الثروة التي جناها آباؤهم بإراقة الدم ، والقتال الرجولي ضد المسلمين [٦] من أجل الاله . لقد ترعرع

---

[١] المزامير ١٤ : ٤ .

[٢] مراثي ارميا ٤ : ١ .

[٣] ورد في كتاب العهد القديم ما يلي : " وأَنت يا رب تَضْحَكُ منهم وتَستهزئ بجميع الأمم " . المزامير ٥٨ : ٩ .

[٤] لوقا ٢١ : ١٩ .

[٥] البيقة أو البيقية tare : نبات علفي من الفصلية القرنية .

[٦] ذكرهم يعقوب القيتري بالكفار .

أبناؤهم الذين يدعون بولاني في ترف ورفاهية ، وتنعموا معتادين على الحمامات بدلاً من المعارك ، وأدمنوا الحياة الصاخبة غير النظيفة ، منغمسين في ارتداء الملابس الناعمة مثل النساء ، ومزينين مثل زوايا المعبد المزخرفة [1] لقد كانوا بطيئين كسالى ، وجلين جبناء ضد اعداء المسيح ، ولا يشك أحد في مدى احتقار المسلمين [2]لهم. لقد كان المسلمون يفرون باعدادهم الكبيرة أمام قليل من آبائهم ، بالرغم من عددهم القليل[3]، وكانوا يهربون من صوتهم الذي كان كالرعد [4]؛ ولكن هؤلاء المسلمين أصبحوا لا يخشون أحفاد هؤلاء القدامى ، ما لم يكن هناك بعض الفرنسيين والغربيين الآخرين بينهم. كما قاموا بعقد معاهدات مع المسلمين ، وكانت تغمرهم السعادة من أجل العيش بسلام مع المسلمين [5]، ولكنهم سرعان ما يتشاجرون مع بعضهم بعضاً ، وتنشب حرب أهلية فيما بينهم ؛ وغالباً ما كانوا يستدعون أعداء الإيمان لكي يساعدوهم ضد المسيحيين ، ولا يشعرون بالخجل باضاعة القوات والأموال ، الذين كان عليهم استخدامها ضد أعداء الله [6]، حيث أضاعوا

---

[1] " لكي يعرف بني البشر جبروتك ومجد بهاء ملكوتك " المزامير ١٤٤ : ١٢ .

[2] ذكرهم المؤلف باسم السراقنة .

[3] يبالغ يعقوب الڤيتري في ذكر أمجاد الجيل السابق من الصليبيين ، ويقلل من قيمة القوة الإسلامية . والحقيقة أن الانتصارات التي حققها الصليبيون في بداية استقرارهم في بلاد الشام ، ترجع إلى حالة التفكك والإنقسام التي كان يعاني منها المسلمون خلال تلك الحقبة من الزمن . وليس من شك في أن معظم سكان بلاد الشام كانوا عُزلاً من السلاح ، وعلى الرغم من ذلك فقد استبسلوا في الدفاع عن مدنهم وقراهم ، وبدأوا حركة الجهاد ضد الصليبيين منذ البداية .

[4] المزامير ٥٤ : ٧ .

[5] ذكرهم المؤلف باسم أعداء المسيح ، وهذا خطأ وقع فيه كثير من الغربيين ، لأن المسلمين يعترفون ويبجلون السيد المسيح عليه السلام . ولعل الكتّاب الغربيين كانوا يلجأون إلى كتابة مثل هذا الكلام من اجل إثارة الحماسة بين الغربيين والتحريض ضد الإسلام والمسلمين . (الترجمة العربية)

[6] يلاحظ أن يعقوب الڤتيري يستخدم مثل هذه الالفاظ في اكثر من موقع في كتابه ، وربما كانت هذه لغة العصر التي يتحدث بها كاتب اوروبي عن المسلمين . (الترجمة العربية)

قوتهم بمحاربة بعضهم بعضاً ، وهذا ظلم وضرر للمسيحية • لقد تعلموا اخفاء معانيهم في خطب ماكرة مغطاة بالأوراق ولكن دون ثمار ، مثل أشجار السرو العقيمة ، حتى أن هؤلاء الذين ليس لديهم الخبرة يجدون صعوبة في فهم حيل خطبهم واستيعابها ، ولا يستطيعون تجنب الانخداع بهم • إنهم يَشكونَ ويغيرون على زوجاتهم [1]، ويقومون بحبسهم في أماكن كالسجن، ويسهرون على حراستهم تحت حماية صارمة دقيقة ، حتى أن أقرب الناس إليهن ، من الأخوة والأقارب ، نادراً ما يأتون لزيارتهن ، ويمنعوهن من زيارة الكنائس مطلقاً ، ومن الحضور والإستماع للوعظ إلى كلام الرب ، ومسائل أخرى تتعلق بموضوع خلاصهن ، لدرجة أنه يسمح لهن بزيارة الكنيسة مرة واحدة في السنة فقط• ومع ذلك فهناك بعض الأزواج يسمحون لزوجاتهم بالذهاب إلى الحمام ثلاث مرات في الاسبوع ، تحت حراسة صارمة • وأوصى الأكثر عتاداً وقوة منهم ببناء المذابح قرب أسرة زوجاتهم ، لأجل إقامة قداسات تعقد من قبل قساوسة محتاجين ، وكهنة قليلي الشهرة لكي يظهروا أنهم مسيحيون ويبدون العذر لتصرفاتهم • ولكن كلما اشتدت صرامة البولانية نحو زوجاتهم، زاد العمل عن طريق آلاف الحيل ، ووسائل نضال لا نهاية لها ، ومحاولة لإيجاد طريق لخروجهن • لقد عملن العجب ، وما لا يمكن تصديقه ؛ لقد تعلمن السحر وفظاعات لا يمكن حصرها ، تعلمنها من خلال النساء السريان• والآن ، فإن الحجاج القادمين من مسافات بعيدة ، وبمشقة كبيرة ونفقة باهظة ، تدفعهم التقوى من أجل مساعدتهم، مقدمين أنفسهم وكل ما يملكونه من أجل السيد ، ولم يعاملوا فقط بالجحود والنكران ، من قبل اولئك البولانية ، ولكنهم جعلوا أنفسهم عدوانيين لهم بطرق مختلفة ؛ لأنهم يفضلون الإنغماس في كسلهم ، واشباع رغباتهم الدنيوية والجسدية ، على قتال

---

[1] وصف اسامة بن منقذ – الذي زار فلسطين في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي – الفرنجة بأنهم ليس لديهم غَيْرَة على زوجاتهم ، ويبدو أن حديثه ينطبق على الجيل الأول من الفرنجة الصليبيين الذين ولدوا في الأراضي المقدسة • انظر : كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتي، بيروت " المتحدة للنشر " ١٩٨١م ، ص ١٧٤-١٧٥ •

المسلمين [1]، وذلك عندما نقضت الهدنة وانتهت • وعندما احتالوا ونهبوا الحجاج من خلال ضرائبهم الفظيعة لأجل راحتهم ، وأعمالهم المشبوهه ، وتصريف العملة [2]وأنواع عديدة أخرى من التجارة ، وهكذا جمعوا ثروة كبيرة ، وبعد ذلك صبوا عارهم على أولئك المحاربين والمغتربين لأجل السيد المسيح " عليه السلام " ، لقد احتقروهم وأطلقوا عليهم الحمقى [3]، على الرغم من أنهم كانوا هم المجانين والحمقى ، ويلومون أولئك الذين يحاربون نيابة عنهم ••• إن الاعظم والأكثر سوءاً من ذلك هو الفساد الذي لا يمكن مجاراته ، والانحراف الفظيع لأولئك الرجال الذين يبتهجون لفعل الشر ، ويسرون من درجة التمرد المؤذ (الفظيع) ، ولهم حفظ السواد والجهل إلى الأبد [4]" وقد أمضوا أيامهم بالاشياء الجيدة بالفعل ، لكنهم سوف يذهبون بلحظة إلى الجحيم [5]• الآن مثلما نكره الفظاعة للآثمين كما قال النبي : ضايقني عندما " رأيت المخادعينَ فَمَقَتّهُمْ لأنهم لم يحفظوا أقوالك [6]" ومرة ثانية أبغضهم بغضاً تاما وأصفهم باعدائي " [7]• ولهذا ، فإننا نستودع السيد الاشخاص الطيبين ، إذ بقي منهم أحد بينهم • وإذا غضب أي شخص مني لسبب ما قلته ، فيجب أن يثبت لنفسه أنه ذلك الشخص •

---

[1] ذكرهم المؤلف في هذا الموضع باسم السراقنة •

[2] ربما هذه اشارة إلى عمل الجيل الأول من الفرنجة الصليبيين في مهنة الصيرفة •

[3] يقال أن الذي أطلق عليهم الحمقى هم البولانية ، وهناك قول أورده دو كانج وهو فيلوس هيرن اودي Filios Hernaudi بمعنى الحمقى • Cf. Du Cange, art . filius • ويعتقد أن كلمة بولان مشتقة من اللغة العربية ، ابن فلان ، وهكذا دعي الحجاج الغربيون القادمون من اوروبا من قبل البولانية (النتاج المحلي) •

[4] القضاة ١٣ •

[5] ايوب ٣١ •

[6] المزامير ١١٨ : ١٥٨ ، ١١٩ : ١ •

[7] المزامير ١٣٩ •

الفصل الثالث والسبعون :

أما فيما يتعلق بأولئك الرجال (الذين قدموا) من مدن جنوه ، وبيزا ، والبندقية الشهيرة ، ومن أجزاء أخرى من ايطاليا ، واستقروا في سوريا ، وكسب آباؤهم وأسلافهم شهرة خالدة وقمة أبدية بانتصاراتهم المشرفة على أعداء المسيح [1]، سوف يكونون مزعجين جداً للمسلمين ، إذا كفوا عن غيرتهم وجشعهم ، وتوقفوا عن الخلافات والشعارات المستمرة فيما بينهم ، ولكن ، منذ أن انخرطوا بمعارك ضد بعضهم بعضاً ، موجهة ضد الكفار الخونة [2]، وعملوا الكثير لترويج التجارة والسلع اكثر من المحاربة لأجل المسيح ، هؤلاء الذين كان آباؤهم جسورين ومولعين بالحرب، كانوا خائفين جداً من جانب المسلمين ، يدفعهم الآن ليكونوا بحالة نفسية واقعية ، وخوف مدمر •

الفصل الرابع والسبعون :

منذ الزمن القديم ، كان يوجد رجال آخرون استوطنوا في الأرض تحت قيادة سادة كثيرين ، وتحملوا عبودية الاسترقاق على التوالي تحت حكم الرومان ، واليونان ، واللاتين ، والبرابرة ، والمسلمين ، والمسيحيين • كان هؤلاء الرجال عبيداً في كل مكان ، تابعين دائماً ، وموظفين من قبل سادتهم لأغراض الزراعة ، وأعمال أخرى حقيرة ، وهم جميعاً غير مولعين بالحرب ، لا يرجى منهم فائدة في المعارك ، مثل النساء ، باستثناء بعضهم الذين يستعملون الاقواس والسهام ، ولكنهم كانوا عزلاً من السلاح ، ومستعدين للرب • ويعرف هؤلاء بالسريان ، وهم إما من مدينة تدعى صور ، التي كانت من أكبر

---

[1] وصف يعقوب القتيري المسلمين بأعداء المسيح ، وهذا كلام عارٍ عن الصحة ،لأن المسلمين لم يكونوا في يوم من الايام أعداءً وخصوماً لنبي مرسل أرسله الله سبحانه وتعالى لهداية الناس• وهذا النمط من الكتابة كان سائداً عند معظم المؤرخين والرحالة الاوروبيين في العصور الوسطى• (الترجمة العربية)

[2] المولف يقصد توجيه أنظار المسيحيين المختلفين والمتصارعين نحو المسلمين الذين وصفهم بالكفار •

المدن السورية منذ القدم ، أو من سوريا بتغير حرف y بدلاً من حـرف u ، والذين أطلق عليهم سريان من قبل الكتّاب القدامى يدعون الآن سورياني • وهم ، في معظم الأوقات ، غير جديرين بالثقة ، ومنافقين ، وثعالب ماكرين ، مثل اليونان ، وكاذبين ومرتدين ، ومحبين لإحراز الثروة ، وخونة ، ويمكن التغلب عليهم بسهولة من قبل الراشين ، يقولون شيئاً ، ويقصدون شيئاً آخر ، ولا يفكرون سوى بالسرقات واللصوصية • ويصبحون جواسيس مقابل مبلغ حقير من المال ، ويخبرون جميع أسرار المسيحيين إلى المسلمين ، الذين يحضرونهم إليهم، ويتحدثون بلغتهم أفضل من أي لغة أخرى ، كما يقلدونهم في معظم الأحيان بطرق الخداع ، "وخالطوا الامم الوثنية وتعلموا أعمالهم "[1]، وحبسوا نساءهم تبعاً لعادة المسلمين، وأجبروهن على التدثر بالملابس هن وبناتهن ، بحيث لا يمكن رؤيتهن • وهم لا يحلقون لحاهم كما يفعل المسلمون ، واليونان ، ومعظم الشرقيين تقريباً، ولكنهم يتعلقون بهم بحذر شديد، ويمجدونهم بشكل خاص ، جاعلين اللحية علامة على الرجولة والشرف للوجه ، ودرجة النبل والمجد بالنسبة للرجل • مثل المخصيين الذين يكونون بدون لحى تماماً ، ليكونوا خسيسين ومخنثين من قبل اللاتين ، إذ يفكر هؤلاء بأنه من العار الكبير فقط أن يحلقوا لحاهم وإنما أيضاً أن تنتزع منهم شعرة واحدة • ولذلك فعندما حلق حانون ملك العمونيين [2]انصاف لحى أعضاء وفد داود ليظهر احتقاره له ، ولم يحلقوا النصف الأخر، ولكنهم اختبأوا في مدينة أريحا ريثما تنبت لحاهم [3]،وهكذا عندما أطلق بلدوين كونت الرها لحيته على النمط الشرقي ، وتزوج من ابنة الدوق الشهير

---

[1] المزامير ١٠٦ : ٣٥ •

[2] صموئيل الثاني ١٠ : ٤ •

[3] قبض حانون ملك العمونيين " على أعضاء وفد داود وحلق أنصاف لحاهم وقص ثيابهم إلى منتصف ظهورهم ، ثم أطلقهم • ولما علم داود بالامر أرسل من استقبلهم ، لأن أعضاء الوفد اعتراهم خجل شديد • وأمرهم الملك أن يمكثوا في أريحا ريثما تنبت لحاهم ثم يرجعون " • صموئيل ١٠ : ٤ – ٥ •

الذي يدعى جبريل [١]، وهو أرمني الموطن ، ولكنه يتبع المذهب اليوناني ، ومن أجل أن يبتز الأموال من حماة الثرى ، كونه رجلاً فقيراً ، فقد أخبره أنه رهن لحيته لبعض دائنيه مقابل مبلغ كبير من المال ، وقد تعجب جبريل ، وحزن كثيراً ، واستعد لانقاذ ابنته وزوجها من العار الابدي ، وأعطاه ثلاثين ألف بيزنط[٢] ، شريطة ألا يقوم برهن لحيته مهما كان مقدار فقره ، أو مهما وقع في مشاكل [٣]٠ويستخدم السريان لغة المسلمين في حديثهم ، كما يستخدمون الكتابة العربية في أعمالهم ومعاملاتهم في الكتابات الأخرى جميعها ، باستثناء الكتاب المقدس ، والكتب الدينية الأخرى حيث يستخدمون الحروف اليونانية ، وهكذا في تقديم الخدمة الدينية لسوادهم الأعظم الذين لا يعرفون سوى اللسان العربي ، أصبحوا لا يفهمونهم ، بينما يمكن لليونان الذين يستخدمون اللغة الشائعة نفسها في الكلام ، والكتاب المقدس ، ويمكنهم فهم الكهنة في كنائسهم وفي لغتهم المكتوبة ، إذ

---

(١) **جبريل** : هو ارمني المولد واللغة والعادات ، ولكنه كان يوناني المذهب ، ويتبع الكنيسة الأرثوذكسية ٠ وكان جبريل صاحب ملطية واسع الثراء ، وقام بتزويج ابنته مورفيا لبلدوين كونت الرها ٠ انظر : . Cf. William of Tyre, vol. 1 . pp. 450,478-479– ستيفن رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٦٤ ٠

(٢) البيزنط Besant (Besant, Bisant) : احدى العملات الذهبية التي كانت مستخدمة في العصور الوسطى ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة (القسطنطينية) ٠ وكانت هذه العملة تعادل العملة الارمنية المعروفة بـ " التاهجان Tahegane " وكانت تقسم إلى عشرة أقسام مثلها مثل التاهجان ٠ وكانت البيزنط تعرف قديماً باسم الهيبربرون Hyperperon ، وكانت تمتاز باستقرار قيمتها الذهبية التي تعادل حوالي ثلاثة ونصف غرام من الذهب ٠ وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هناك اختلافات في حجم الذهب ، وكان يمكن أن يحدد سعر العملة من خلال تحقيق دقيق لتاريخها٠انظر : محمود سعيد عمران : السياسية الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور مانويل كومنين ، الاسكندرية ١٩٨٥م ،ص٦٤ ، هامش(١) – محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة ، ص٢٧١ ،هامش(٧) –سعيد البيشاوي : الممتلكات، ص١١٨–١١٩ ٠
Cf. also : Boasc, T.S.R., Kingdoms and Strongholds of the Crusaders, London 1971, P.38.

(٣) William of Tyre , Vol. 1, pp. 478-480 .

إنها كلغة مخاطبة ٠ ويتبع السريان تماماً القوانين والعادات اليونانية فيما يتعلق بالشؤون الدينية والمسائل الروحية ، ويطيعونهم وكأنهم أرفع مقاماً ٠ أما بالنسبة للكهنة اللاتين ، الذين يعيشون في ابرشياتهم ، فإنهم يطيعونهم بالكلام وليس بالفعل ، ويقولون بالظاهر إنهم يطيعونهم من خلال خوفهم من سادتهم ، طبقاً لطبيعة الجنس البشري ؛ لأن لهم أساقفة يونان من أتباعهم ، وليس خوفاً من الحرمان الكنسي ، أو أي عقوبة أخرى على الأقل من اللاتين ، باستثناء أن السواد الاعظم منا يتجنبون كل المعاملات ، أو أي تعامل آخر معهم ، لأنهم يقولون ، بين بعضهم بعضاً ، إن اللاتين جميعهم محرومون كنسياً ، حيث لا يمكنهم اصدار عقوبة على أي منهم ٠ وفي مجمع نيقيا ، وهو أحد المجامع الرئيسة الأربعة ، التي تصدر قراراتها من قبل الكنيسة ، تماماً مثل الأناجيل الأربعة ، بحضور ثلاثمائة وثمانين أسقفاً ، وقد قرر ضمن عدة نقاط أخرى، أن الروح القدس ينشأ (ينبثق) من الأب ، وفي النهاية أعلنوا أن أي واحد سوف يضيق ، أو يسحب أي شيء من أعمال المجلس يكون خارجاً (محروماً) **anathema** [1]٠وعلى الرغم من أنهم قرروا أن الروح القدس تنبثق من الأب ، فهم لا يقولون أبداً أنه لا يتواصل أو ينشأ من الابن ، لأن أشياء عديدة لم تقرر منذ البداية ، والتي تقررت حدوث فيما بعد من قبل رجال مقدسين من أجل تجنب الأخطاء ٠ وبينما يفهم اليونان في عقيدتهم، " أنني اعتقد بالروح القدس ، السيد ، مانح الحياة " ، ويقول اللاتين بتحديد أكثر: " الذي انبثق عن الأب والأبن " وبالأسلوب نفسه ، عندما يقول اليونان: " إن الروح القدس هو من الأب ، لم يعظ ولم يخلق ولم يولد ، وإنما انبثق " ٠ وأضاف اللاتين " أن الروح القدس من الأب والابن ، ولكنهم لم يضيفوا أي شيء متناقض، حيث يمكن أن تفهم الجملتان السابقتان ٠ وهي ضد الذين يضفون أي مسألة متناقضة ٠ وهكذا يقول القديس بولس في رسالته إلى أهل غلاطية " ٠٠ إن بَشَّركُمْ أحد بخلاف ما تَلَقَّيتُم فليكنُ مَبسلاً " [٢]٠

ومن الواضح الآن أن القديسين يعظون بأشياء عديدة ، إلى جانب ما وعظ به

---

[١] كانت الكنيسة المسيحية تعاقب الخارجين عنها بسلاح خطير هو الحرمان أو اللعنة Anathema

[٢] رسالة القديس بولس لأهل غلاطية ١ : ٩ ٠

القديس بولس ، ولكنهم لا يعارضون ما وعظ به القديس بولس: ومن أجل ذلك يجب علينا فهم هذا التحريم. ومن المؤسف أن اليونان والسريان لا يفهمون العقيدة التي اعدت في مجمع نيقيا من قبل الآباء القديسين، ويصرحون أن الروح القدس لم ينبثق من الابن ، على الرغم أن يسوع المسيح نفخ عبيره بين أتباعه ، قائلاً لهم: " خذوا الروح القدس " [١].وبذلك يثبت بوضوح أنه تنفس من الروح القدس ، وانبثق عنه تماماً ، متساو في ذلك مع الأب ، كعهد محبة كليهما . ولذلك يقول المسيح نفسه في الإنجيل :" اني شعرتُ بأن قوة قد خَرَجتْ مني " [٢]. وبفضل قوة الروح القدس ، الذي انبثق منه (المسيح) ، فقد عالج المرأة التي لمست كساءه . ولذلك فعندما قال للأب :" كُل شيء لي هو لك وكل شيء لك هُوَ لي " [٣]، فإن ذلك يوضح أنه مثلما يكون الروح القدس من الأب، يكون من الابن . ولذلك يقول القديس بولس الحواري :" وبما أنَّكمُ أبناءٌ أرسل اللّه روح ابنهِ إلى قلوبكم داعياً أبّا أيها الآبُ " [٤].ويقول القديس يوحنا أيضاً في رسالته العامة : " المسحة التي نلتموها ... عن كل شيء . ومرة أخرى :" المسحة التي نلتموها منه تثبت فيكم ..." [٥].نرى هنا ، بوضوح ، أن الروح القدس، أو المسحة شيءٌ واحد هو روح الأبن ، كما هو للاب ، إذ إن الابن يبعثه كما يبعثه الاب ، ومن خلال شهادته قال : " ... إذا مضيت أرسلته لكم "[٦] .وهكذا فإن الروح القدس تعتبر مشتركاً لكل من الأب

---

[١] يوحنا ٢٠ : ٢٢ .

[٢] عندما كان المسيح في الجليل والجموع تزاحمه قال :" إنه قد لَمَسني واحد لأني شعرت بأن قوة قد خرجت مني " . لوقا ٨ : ٤٦ .

[٣] يوحنا ١٧ : ١٠ .

[٤] رسالة القديس بولس لأهل غلاطية ٤ : ٦ .

[٥] يقول القديس يوحنا : " لكن المسحة التي نلتموها منه تثبت فيكم ولا حاجة لكم أنْ يُعَلِمَكم أحد ما تُعَلِمكم مسحته عن كل شيء ، هو حق لا كذب فكما علمتكم اثبتوا فيه " . انظر رسالة القديس يوحنا الأولى ٢ : ٢٧ .

[٦] يوحنا ١٦ : ٧ .

والابن، وينبثق عنهما • يقول دانيال :" ومن أمامه يجري ويخرج نهر من نار " [١]. لهذا السبب ، فكما يعترف اللاتين أنفسهم أن الروح القدس ينبثق من الابن ، وعلى الرغم من ذلك فهم لا يؤكدونه تماماً • لأن عبارة المنبثق من الابن " ، لا توجد في عقيدتهم • ويعتقد كل من اليونان والسريان ، كما سبق وأسلفنا ، أن اللاتين محرومون كنسياً ، فهم يذهبون لغسل المذابح ، حيث يحتفل اللاتين بالقداس قبل أن يحتفلوا هناك • وعلاوة على ذلك فهم لا يكنون أي احترام للقربان المقدس ، ولا يقفون عندما يعبر كهنتنا كحصنتنا حاملين خبز القربان المقدس لزيارة المريض • في حين أن كنيسة الرومان المقدسة ، والكنائس الغربية جميعها ، يصنعون خبز القربان المقدس غير مخمر ، محاكاة للسيد (المسيح) ، لأن طعام حَمَل الرب كان بخبز غير مخمر ، حسب طريقة اليهود ، حيث أنه تناول الخبز الذي كان مستعملاً على العشاء • وفي المقابل ينبذ اليونان هذه الطقوس ، ويحتفلون بالقربان المقدس بخبز غير مخمر ، وعلى الرغم من أننا تعلمنا حفظ العيد الديني " فلنعيد اذن لا بالخمير العتيق ولا بخمير السوء والخبث بل بفطير الخلوص والحق " [٢] • ويناقض هؤلاء المنشقون تعاليم كنيسة روما المقدسة السامية في أشياء أخرى عديدة ، منتهكين الطقوس الدينية الإلهية ؛ التي ارادت أن تكون روما المدينة العاصمة ، والمطرانية للعالم بأسره ، لتحكم المؤمنين بالأشياء الروحية تماماً كالأشياء الدنيوية : لأن قيفاس الذي عينه السيد على العالم كله ، عندما قال السيد ، بدون أي استثناء :" وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكُلُّ ما ربطته على الأرض يكون مربوطاً في السماوات ، وكل ما حللته على الأرض يكون محلولاً في السماوات " [٣] • ويقول مرةً أخرى :" ارع غنمي " [٤] •لم يقل اللاتين والغربيين فقط، ولكنه قال ببساطة " غنمي " ، حيث يمكن أن يكون راعياً

---

[١] نبوءة دانيال ٧ : ١ •

[٢] رسالة القديس بولس الأول لأهل كورنتس ٥ : ٨ •

[٣] متّى ١٦ : ١٩ •

[٤] يوحنا ٢١ : ١٧ •

والآخر كاهناً [1] •وبما أن كنيسة المسيح شيدت فوق هذه الصخرة تماماً [2]، فإن بطرس الذي صلى من أجله السيد " لئلا ينقض ايمانه " [3] ؛ وتذهب جهود كل هؤلاء الذين ارتدوا عن كنيسة روما هباءً ، لأنهم يشيدون بدون أساس ، ولأنهم انفصلوا عن الذي دعاه المسيح قيفاس ، وسوف ينظر إليها مثل شيء رهيب بدون رأس •ويتفق السريان مع اليونان بعدم السماح بالزواج الرابع ، ولكن الكهنة والشمامسة عندهم يسمحون حتى الآن بعودة النساء للذين تزوجوا منهم رِسامة الكاهن ، على الرغم من أنهم ، عند هذه الامور ، قد لا يعقدون الزواج• وكذلك فإنهم لا يبقون من هم في مرتبة مساعد شماس ضمن الهيئة المقدسة • أما أطفالهم ، فإنهم يوسمون على جباههم بالمرهم المقدس من قبل الكهنة ، بعد التعميد مباشرة ، حيث إنه يسمح بالقيام بهذا العمل عند اللاتين للاساقفة ، ومن هم في المنزلة نفسها فقط ، لأن الأساقفة يَحِلّونَ مكان الحواريين في كنيسة الرب : وعلاوة على ذلك فإن الروح القدس ضرب على أيدي الحواريين من أجل تقويتهم وراحتهم ، حيث تتولى الأيدي المجهزة موقع القربان المقدس • وهم يُقدّرون يوم السبت ويقدسونه كثيراً ، حيث لا يسمح لأحد الصوم في السبت ، باستثناء عيد الفصح فقط • ويجرون الشؤون الدينية يوم السبت تماماً مثل يوم الأحد ، ويتناولون وليمة رائعة في ذلك يوم ، يأكلون اللحوم طبقاً لطريقة اليهود • ولكن هذه الطقوس تتعرض للوم والتوبيخ من قبل اللاتين ، خوفاً من ظهورهم باتباع عادات اليهود•

الفصل الخامس والسبعون :

وعلاوة على ذلك ، يوجد في الأراضي المقدسة ، وأجزاء أخرى في الشرق ، شعوب بربرية [4] أخرى تختلف عن اليونان واللاتين بعدة أمور • وبعض هؤلاء يدعون

---

[1] يوحنا ١٠ : ١٦ •

[2] متّى ١٦ : ١٨ •

[3] لوقا ٢٢ : ٣١ – ٣٢ •

[4] يصف يعقوب الڤيتري الشعوب المسيحية المخالفة لمذهبه بالهمجية والبربرية وعدم التمدن ، وهذا رأيه الخاص ولكن الحقيقة تختلف عن ذلك ، فلكل شعب من هذه الشعوب أفكاره ومعتقداته=

باليعاقبة [1] نسبة إلى معلمهم يعقوب ، وهو تابع لأحد بطاركة الاسكندرية ٠ وكان اليعاقبة محرومين كنسياً لوقت طويل ، كما طردوا من الكنيسة اليونانية من قبل ديوسقورس بطريرك القسطنطينية ، وقد أقاموا في جزء كبير من اسيا والشرق الأوسط ، ويعيش قسم منهم بين المسلمين ، وحاز آخرون بلادا ملكا لهم ، ولم ينسجموا مع الكفار ، وهم يصرحون أن النوبة المجاورة لمصر ، والجزء الأكبر من أثيوبيا [2]، والبلاد الممتدة حتى الهند ، وأكثر من أربعين مملكة ، كانت تعود لهم ٠ وهم مسيحيون، ويتبعون مذهب القديس متى الحواري وبعض الرسل الآخرين ، ولكن قام العدو بعد ذلك ببذر العناصر غير المرغوب فيها [3] بينهم ، وظلوا تائهين في ظلام مؤسف وضلال لفترة طويلة من الزمن ٠ وفي أغلب الأحيان كانوا يختتون أطفالهم من كلا الجنسين طبقاً لعادة المسلمين ، غير مدركين أن فضل التعميد جعل عملية الختان باطلة، كما لو كانت الازهار تتساقط ، أو عندما يكون موسم الفاكهة قد أتى ٠ ويقول القديس بولس لأهل غلاطية :" واشهد أيضاً لكل من اختتن أنه ملتزم بأن يعمل بالناموس كله ، لقد أبطل المسيح من جهتكم أيها المَبَرَّرُونَ

= وعاداته وتقاليده ٠ ويبدو من خلال حديث يعقوب القيتري عن هؤلاء أنه كان متحاملاً عليهم ٠ (الترجمة العربية)

[1] **اليعاقبة** : ينتسبون إلى يعقوب البرادعي Jacobus Baradaeus ، وهو راهب من القسطنطينية، نصب اسقفا في حوالي عام ٥٤١م ٠ ولم تكن الكنيسة اليعقوبية منتشرة انتشاراً واسعاً ، كما يصرح يعقوب القيتري عن السلطة اليعقوبية ، وتجدر الاشارة إلى أن اليعاقبة اتبعوا المذهب المونوفيزي القائل بالطبيعة الواحدة ولم يقبلوا بمبدأ الطبيعتين (الإلهية والبشرية) في الشخص الواحد للمسيح ٠ وقد نظمت الكنيسة المونوفيزيه في سوريا من قبل يعقوب البرادعي المتوفي سنة ٥٧٨م٠ وانتشر مذهب الطبيعة الواحدة في المنطقة الواقعة من سوريا إلى أرمينيا في الشمال ومصر في الجنوب ٠ ولا يزال الارمن والاقباط حتى هذا اليوم يتمسكون بلاهوت الطبيعة الواحدة ٠ انظر : فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جـ١، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، بيروت ١٩٥٨م ، ص٤١٢-٤١٣ (الترجمة الانجليزية والعربية)

[2] المقصود هنا بلاد الحبشة ٠

[3] متّى : ١٣ ٠

بالناموس وسقطتم من النعمة "[١] ٠وهناك خطأ آخر لهم ليس أقل من الخطأ سالف الذكر ، وهو أنهم يعترفون بخطاياهم ليس أمام الكاهن ، وإنما وحدهم سراً إلى الله، ويضعون البخور على النار بجانبهم كما لو أن الخطايا سوف تصعد إلى اللّه مع الدخان ٠ ويقومون بخطأ مُخزٍ ، غير فاهمين للكتاب المقدس ، هالكين من التعاليم الخاطئة ، يكتمون جراحهم عن اطبائهم الروحانيين ، الذين من واجبهم التمييز بين جذام وجذام ، ليفكروا ملياً في الظروف التي أخطأ الرجال في ظلها ، لأجل فرض الكفارة عليهم ، للربط والحل [٢]، طبقاً لما تعلموه من أساليب ، ولإقامة الصلوات لهؤلاء الذين يعترفون لهم، إذ يقول السيد المسيح للمجذومين في الإنجيل :" اذهبوا إلى الكهنة واعرضوا أنفسكم " [٣] ٠ وقرأنا عن يوحنا المعمدان :" يتعمدون على يده في نهر الاردن معترفين بخطاياهم " [٤] ٠ والآن فإن الاعتراف المخجل والخزي المصحوب بالقلق والاعتراف المتواضع يعتبر الجزء الأكبر للكفارة ٠ ويبدي رجال ميلاً أكثر للخطأ إذا فكروا أنهم لا يحتاجون لكشف أفعالهم الشريرة للرجال ٠ ولذلك كتب " من كَتَم معاصيه لم ينجح ، ومن اعترف بها وَأقلَعَ عنها يُرحَم " [٥]٠ أما الخطأ الثالث ، والجهل التام للعاقبة مثل الظلام الذي يمكن الشعور به ، إذ إن العديد منهم حرقوا ووسموا أطفالهم بحديد متوهج ، جاعلين ميسماً فوق جباههم ، قبل التعميد ، وكان آخرون منهم يوسمون أطفالهم بعلامة صليب على كل من وجناتهم واصداغهم ، معتقدين خطأ ، أنهم بذلك يعملون كفارة لأخطائهم بنار فعلية ، لأنه وَرَدَ في انجيل القديس متّى أن القديس يوحنا المعمدان قال عن السيد المسيح : " هو يُعَمِدكُم بالروح القدس والنار "[٦] ٠وبهذا فمن الواضح لكل المؤمنين أن غفران الخطايا يجب أن يجري

---

[١] رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية ٥ : ٢-٣ ٠

[٢] متّى ١٨ : ١٨ ٠

[٣] لوقا ١٣ : ١٤ ٠

[٤] متّى ٣ : ٦ ٠

[٥] الأمثال ٢٨ : ١٣ ٠

[٦] متّى ٣ : ١١ ٠

بنار روحية بوساطة الروح القدس ، وليس ناراً مرئية • وفي كتب الأنبياء ، فإن السيد يوبخ أولاد إسرائيل ويهددهم بشدة، لأنهم يمررون أطفالهم عبر النار كما يفعل الوثنيون • حيث يقول الرب على لسان النبي موسى :" فلا تتعلم ان تصنع مثل رجاسات تلك الأمم • لا يوجد فيكم من يجيز ابنه أو ابنته في النار "[1] • ويعرف المسيحيون كلُّهم أنه لا سيدنا ولا أتباعه ، ولا أي من الآباء المقدسين ، تركوا أي عادة من هذا النوع في الكنيسة ، أو أمروا باجراء أية عملية وسم [2] • وقد رأيت كلاً من اليعاقبة والسريان ، الذين يقطنون مع المسلمين ، موسومين بعلامات صليب مكوية على أذرعهم بحديد حار ؛ وقالوا إن ذلك من أجل التمييز بينهم وبين الكفار ، وبدون أية حبلة للصليب المقدس ، إذا أنهم يمتلكون شكل الصليب مدموغاً على أجسادهم • وقد أجريت تحقيقاً جاداً عن اليونان والسريان لأنهم يبغضون اليعاقبة ، وقاموا بطردهم من مجتمعهم ، وقالوا إنهم وقعوا في الشر العظيم ، والبدع اللعينة ، مصرحين بأنه ما دام المسيح شخصاً واحداً فإن له طبيعة واحدة• أما الآن فإن الهراطقة ، من هذا النوع ، كانوا محرومين كنسياً ومحكوماً عليهم من قبل مجمع خلقيدونية[3] • ويؤكد بعضهم بطريق الخطأ أن السيد المسيح بعد أخذ طبيعتنا عنده ، لم يوجد في طبيعتين ، ولكن الطبيعة الدينية بقيت لديه فقط• وقد عُرِضَ هذا الخطأ أمام الكنيسة من قبل إيتيخس رئيس دير القسطنطينية • ويصرح آخرون أن الطبيعتين في المسيح أصبحتا طبيعة واحدة؛ ومبتدعو هذا الخطأ هم أساقفة معينون من الاسكندرية ، ويدعون ثيودوسيوس وجالانوس • وعلى الرغم من ذلك ، فنحن نعرف ، بالتأكيد ، أن يسوع المسيح ، جاع ، وعطش ، وشعر باحتياجات أخرى وفقاً لطبيعته البشرية ، كما أنه عانى من الموت فوق خشبة الصليب قال: " قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن "[4]، ومرة

---

[1] التثنية ١٨ : ٩-١٠ •

[2] لا تزال عادة الوسم موجودة في بعض المقاطعات •

[3] مجمع خلقيدونية : عقد في عام ٤٥١م

[4] يوحنا ٨ : ٥٨ •

ثانية: " أنا ذاك الذي كلمتكم عنه منذ الابتداء " [1] • ومرة أخرى " أنا والأب واحد " [2] • ويقال الشيء نفسه طبقاً لطبيعته البشرية ،" إن الاب الذي أعطاني هو أعظم من الكل "[3]• ومرة أخرى :" فلما أخذ يسوع الكوب قال قد تم وأمال رأسه وأسلم الروح " [4]• أما الآن ، عندما عملت تحقيقا بحذر شديد عن اليعاقبة سالفي الذكر ، فيما إذا كانوا يعتقدون أن هناك طبيعة واحدة للسيد المسيح قالوا : كلا ، ولا اعرف فيما إذا كانوا متأثرين بخوف أو بأي سبب آخر • وعندما سألتهم لماذا تستعملون اصبعاً واحداً ، أجابوا بأنهم ، باصبع واحد ، يرمزون إلى وجود طبيعة الهية واحدة ، والثالوث المقدس في ثلاثة أشخاص ، وهكذا فإنهم يحصنون أنفسهم بإشارة الصليب باسم الثالوث المقدس المنسجم • ولكن اليونان والسريان يقولون في توبيخهم إنهم يوسمون أنفسهم باصبع واحد بسبب تلك الطبيعة الواحدة التي يعتقدون أن السيد المسيح يمتلكها• ويستعمل بعضهم الحروف الكلدانية ، وبعضهم الآخر يستعمل الحروف العربية،التي ندعوها السريانية ، وجميعهم يستخدمون لهجات مختلفة أثناء أحاديثهم العامة ، طبقاً لشعوبهم المتنوعة ، ومقاطعاتهم المختلفة ، وهم لا يفهمون اللغة التي يستخدمها رجال الدين لديهم للكتاب المقدس ، وعلى الرغم من أن هؤلاء يستخدمون الحروف السريانية ، إلا أن ما يكتب لا يمت بصلة إلى نبرة اللسان العربي العامة ، ولكنها مميزة ومفهومة عن طريق التعليم والممارسة فقط •

الفصل السادس والسبعون :

وهناك أمم أخرى تقطن فقط في الأرض المقدسة ، بين المسلمين ، ولكنهم يقطنون في الجزء الأكبر من الهند • وهؤلاء يدعون بالنساطرة ، الذين ينتسبون إلى مهرطق يدعى

---

[1] يوحنا ٨ : ٢٥ •

[2] يوحنا ١٠ : ٣٠ •

[3] يوحنا ١٠ : ٢٩ •

[4] يوحنا ١٩ : ٢٩ •

نسطور [1]، الذي جاب معظم الشرق بتعاليمه المسممة والقاتلة ، وخصوصاً بين هؤلاء الذين يقطنون أراضي ذلك الأمير القوي الخشن الذي يدعى عموماً برستر يوحنا • إن هؤلاء وملكهم كلهم نساطرة ، ويقال إنهم واليعاقبة يشكلون عدداً أكبر بكثير من اللاتين واليونان•ولا نتحدث عن أولئك الذين يقطنون مع بعضهم بعضاً ، واعدادهم لا تحصى ، ولكننا نتحدث عن عدد من المسيحيين الذين يعيشون بين المسلمين وينسجمون مع الكفار ، ويتبعون لحكمهم أو لقانونهم ، مثل المسلمين أنفسهم ، وعلى أي حال ، فإن هؤلاء الرجال، وعلى الرغم من أنهم لن يؤمنوا بالتعاليم المثيرة لمحمد (ﷺ) ، إلا أنهم أفسدوا بخزي بوساطة الهراطقة • ويقول نسطور ابن جهنم سالف الذكر – الذي كان رئيساً لأساقفة القسطنطينية – وجماعته ، إن مريم العذراء المقدسة لم تعد الآن أم الإله • ولكنهم يعترفون أنها أم المسيح الإنسان ، معلنينَ ان كان يوجد في المسيح طبيعة دينية واحدة وطبيعة انسانية واحدة ، وفيما يتعلق بالطبيعتين الكائنتين فيه ، كان هناك شخصان مميزان في المسيح ، وهم لا يعتقدون أن كلمة اللّه والكائن البشري تختص بمسيح واحد ، لكنهم يعتقدون انهما شخصان مميزان ومنفصلان ، الأول ابن اللّه ، والآخر ابن الإنسان • وكانت هذه البدعة البغيضة قد شجبت وَأُدينت من قبل مجمع إفسوس [2]، الذي حضره

---

[1] نسطور : ولد في بلاد الشام واطلق عليه لقب الحكيم ، وكان ظهوره زمن الخليفة العباسي المأمون ، وجرى انتخابه بطريركاً على كرسي القسطنطينية عام ٤٢٨م ، وقد تصرف في الاناجيل حسب رأيه ومن أقواله : إن اللـه تعالى واحد ، ذو أقانيم " صفات" ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة • وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو • " كما كان يقول أيضاً " إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين " انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ، اعداد عبداللطيف محمد العيد ، القاهرة " مكتبة الانجلو مصرية " ١٩٧٧م ، ص ٢٣٩ ، انظر أيضاً : اسحاق ابراهيم فارس: المدخل إلى العهد المسيحي الأول ، القاهرة ١٩٨٧ ص ١٤٨ • (الترجمة العربية)

[2] عقد مجمع افسوس باسيا الصغرى في ٢٢ حزيران (يونيه) عام ٤٣١م وهو المجمع المسكوني الثالث ، ولم يشهده الامبراطور البيزنطي ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠) بل أرسل مندوباً عنه كلفه بحفظ النظام •وقد حضر المجمع ٢٠٠ اسقفاً من بينهم نسطور الذي كان =

ثلاثمائة من آباء الكنيسة ٠ أما فيما يتعلق بالروح فهي شخص واحد ، ولذلك فإن الإله والشخص هما مسيح واحد ؛ وعلى الرغم أن طبيعة الروح تختلف عن طبيعة الجسد ، فلا يوجد انسان تابع للروح وآخر تابع للجسد ٠ وعلى الرغم أن طبيعة الحديد شيء واحد ، وطبيعة النار شيء آخر ، إلا أن الحديد المتوهج شيء واحد ٠ وطبقاً للبدعة سالفة الذكر ، فلا يجب على الإنسان استخدام كلمات ، " المسيح هو إله وإنسان "٠ وقد مات ابن الإله ودفن ، لأن ما يتعلق بوجود ابن الإله ، لا يمكن أن يعاني أو يموت ٠ وبالرغم من ذلك يقول اشعياء : " لأنه قد وُلِدَ لنا وَلَدٌ ٠٠٠ وَدُعي اسمه ٠٠٠ الها جباراً " [١] وهكذا كان الرب طفلاً صغيراً، حيث يعارض تعاليمهم الهرطقية ٠ وبالأسلوب نفسه ، يتحدث إرميا عن ابن الإله :" وبعد ذلك تراءى على الأرض وتردد بين البشر " [٢]، حيث كونه ربّاً فإنه لا يرى.ويقول القديس بولس :" أرسل اللّهُ ابنَه مولوداً من امرأةٍ مولوداً تحت الناموس " [٣]٠ يتضح من هذا أن ابن الله هو ابن العذراء ، وهكذا تكون مريم هي أم الإله٠ يقولون :" هذا الإنْسَانُ وهذا الإنْسَانُ وُلِدَ فيها والعَلِيُّ يُثَبِّتُها "[٤] ٠ وهكذا ، فإن الإنسان ولد من مريم العذراء قد أوجدها أيضاً، وأن ذلك الإنسان هو الرب ٠ وبالأسلوب نفسه ، يجب أن نعترف أن ذلك الطفل خلق السموات ، وكان أبدياً بنفس الجوهر مع الأب، ومساوياً له ٠ لأن " الكَلِمَةَ صارت جسداً ، وَحَلَّ فينا "[٥] ٠ والآن نراه يقول بنفسه :" أنا ذاك الذي كلمتكم عنه منذ الابتداء "[٦] ٠ ولا يوجد أي إنسان سليم العقل يمكن أن يشك أن

= يصحبه اربعون اسقفاً ، وقد حكم عليه بالنفي حيث لقي حتفه ٠ انظر : اسحاق ابراهيم فارس : مدخل إلى العهد المسيحي الأول ، ص ١٦١ ٠

[١] اشعياء ٩ : ٦ ٠

[٢] نبوءة باروك ٣ : ٣٨ ٠

[٣] رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية ٤ : ٤ ٠

[٤] المزامير ٨٧ : ٥ ٠

[٥] يوحنا ١ : ١٤ ٠

[٦] يوحنا ٨ : ٢٥ ٠ هذا القول أيضاً طبقاً للفولجاتا Vulgate (الترجمة اللاتينية للكتاب =

هذا الشخص نفسه هو الابتداء ، وخالق جميع الأشياء ، ويتحدث مع البشر ، وهكذا يبدو واضحاً ، وبدون أي ذرة شك ، أن الطبيعة الإلهية ، والطبيعة البشرية واحدة متشابهة ، وهي التي ينكرها النساطرة التعساء٠ وهم يستخدمون الحروف الكلدانية في الكتاب المقدس [١]، كما أنهم يستعملون الخبز المخمر في القداس مثل اليونان ٠

الفصل السابع والسبعون :

ويقطن بعض الناس في جبال لبنان ، في مقاطعة فنيقيا ، ليس بعيداً عن مدينة بيبلوس ، وهم كثر يستعملون الأقواس والسهام ، ويتصفون بالسرعة والمهارة في المعركة، ويدعون بالموارنة [٢]، نسبة إلى معلمهم الأول مارو المهرطق [٣]، الذي اعتقد أن للمسيح (عليه السلام) ارادة ومشيئة واحدة ٠ وموجد هذه البدعة هو اسقف انطاكية المدعو مكاريوس ، الذي حكم عليه ، مع اتباعه ، كزعيم للهراطقة ، وطرد من كنيسة المسيحيين المؤمنين ، مقيداً بقيود الملعونين كنسياً ، بمقتضى مجمع القسطنطينية

= المقدس) التي قام بها القديس جيروم ٠

[١] كانت اللغة والحروف التي استخدموها سريانية والنساطرة المحدثون يتحدثون لهجة سريانية عامية تشتمل على كلمات عديدة من الفارسية والعربية ، والكردية ٠ (الترجمة العربية)٠

[٢] الموارنة : يقول المؤرخ الفرنجي وليم الصوري : إن الهرطقة ، التي ارتكبها مارو واتباعه لا يزالون عليها ، وهي أن السيد المسيح ما زال كما كان منذ البدء ، ذا مشيئة واحدة ، وطبيعة واحدة وقد عقد ضدهم المجمع المسكوني السادس الذي تحملوا فيه عقوبة اللعنة ، ويقال إنهم عادوا فنبذوا هرطقتهم سنة ١١٨٠م ، وعادوا إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية تحت قيادة بطريركهم والعديد من أساقفتهم ٠ Cf. William of Tyre , vol .2 . ch.22, p. 459 ٠انظر أيضاً : احمد رمضان : المرجع السابق ، ص٦٣ ، هامش ٢٥٧ ٠

[٣] يقال أن مارو عاش في حدود سنة ٤٠٠م ، وقد عمد تلاميذه إلى نقل جثمانه إلى موقع قرب مدينة افاميه على نهر العاصي ، ودفنوه هناك ثم اقيم فوق قبره دير عُرفَ بدير مارو تخليداً لذكراه ٠ انظر : اسطفان الدويهي : المرجع السابق ص ٢٠ ٠

السادس ، الذي اجتمع فيه مائة وخمسون من آباء الكنيسة • ونظراً لوجود دافع للتفكير ، وآخر للشهوة بالنسبة للرجل العادي ، فقد كان للمسيح (عليه السلام) رغبة انسانية ، تجعله راغباً للأكل ، وللشرب ، لتناول الكأس مروراً منه ، فضلاً عن رغبة دينية أخرى ، وهي التي كانت متحدة مع رغبة الآب • وقد أثبت بوضوح هاتين الرغبتين بقوله :" ليس كمشيئتي بل كمشيئتك " [1]، من لا يعرف أن المسيح (عليه السلام) كان مهتماً بالطعام ، والشراب ، واحتياجات أخرى ، وهي عمليات إنسانية ، ولا علاقة لها بالألوهية الأبدية فقط ، حيث إن البحث من الموت ، والزعم بالحياة بعد الموت ، ليست بيد الإنسان ، وإنما ترجع لقدرة دينية فقط • وبذلك يتضح أن عمل الإنسان يختلف عن الألوهية • وبالأسلوب عينه علمنا القديس بولس الحواري بوضوح أن رغبة الإنسان مضاعفة ، حيث قال في رسالته إلى أهل رومية :" إنني لا أعرف ما أنا عاملُهُ ، لأن ما أُريده من الخير لا أعمله بل ما أكرهُهُ من الشر اياه أعمل " [2]•شاهد هنا قوة الصراع بين رغبة الفكر والشهوة • ويقول مرة أخرى :" إنني أعلم أن الخير لا يسكن في أي في جسدي لأن الإرادة حاضرة لي وأما فِعْلُ الخير فلا أجِدُهُ• [3]" وأما الروح فمستعدٌ ،" [4] وعمله طبقا للرغبة المنطقية ، ولكن الكائنات الحية ضعيفة ، لأنها طبقا للرغبة الجسدية ، وطبقاً لأن الشخص يأخذ بطرس ، ويلقيه إلى حيث لا يرغب ، ولكن عملية الرغبة المنطقية عنده ، ستجعله يعود إلى روما طواعية ، وبأن يختار الصلب • وقد أوضح الحواري بولس هاتين الرغبتين كناموسين " قانونين " متنازعين داخل الإنسان ، ويقول :" لكنني أرى في أعضائي ناموساً آخر يُحاربُ الشريعةَ التي يُريدها عقْلي ،

---

[1] قال المسيح عليه السلام مخاطباً الرب :" إن كان يستطاع فلتعبر عني هذه الكأس ، ليس كمشيئتي بل كمشيئتك " • انظر : متّى ٢٦ : ٣٩ •

[2] رسالة القديس بولس لأهل رومية ٧ : ١٥ ، ١٩ •

[3] رسالة القديس بولس لأهل رومية ٧ : ١٨ •

[4] متّى ٢٦ : ٤١ •

ويَجْعَلُني أسيراً لناموس الخطيئة الكائن أعْضَائي "[١]، والآن ، فإن مارو ، سابق الذكر ، الذي كان مبهوراً بغباء بالوهم المرسل عن طريق الشيطان ، كان له العديد من الاتباع الذين يتبعون بدعته ، ويدعون بالموارنة ، وقد انفصلوا عن الكنيسة المقدسة ، وعن طائفة المؤمنين نحو خمسمائة سنة ، ويحتفلون بأسرارهم المقدسة وحدهم فقط ، وبعد ذلك غيروا ما في قلوبهم بحضور الأب المبجل عموري – بطريرك انطاكية ، وأعلنوا إيمانهم بالكاثوليكية ، وأقسموا بالتخلي عن البدعة السابقة ، واتباع عادات كنيسة روما [٢]، ومن هنا، حيث إن أساقفة الشرق كلّهم ، باستثناء اللاتين فقط ، لا يستعملون الخواتم او التيجان الأسقفية ، ولا يحملون الصولجانات الأسقفية في أيديهم ، كما لا يستعملون الأجراس ، ولكنهم كانوا يريدون دعوة الناس إلى الكنيسة ، بالطرق على لوح خشبي بوساطة عصا ، وهؤلاء هم الموارنة سالفو الذكر ، وفي دليل إذعانهم لروما ، يتبعون عادات وشعائر اللاتين ، ولذلك كان بطريركهم حاضراً في مجلس اللاتيران [٣] العام الذي عقد باحتفال مهيب في مقاطعة البابا المبجل انوسنت الثالث، وقد استخدموا الحروف الكلدانية [٤] ، واللغة العربية [٥] الشائعة.

الفصل الثامن والسبعون :

يقطن الشعب الأرمني وحده في مقاطعة أرمينيا[٦] قرب انطاكية ، بين المسيحيين

---

[١] رسالة القديس بولس لأهل رومية ٧: ٢٣ .

[٢] تم ذلك سنة ١١٨٢م ، ويؤرخ خضوع الموارنة التام لكنيسة روما منذ حوالي عام ١٦٠٠م .

[٣] عقد المجلس في حوالي عام ١٢١٦م .

[٤] لا يزال القداس يقرأ بالسريانية .

[٥] ذكرها باسم لغة السراقنة .

[٦] كانت مقاطعة ارمينيا تدعى " ارمينيا الصغرى "، وقد تأسست في قليقيا . وعندما كتب يعقوب القيتري كانت سيس عاصمة أرمينيا ، حيث يقيم الكاثوليك .وتجدر الاشارة إلى أن الارمن اشتهروا بالحرب والقتال ، وانخرطوا في القرن الثاني عشر الميلادي في صفوف الجيوش الفرنجية كخيالة ومشاة ، لمحاربة المسلمين في شمال الشام . انظر : محمود الحويري : =

والمسلمين • ويعتبر الأرمن منفصلين ومختلفين عن أي أمة مسيحية ، إذ إن لهم شعائرهم المميزة ، وعاداتهم الغريبة الخاصة بهم • وللأرمن سالفي الذكر زعيم خاص بهم يدعونه كاثوليكوس [1]، ويطيعونه جميعهم من اصغرهم شأناً إلى أكبرهم ، إلى أقصى حد من الطاعة والتشريف والإجلال ، ويبجلونه كما لو كان باباً آخر •

ويوجد بين الأرمن واليونان خلافات لا سبيل لتهدئتها ، ونزاعات لا يمكن تسويتها، فكل طرف ينفر من طقوس الطرف الآخر وشعائره ، ولديهم لغتهم وحروفهم الابجدية الخاصة بهم ، ويقرأون الكتاب المقدس بلغة عامية ، ولهذا يمكن للناس كافة أن يفهموا لكهنتهم ، ورجال دينهم في الكنائس الخاصة بهم ، وكما قلنا يكون الوضع عند اليونان ، ولا يحتفلون بعيد ميلاد السيد (المسيح) طبقاً للناس كلّهم ، ولكنهم يصومون في أيام عيد السيد (المسيح) • وعند انتهاء الصيام ، يقيمون عيد السيد مع عيد القديس يوحنا المعمدان ، ويصرحون أنه في ذلك اليوم نفسه يحتفلون بعيد ميلاد السيد طبقاً للروح • ولا يمكن القول إن السيد يمنح أرواحاً جديدة ، أو أنه يولد مرة أخرى ، لأنه هو الذي ليس له خطيئة أصلاً ، ولم يطهر بماء المعمودية ، " الذي لم يصنع خطيئة ، ولم يوجد في فمه

= المرجع السابق ، ص٩٤ • وسار الارمن على نمط النظم الاقطاعية الفرنجية ببلاد الشام ، فمحكمة سيس كانت تشبه محكمة بيت المقدس لها قهرمان (سنجال) ومارشال وكُندسطبل • وقد استخدم ملوك ارمنيا لغتهم القديمة التي لم يتكلم بها غيرهم ؛ وقد اختلفت الكنيسة التي يتبعها الارمن عن الكنائس الاخرى الموجودة بالشام في عصر الحروب الصليبية • وقد عرفت كنيسة الارمن باسم الكنيسة الجريجورية •

Cf. Miller, Essays on the latin orieant, London 1908, P. 526 -Grouset, R. , L'Empire du levant, Paris 1946 , P.311

الحويري : المرجع السابق ، ص٩٥

[1] ذكر بوردشارد من دير جبل صهيون أنه امضى مع رئيس مطارنة الأرمن أربعة عشر يوماً ، ولم ير أي شخص من رجال الدين أو الدنيا مثله ، ويرى بورشارد أن الملابس كلها التي كانت يرتديها لم تكن تساوي خمسة شلنات استرلينية • انظر وصف الأرض المقدسة ، ص ١٧٧ •

مكر "[1]. إنهم يقيمون الصوم الكبير قبل (عيد) انبعاث السيد ، على نحو صارم، فهم لا يمتنعون فقط عن اللحوم ، والأجبان ، والبيض ، والحليب ، وإنما لا يأكلون الاسماك ، ولا يستعملون الزيت ، ولا يشربون النبيذ : وبصعوبة يجب أن يسمى صياماً ، لأنهم يأكلون الفاكهة والخضروات كلما أرادوا ذلك خلال يومهم • ولكنهم قد يختلفون عن الطوائف المنافسة لهم، فاليونان والسريان يأكلون اللحوم في بعض أيام السبت • ولا يخلطون الماء بالنبيذ في يوم القربان المقدس لدم المسيح (عليه السلام) ، حيث يَنْذُرونَ في الشعائر الهرطقية قريبين من الخطأ [2]. حيث إن السيد المسيح ، عندما وضع العشاء على الطاولة ، خلط النبيذ ليس وفقاً للطقوس اليهودية فقط ، ولكن حسب طقوس الشرقيين كلهم الذين لا يشربون النبيذ بدون خلط • وجعل قربانه المقدس من النبيذ المخلوط بالماء • وفي واقع الأمر ، فإنه لا أحد ، في هذه المناطق ، يمكنه أن يشرب النبيذ الصافي دون أن يقع مريضاً • حيث يقول القديس سبريان ، حول هذا الخليط من الماء والنبيذ ،" إذا لم يطع أحد من اسلافي، سواء عن طريق الجهل أو السذاجة، القانون الذي علمنا اياه السيد المسيح عن طريق تحذيراته وسلطته ، فإنه قد يعفى عنه عن طريق غفران السيد ، ونحن لا يمكننا الغفران ، حيث إننا حُذِّرنا واعطينا التعليمات من قبل السيد بتقديم كأسه مخلوطاً بالماء ومن الواضح هنا أن السيد (المسيح) قدم كأساً من النبيذ المخلوط بالماء في ليلة العشاء الأخير •

ولذلك فإن الأرمن ، سالفي الذكر ، لم يقلدوا السيد المسيح في عيد القربان المقدس في المذبح ، ولم يدركوا الطقس الديني • وبالنسبة للماء ، فهو سريع الجريان ، وشيء غير صلب ، وهو يرمز إلى الشعب الفاني ، ولذلك ، فإن الماء يخلط مع النبيذ ليوضح أن

---

[1] رسالة بطرس الأولى ٢ : ٢٢ •

[2] كان الأرمن أول الشعوب المسيحية التي حرمت مزج الماء بالنبيذ المقدس ، ولكنهم كانوا قد ادينوا على هذا في مجمع القسطنطينية سنة ٦٩١م ، بتلاوة بصوت عال " in Trullo " • وقد اعترف بهذا المرسوم من قبل جميع المسيحيين •

cf . Palmer , Antiauities of English Ritual,iv.,P.9 (الترجمة الانجليزية)•

الناس انضمت إلى المسيح ، مثل الطبيعة البشرية لمخلصنا • حيث أنه إذا كان لأي شخص أن يقدم نبيذاً صافياً ، لو أن دم المسيح انفصل عنا ، واذا قدم الماء وحده ، كما لو أن الناس بقوا بدون المسيح ، ولا يكون هناك المعني المطلوب يقدم كأس السيد بالنبيذ ، أو بالماء كل على حده ، لأننا قرأنا في الآية ان كليهما يجري من جنبه [1]•وعلى الرغم من أن الأرمن وعدوا الآن باطاعة البابا وكنيسة روما المقدسة ، عندما تسلم ملكهم أرضا من هنري امبراطور الرومان المقدس ، وقد تم تتويجه من قبل رئيس اساقفة مينز ، الا أنهم لم يغيروا عاداتهم وتقاليدهم القديمة الراسخة •

الفصل التاسع والسبعون :

ويوجد أيضاً في الشرق جماعة مسيحية أخرى ، وهم مولعون جداً بالحرب ، وشجعان في المعركة ، ويمتازون بقوة اجسامهم ، وقوتهم من ناحية اعداد المحاربين التي لا تحصى • وهم يفزعون جداً من المسلمين ، وقد احدثوا دماراً كبيراً من خلال غاراتهم على الفرس ، والميديين ، والاشوريين الذين يقطنون عند حدودهم ، كونهم محاطين تقريباً من قبل امم وثنية • ويدعى هؤلاء القوم بالجورجيين ، لأنهم ينتمون فعلاً للقديس جورج ، الذي جعلوا منه نصيرهم ، وقائدهم اثناء القتال مع الوثنيين • وهم يبجلونه أكثر من جميع القديسين الآخرين • وهم يقرأون الكتاب المقدس باليونانية ، ويقدمون القربان المقدس تبعاً للطريقة اليونانية • ان رجال الدين ، عندهم ، يحلقون شعورهم بشكل دائري ، أما سوادهم فلديهم حلاقة مربعة الشكل • وهم يأتون لأجل الحج إلى قبر السيد المسيح (كنيسة القيامة) في أي وقت ، ويسيرون داخل المدينة المقدسة عارضين راياتهم بدون ابداء أي تقدير لأي انسان ، لأن المسلمين لا يمكنهم التحرش بهم بأي طريقة، خشية أن يثأروا لأنفسهم في طريق عودتهم من جيران مسلمين آخرين • وتحمل نساؤهم النبيلات اسحلة في المعركة مثل الفرسان كما تفعل نساء الامازون • وكان الجورجيون

---

[1] يوحنا ١٩ : ٣٤ ورد في انجيل يوحنا :" لكن واحداً من الجند فتح جنبه بحربة فخرج للوقت دم وماءٌ " •

ساخطين جداً ، وهددوا المعظم عيسى [١]أمير دمشق ، لأنه تجرأ على هدم أسوار بيت المقدس[٢] ضد رغبتهم ، أثناء حصار اللاتين لمدينة دمياط [٣]. وهم يطلقون شعورهم ولحاهم حتى يصل طولها ذراعاً ، كما يرتدون قبعات على رؤوسهم ٠

الفصل الثمانون ٠

يدعى المسيحيون ، الذين يعيشون في افريقيا واسبانيا ، بين المسلمين ، باسم موزاربي[٤]؛ ويستخدمون الحروف اللاتينية ، ويقرأون الكتاب المقدس باللغة اللاتينية ،

---

[١] الملك المعظم شرف الدين عيسى بن شرف الدين العادل بن ايوب بن شادي ، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ ، ونشأ بالشام ، وقرأ القران وتفقه على مذهب الامام أبي حنيفة ٠ وكان المعظم شجاعاً كثير الحياء متواضعاً ، مليح الصورة ، ضحوكاً غيوراً ، حسن العشرة ، محافظاً على الصحبة والمودة ٠ وقيل أنه توفي بالدوسنطاريا في أواخر ذي القعدة سنة ٦٢٤هـ ٠ انظر : الحنبلي : شفاء القلوب ، ص٢٧٦-٢٧٧ ، ٢٧٩- ابن واصل :مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ٤ ، تحقيق محمد حسنين ربيع ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص٢٠٨-٢١٨ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، تحقيق كلود كاهن ٠ Cf. Bulletin D'Etudes Orientales, tome 15,Damas 1985,P.137.

[٢] عندما كان الفرنجة يحاصرون مدينة دمياط تقدم الملك المعظم عيسى " بخراب ابراج بيت المقدس واسواره " وتم هدم جميع الاسوار والابراج باستثناء برج داود في عام ٥١٦هـ ٠ وفي ذلك يقول جمال ابن واصل : " لما هدمت أسواره انتقل عنه اكثر المقيمين به ، وكان فيه خلق لا يحصون ، فلم يبق فيه إلا القليل من الناس ، ثم تقدم الملك المعظم بنقل ما كان فيه من الزردخاناة وآلالات القتال وغير ذلك ، فعظم على المسلمين خرابه ٠ انظر : مفرج القلوب ، جـ٤، ص٣٢ ٠

[٣] حاصر الفرنجة دمياط سنة ٦١٥هـ " وأحدقوا بها براً وبحراً ، ومنعوا المير عنها فهلك أكثر أهلها من الجوع والوباء ووقع فيهم الفناء ، ومات أكثرهم ، ولم يبق بها من المقاتلة إلا القليل ، فزحفت الفرنج عليها وملكوها في السيف ، وأسروا جميع من فيها يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان سنة ست عشر وستمائة ، وكانت مدة الحصار ستة عشرة شهراً واثنين وعشرين يوماً " ٠ انظر : ابن العميد : المصدر السابق ، ص١٣٣ ٠ (الترجمة العربية)

[٤] موزاربي Mozarabi : هذه اللفظة تعني مُغاربي Mogharabi, ، أو الناس الغربيين ، لكن هذا المصطلح أطلق الآن على المسلمين واليهود من أصل غربي ٠ (الترجمة الانجليزية)

وهم ، كما اللاتين الآخرين ، يطيعون كنيسة روما بتواضع واجلال ، وبدون انحراف وبأي طريقة عن بنود العقيدة أو الأسرار المقدسة • وهم يحتفلون بالقربان المقدس بخبز غير مخمر ، كما يفعل اللاتين • وعلى أي حال ، فإن بعضهم يقسم القربان إلى سبعة أجزاء ، وبعضهم على تسعة ، في حين أن الكنيسة الرومانية واتباعها تقسم القربان المقدس على ثلاثة أجزاء فقط • ولكن مثل هذا التقسيم لا علاقة له ، ولا يؤثر في جوهر القربان المقدس ولا يضيره أو يعوق تأثيره (أو فضيلته) •

الفصل الحادي والثمانون :

يوجد في الشرق شعوب أخرى تعيسة ، مغضوب عليها من الله ، وهم أخِسَّاء جديرون بالازدراء ، يطلق عليهم البعض الاسينيين [1]، وهم ينحدرون من سلالة اليهود • وبعض هؤلاء يعتقدون أن الحياة بعد الموت من شروط الايمان ، ويأملون باحراز الشيء نفسه مرة أخرى ، وهم لا يتزوجون خشية من فجور النساء ، اللواتي يعتقدن أنه لا أمان لرجل واحد • وآخرون يتزوجون ، ولكنهم لا يتحدثون مع زوجاتهم اثناء فترة الحمل ، ليظهروا أنهم جامعوهن فقط من أجل انجاب ذرية ، وليس من أجل المتعة • ويقولون إن الروح بعد الموت لا تستقبل العقاب ولا الثواب ، ولكن كلما ساروا على نحو مضاد

---

[1] الاسينيين Essences : فرقه يهودية ظهرت في فلسطين حوالي القرن الثاني قبل الميلاد ، وقد استمرت تنتشر أراءها حتى بداية القرن الثاني الميلادي وبعد ذلك ضعف شأنها • وتعرف هذه الطائفة باسم المغتسلين وهي تختلف عن بقية الفرق اليهودية اختلافاً أساسياً في عقائدها وتقاليدها • وأقام أفرادها قرب البحر الميت في الكهوف والمغاور ، واتخذوا لهم نظاماً نسكياً خاصاً شديد الدقة يقوم على الصرامة والتقشف وأتباعها رجال لا نساء بينهم ، ومن أهم مبادئهم أنهم يحرمون نظام الرق على عكس الفرق اليهودية الآخرى الذي يقوم نظامها على الرق • ولكن هذه الطائفة لم تعمر طويلاً فقد بدأت بالانقراض في أواخر القرن الأول الميلادي • وقد عرفت هذه الطائفة باسم الحسديين Hasidim بمعنى المشفقين • انظر : أحمد سوسه : مفصل العرب واليهود ، ص ٨٠٢ • (الترجمة العربية)

لهذه الطوائف ، فإن جهود هؤلاء الرجال تضيع هباءً [1]، ومن بين هؤلاء الأسينيين الحشاشين [2]سالفي الذكر ، ويقال أنهم الأكبر ، حيث يحتفظون بجزء من الحروف الأبجدية اليهودية ، ويستخدمون خليطاً من الحروف العبرية والحروف الكلدانية [3]، وآخرون الصدوقيون [4]الذين لا يؤمنون بالحياة بعد

---

[1] عرف عن هذه الطائفة انها تحرم الملكية الفردية وترفض تقديم الذبائح والقرابين، كما أن أتباعها كانوا يدعون إلى التعايش السلمي بين جميع الشعوب ، وتهتم هذه الطائفة بالطهارة ، وكان اتباعها يغتسلون كل صباح في مياه الينابيع الصافية ، ويعتمدون في معيشتهم على ما يزرعونه من الحبوب والفاكهة • وعلاوة على ذلك ، كانوا يستحضرون العقاقير ويجمعون الحشائش ويشتغلون بشفاء الناس من الامراض • انظر : احمد سوسه : المرجع السابق ، ص٨٠٢ •
(الترجمة العربية)

[2] أخطأ المؤلف هنا ، لأن الحشاشين ليسوا من اليهود ، ولكنهم طائفة من الطوائف الإسلامية الشيعية أسسها الحسن بن صباح ، وبعد وفاته تولى الداعية (بزرك آميد) أمر طائفة الحشاشين وقد تعرضوا للإبادة في بلاد فارس على يد هولاكو خان ، وفي لبنان على يد المماليك • ويتواجد منهم الآن في فلسطين مجموعة كبيره وهم يقطنون في منطقة نابلس على وجه التحديد ويقيم جزء منهم في شرقي الاردن • وعلاوة على ذلك انتشر قسم كبير منهم في بلاد الهند وشمال فارس ، وهم يعرفون باسم الخوجات أو المولوية أو الاغاخانية • انظر : محمد عثمان الخشت : حركة الحشاشين " تاريخ وعقائد اخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي " القاهرة " مكتبة ابن سينا " ١٩٧٧م ، من ٥٤-٦٥، ٦٥ ، ١٢٦-١٢٨ • (الترجمة العربية والإنجليزية)

[3] لم يوفق يعقوب القتيري في هذا الجانب ايضاً لأن الحشاشين المسلمين لم يستخدموا الحروف العبرية او الكلدانية على الاطلاق ويبدو أنه وقع في هذا الخطأ عن جهل بتاريخ هذه الطائفة •

[4] الصدوقيون : يدعي اليهود أن الصديقيين ينتسبون إلى " صدوق الكاهن " الذي أخذ البيعة لسليمان ونصبه على العرش وعينه سليمان كاهناً أعظم • انظر : حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي ، ص٢١٤ ، سعيد البيشاوي وآخرون : الأديان والفرق ، ط١ ، عمان " دار الاتحاد " ١٩٩٠م ، ص٥٧ • وقد أصبحت أسرة صدوق تتولى أمر الكهانه الدينية من بعده وأصبحت هذه الوظيفة حكراً عليهم وصار الانتماء إلى هذه المجموعة =

الموت [1]، وقد تسلّموا أسفار موسى [2]، ولكنهم لم يفهموها ، حيث يوبخهم السيد(المسيح) في الانجيل قائلاً لهم :" قد ضَلَلْتُم لأنكم لم تعرفوا الكُتُبَ ولا قوة الله "[3]. وبعد أن استشهد بنص من كتب موسى ، " أنا إله ابراهيم واله اسحق وإله يعقوب " [4] وقد افحمهم ، منهيا بهذا الاسلوب " والله ليس إله أموات وإنما إله أحياء" [5].وآخرون هم السامرة الذين يستخدمون الحروف العبرية مثل اليهود . وقد تسلّموا اسفار موسى الخمسة فقط ، ولكنهم لا يعترفون ببقية الانبياء ، وأي أسفار أخرى من الكتاب المقدس لليهود . وعندما اقتاد شلما نصر [6] – ملك اشور – القبائل الاسرائيلية العشر [7]اسرى ، أرسل السامريين سالفي الذكر إلى مقاطعة نابلس ليرثوا الأرض مكان اليهود [8]، وعلى الرغم أن السامريين تلقوا " كلام الله " من قبل الرسل [9]، إلا أن بعضهم بقي ثابتاً على أخطائه ، وهم الذين

= مرتبطاً بضرورة الترويج بدعوى المحافظة على الدين والاستقرار على العقيدة . انظر : سعيد البيشاوي وآخرون : المرجع السابق، ص٥٨ .

[1] لا يؤمنون بالبعث ويوم القيامة ، ويعتقدون أن عقاب العصاة والمذنبين ، واثابة المحسنين إنما تحصلان في الدنيا . انظر : سعيد البيشاوي وآخرون : الأديان والفرق ، ص٥٨ .

[2] لا يعترفون إلا بكتاب الأسفار ، ويرفضون الأحاديث الشفوية لموسى عليه السلام ، وهم بذلك يؤمنون بقدسية العهد القديم ، ولا يؤمنون بالتلمود وغيره . انظر : سعيد البيشاوي وآخرون : المرجع السابق ، ص٥٨ .

[3] متّى ٢٢ : ٢٩ .

[4] متّى ٢٢ : ٣٢ .

[5] متّى ٢٢ : ٣٢ .

[6] شلما نصر : هو أحد القادة الأشوريين الذين قاموا بغزو للمملكة الشمالية ، وسبوا جميع القبائل الاسرائيلية العشر أسرى إلى بلاد العراق . وقام الاشوريون بتوطين جماعة بدلاً منهم في المنطقة .

[7] الملوك الثاني ١٧ : ٥-٦ .

[8] الملوك الثاني ١٧ : ٢٤ – ٢٧ ، أعمال الرسل ١ : ٨ .

[9] اعمال الرسل ١ : ٨ .

لعنهم السيد ، أو عاقبهم بالرحم العقيم والصدور الجافة ، تماماً كما لعن هذا الشر ، والأرض الفاسدة ، يحكم عليهم بالنار الأبدية إلى جانب الجفاف والأرض القاحلة ، حيث يمكن القول إنه لا يوجد منهم على قيد الحياة أكثر من ثلاثمائة [1]شخص في جميع أنحاء العالم ٠ وآخرون منهم تسلّموا اسفار موسى والرسل ، والعهد القديم كلّه، ولكن في معناها الحرفي فقط ٠ وهؤلاء هم الذين قال القديس بولس بخصوصهم، " الحرفَ يقْتُل والرُّوح يُحيي " [2]، ويقول السيد (المسيح) في الانجيل : " الروح هو الذي يُحيي ، وأما اللحم فلا يفيد شيئاً ٠٠٠ " [3]٠ومن الواضح هنا أن الكتاب المقدس بلا فائدة ، أو لا يستخدم عند اليهود، وليس هذا فحسب ، وإنما يجعلهم متضررين كما يقول النبي داود : " لِتَصِرْ لهم مائدتهم فَخًّا وَعَقَبَة وَعِقاباً "[4]، لِيَصر مَسْكنِهُمُ خَراباً ، ولا يَبقَ في خيامهم ساكن٠ لأنهم يَضْطَهِدُونَ من عَاقبْتَه "[5]٠" لِتُظلِم عُيُونُهُم كَيْ لا يُبْصِرُوا " [6]وبخصوص كلمة المائدة فهو يقصد الكتاب المقدس ٠ ولكن الجزء الأكبر منهم [7] يعيشون منفردين في ذلك الجزء من الشرق ، حيث يقال إن الاسكندر ملك مقدونيا حجزهم ، أو حبسهم خلف جبال كسبيان في المكان الذي سيحضرون منه في وقت عودة المسيح ، والتقدم إلى الأراضي المقدسة ٠

---

[1] المقصود هنا طائفة السامرة التي تقيم في منطقة نابلس ، وتعظم جبل جرزيم ، وتحج اليه ، كما أن السّمرة تتجه إلى هذا الجبل اثناء الصلاة ، ويطلقون عليه جبل البركات أو الفرائض ٠ وتجدر الاشارة إلى أن السّمرة لا يتزاوجون الا من بعضهم البعض ، ولذلك نجد عددهم قليلاً في منطقة نابلس ٠ ولا يمكن التفريق بينهم وبين أهالي نابلس العرب فهم يتعاونون معهم تجارياً وعلمياً ولا يختلفون معهم إلا دينياً ٠

[2] رسالة القديس بولس الثانية لأهل كورنتس ٣: ٦ ٠

[3] يوحنا ٦ :٦٤ ٠

[4] المزامير ٦٩ : ٢٢ ٠

[5] المزامير ٦٩ : ٢٥-٢٦ ٠

[6] المزامير ٦٩ : ٢٣ ٠

[7] ان المرجع لليهود القرائين يوجد في كوكاسوس Caucasus الذين كانوا صديقين ٠

وفي هذا المكان نفسه ، بين جبال كسبيان والبحر ، حجز الاسكندر نفسه يأجوج ومأجوج ، الذين هم تراب البحر ، ولا تحصى أعدادهم ، وذلك لأنــه كره عــاداتهم البغيضــة فــي أكـل لحوم البشر ، ولحوم نيئة غير نظيفة • ويهود آخرون أولئك الذين كان أباؤهم يصرخون ، " دَمُهُ عَلَيْنا وعلى بَنِينَا " [1]، وهم متفرقون في كل أنحاء العالم ، وفي كل اتجاهات السماء، وفي كل مكان يتواجدون فيه يكونون عبيداً ودافعي ضرائب • وقد تحولت قوتهم إلى رماد، بسبب كلمات النبي اشعيا ء[2]، لأنهم ، في الواقع ، قد أصبحوا ضعفاء، وغير محبين للحرب ، فهم مثل النساء ، ويقال إن عندهم سيلاً من الدمار كل شهر • وقد ابتلاهم الله في الأعضاء الخلفية " وجعلهم عاراً مدى الدهر " [3]• منذ أن قتلوا أخاهم هابيل أصبحوا هائمين ومتشردين فوق الأرض مثل قابيل الملعون ، له رأس مرتعش[4]، أو قلب مليء بالخوف ، يقضون ايامهم ولياليهم في خوف ، ويعيشون بالرعب حتى الوفاة • أما المسلمون ، الذين يعيشون بينهم ، فإنهم يكرهونهم ويحتقرونهم أكثر من المسيحيين ، ولما كان الجشع البغيض للأمراء المسيحيين، يحملهم على طلب السعي من أجل الربح الدنيوي، سمح لهم باستبعاد الرجال المسيحيين ومعاناتهم عندما تتم سرقتهم عن طريق الربا الفاحش الذي لا يطاق • وهم يعملون عند المسلمين بالتجارات الأكثر رداءة وقسوة ، وهم اقنان وعبيد للكفار ، ويعانون من العيش معهم ، بأدنى وضع في الحياة • وعلى الرغم من أنهم يتعرضون للقتل على يد المسيحيين أكثر من تعرضهم للقتل من قبل المسلمين ، لأن السيد حفظهم لفترة من الوقت مثل زند الخشب من الغابة ليتم حرقه في الشتاء ، ومثل الكرم الرديء [5]• وهكذا يقول النبي داود عنهم :" الهي برحمته يوافيني • ويريني هزيمة

---

[1] متّى ٢٧ : ٢٥ •

[2] اشعياء ١٠ •

[3] المزامير ٧٨ : ٦٧ •

[4] caput tremulum, ومن الواضح أنه اقتباس ولكن ليس من الفولجاتا " الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس " التي قام بها القديس جيروم •

[5] اشعياء ٥ •

أعدائي، لا تقتلهم يا رب، إنما اجعلهم عبرة لئلا ينسى شعبي ، بل بددهم بقدرتك واطرحهم أرضاً أيها الرب حامينا "[١]. ولأنهم يذكروننا بموت السيد المسيح [٢]، وقد تلقيت شهادتهم من الكتاب المقدس حول الأشياء التي خلقها الله لنا ، كما يقول دانيال :" يُقْتَلُ المَسِيحُ ، ولكن ليس من أجل نفسه ، وَيُدمِّرُ شَعْبُ رئيس آت ، وتدمر المدينة والملاذ " [٣]، ويقول داود :" الغُرَبَاءُ يَخُورون ، يخرجون من حصونهم مُرْتَعِدِينَ "،[٤] ولا يوجد هناك أي نبي لم يحمل لنا أي شهادة ضدهم، إن قلب هذا الشعب أعمى جداً ، فهو يلتمس طريقه ويسلب في وسط النهار ، كما هو في الظلام، آذانهم صماء ، وعيونهم لا ترى شيئاً من جراء موت المسيح ، فقد أغضبوا الله بطرق عديدة قبل وفاة المسيح ، من خلال عبادتهم لآلهة وثنية، وأخضعهم الرب بسبب قيامهم بعمل أشياء منكرة [٥] لأعدائهم ليخدموهم في بعض الأحيان نحو عشر سنوات ، وفي أحيان أخرى لمدة عشرين سنة ، وفي ذات مرة وقعوا في الأسر ، في مدينة بابل ، لمدة سبعين سنة[٦]، وبعد ذلك أطلق الرب سراحهم [٧]، ولكن بعد أن قتلوا يسوع المسيح – على الرغم من أننا لم نقرأ عن ذلك ، منذ أن عبدوا

---

[١] المزامير ٥٩ : ١٠-١١ ،

[٢] هذا حسب الاعتقاد المسيحي ، أما المسلمون فيعتقدون بعكس ذلك ، حسب ما نزل في القرآن الكريم ، قال تعالى :" وقولهم إنا قتلنا المسيح ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذي اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً "، سورة النساء ،

[٣] دانيال ٩ : ٢٦ ،

[٤] المزامير ١٨: ٤٦ ،

[٥] القضاة ٤ : ٢ ،

[٦] المقصود هنا وقوعهم في الأسر البابلي على يد نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق ، م ، حيث بقوا في الأسر حتى سنة ٥٣٨ ق ، م عندما أعادهم قورش الفارسي إلى فلسطين مرة ثانية بسبب مساعدته في حروبه ضد الكلدانيين ، ويقال إن زوجة قورش اليهودية أثرت عليه من أجل إعادة بني قومها إلى فلسطين ، (الترجمة العربية)

[٧] أخبار الأيام الثاني ٣٦ : ١٧ – ٢٣ – إرميا ٢٥ ،

الأوثان ، فقد وقعوا في الأسر ما يزيد عن الف سنة ، ولم يحصلوا على عفو السيد لغاية الآن ، ولكن كما يصلي المسيح إلى الله :" أما أنت يا رب فارحمني واشفني ، فأُجازيهم "[1]، وإلى هذا الحد ، هل حظيت صلاته من الاله الاب ، وكما وعظهم موسى طويلاً من قبل قائلاً ، على لسان الاله ،" لي النقمة وأنا أجازي "[2] ، ومرة أخرى ، " فَيُصيبُكم الشر في آخر الايام ، لأنكم تقترفون الشر أمام الرب حتى تثيروا غيظه بما تجنيه أيْدِيكُمْ "[3].

وقد أخبرنا دانيال عن الأسر الأخير في هذه الكلمات :" وَيُدَمر شعب رئيس آت المدينة والقدس ، وَتُقبِلُ آخرتها كطوفان ، وتستمر الحرب حتى النهاية ، ويعم الخراب المقضي به "[4].ويبرم عهداً في نهاية الحرب ، ولكنه يبطل الذبيحَةَ والتَّقدِمَةَ ، وفي المعبد سيكون هناك رجاسة الخراب ، وسيستمر هذا الخراب حتى الاكتمال والنهاية [5].

الفصل الثاني والثمانون :

ولكن منذ استعادة الأرض المقدسة وتخليصها ، فإن هؤلاء ، الذين يعرفون وصفها وقدرها والتعاقبات المتعددة لمصيرها، ونظروا بدقة نحو ازدهارها وتقدمها ، وأكدوا حقيقة أنه لا يمكن لأي سلالة بشرية تمتلك قوة عظيمة ، ولا أي كارثة أن تعمل علىدمارها أكثر من رجالها الخطرين والمجرمين والأشرار والعاقين والدنسين ، ولصوص ، وسارقين وقتلة ، قتلة الابوة ، حانثي اليمين ، زناة ، خائنين للوطن ، قراصنة – أي منتحلين – داعرين مغنين ، ممثلين ، مدمني خمر ، لاعبي نرد ، رهبان مرتدين ، راهبات مومسات ، نساء تركن ازواجهن للعيش في بيوت الدعارة ، ورجال هربوا من زوجاتهم الشرعيات وحصلوا على غيرهن ، شعب مثل هذا في الغرب ، قاطعا البحر الأبيض المتوسط ، ولديه لاجئون

---

[1] المزامير ٤١ : ١٠ .

[2] التثنية ٣٢ : ٣٥ .

[3] التثنية ٣١ : ٢٩ .

[4] دانيال ٩: ٢٧ .

[5] دانيال ٩ : ٢٧ .

في الأراضي المقدسة ، حيث غَيَّروا مناخهم ولم يغيروا شخصياتهم [1]، وقد دنسوها بجرائم لا تحصى ، وافعال شائنة ، وهم يخافون الله ، ولا يبجلون الانسان ، ولكنهم يأثمون بدون خجل ، وكلما ابتعدوا عن معارفهم الشخصيين وأقاربهم ، فإنهم ينفذون جرائمهم بوقاحة أكثر • إن السهولة ، التي تمكنهم من الهرب من العقاب ، تعتبر حصانة لهم تمكنهم من فعل الخطأ ، بهذا أطلقوا العنان لفجورهم وفسوقهم ، إذ إنهم بعد عمل الفظائع الكبيرة ، يقسمون كذباً بالمسيح ، ويذهبون إلى المسلمين المجاورين ، أو أنهم يركبون ظهر سفن شراعية أو مراكب ، ويبحرون إلى جزر في البحر ، أو أنهم سوف يتخذون ملجأ في بعض بيوت رجال الدين ، إذ إن الرجال ، الذين يهربون من العدالة ، يجدون أي مكان في طريقهم ، حيث أن الامتياز الهدام يحمي مرتكبي الشر ، وهكذا يهربون من الضريبة • وعندما يقبض على بعض الرجال الدمويين أو أطفال الموت في بلادهم ، وهم ضعفاء ، ويحكم عليهم بقطع أحد أوصالهم شنقاً ، يمكنهم ، إما عن طريق البؤس أو عن طريق الرشوة، الحصول على حكم بالنفي الابدي في الأرض المقدسة دون الأمل في العودة • هؤلاء الرجال ، الذين اصبحوا متجنسين في الأراضي المقدسة ، ليس عن طريق التوبة ، ولكن عن طريق القوة، اعتادوا على تأجير منازل للحجاج بأجور غير معتدلة ، ويخدعون الغرباء الأبرياء بكل الطرق التي يقدرون عليها ، ينتزعون منهم المال بالحيلة لأجل الديون التي لا يمكن لهم جلبها ، وهكذا يعيشون حياة بائسة من خلال سرقة ضيوفهم ، وقد اعتادوا على ايواء الحشاشين ، واللصوص ، ولاعبي القمار ، والمومسات، آملين بتلك الوسيلة الحصول على مكاسب اكثر ، ويدفعون جزية سنوية لمن هم أغنى وأقوى منهم ، ظناً بأن يكونوا انصارهم، ولكي يساندوهم في ظلمهم وشرورهم سالفة الذكر، من أجل الخطيئة الكبرى التي لا تجارى لكلا الطرفين ، لأن هؤلاء الذين من أجل مبلغ ضخم من المال يكسبون امتياز حفظ المومسات ولاعبي القمار ، فإنهم يستنزفون المال

---

[1] يشير يعقوب القتيري إلى أن الاوروبيين انتقلوا إلى الأراضي المقدسة وهم يحملون نفس العادات والتقاليد التي كانت سائدة في الغرب الاوروبي على الرغم من إنهم غيروا المناخ الذين كانوا يعيشون فيه • (الترجمة العربية)

الكثير من أولئك المومسات ولاعبي القمار • ولكن هؤلاء يتسلمون – ضد إمرة السيد – أجرة [1] المومس، جاعلين من أنفسهم شركاء لكل خطاياهم وشرورهم ، حيث إن الشريك في الجريمة يقع عليه العقاب الذي يقع على المجرمين • إن بعض الاشخاص من ذوي العقول النيرة الذين ذهبوا إلى الاماكن المقدسة لأجل الحج ، ليس من أجل التقوى أكثر من كونه الفضول ، أو محبة البدع (الاشياء الجديدة) ، وكان يمكنهم الترحال إلى أراضٍ غير معروفة ، وبجهد كبير يمكنهم اثبات حقيقة الغرابة ، للقصص الاعجازية التي سمعوها عن الشرق • وفي حقيقة الامر ، فإن الله خلق أعمالاً رائعة في هذه الاماكن ، التي يحولها الرجل الحكيم ، ذو الفكر النير إلى تمجيد واجلال للاله ، مثل القديس براندان [2] الذي أبحر عبر البحار لفترة طويلة من الوقت ، حتى يمكنه ملاحظة معجزات الله على نحو عميق ، ولكن المستهزئين الفضوليين حولوا تلك الاشياء التي تفضل الله بخلقها لاثبات قوته واظهار أمجاده إلى حماقة • إن القليل من ذلك الذي فكرنا به ملائم للاضافة في هذا العمل الحالي ، ويمكن أن يكون نافعاً ومتقناً وملائماً للقراء •

الفصل الثالث والثمانون :

هزات أرضية خطيرة ، مفزعة ومخيفة تحدث دائماً ليس فقط في مملكة بيت المقدس ، ولكن أيضاً في البلدان المحيطة حولها ، وخصوصاً الواقعة قرب البحر ، لأن الهبات العنيفة ، وهياج الموجات في الأماكن الباطنية للأرض والكهوف ، وبما أن الهواء المضغوط والمندفع بسرعة لا يجد فتحات ، فهو يهز الأرض هزات قوية ثم يندفع • وإذا

---

[1] ورد في الكتاب المقدس " لا تأتوا بتقدمةِ نَذْرٍ ما إلى بيت الرب إلهكم من مكسب زانية أو مأبونٍ ، لأن لكليهما رجساً أَمَامَ الرَّبِّ • التثنية ٢٣ : ١٨ •

[2] القديس براندان الاكبر ، كان رئيس دير كلونفرت Clonfert في ايرلندا ، وتوفي سنة ٢٥٧٦ ، عن عمر يناهز أربعة وتسعين عاماً • القصة هنا تشير إلى رحلة السبع سنوات التي قام بها من أجل الكشف عن الجزر المجهولة والاشياء العجيبة التي شاهدها ، وقد رفضت لأنها خرافية (غير قابلة للتصديق) من قبل ڤينسنت بيوفياس (speculum Historiale , book xxi, ch Vincent of Beauvais Ixxxl .)and by the authors of (Acta Sanctorum see that work for may 16 , and Golden legend fol . ccxxx . Printed by Julian Notary of Temple Bar , 1503 .

لم تستطع الأرض المقاومة فإنها تنفجر ، وتحدث هنا فجوة واسعة ، ولذلك ، ففي بعض الأحيان تلتهم بتلك الوسيلة المدن إلى الهاوية • وإذا لم تنفجر الأرض ، فإنها تهتز مثل الدفعات العاصفة ، مثل هبوب الرياح ، وتسقط تلك المدن بجدرانها وأبراجها ، والمباني الأخرى ، آخذة الناس على حين غرة ، حيث يغمرهم ويربكهم • ولذلك ، فإن العاقلين من الرجال في هذه الاجزاء ، والذين لا يعلمون متى تقوم هذه العاصفة سالفة الذكر ، يراقبون بكل اجتهاد، غير مهملين تحضير أرواحهم للموت ، غير متجرئين للعيش في وضع ، حيث لا يمكنهم تحدي الموت • ومن خلال هذا الدمار المهلك ، كانت مدينة صور قد دمرت تقريباً مع سكانها جميعاً ، بعد أن أصبحت بيد اللاتين ، وبينما يكون البرق والرعد في الغرب ، في فصل الصيف ، فإنه يحدث في الأراضي المقدسة في فصل الشتاء ، حيث لا يمكن ، أو من الصعوبة أن تمطر هناك في فصل الصيف، ولكن في فصل الشتاء فإنها تمطر مدة ثلاثة أو أربعة أيام متواصلة ، أمطاراً تحدث فيضانات كبيرة مثل الطوفان يغرق ويضرب كل الأرض • ونادراً ما يسقط الثلج فوق الأراضي المقدسة ، باستثناء قمم الجبال العالية مثل لبنان • وطوال فصل الصيف ، وخصوصاً أيام الشعرى [1] التي تمتاز بحرارتها الشديدة ، يُجلب ثلج بارد إلى بيت المقدس من لبنان في شهر أغسطس (آب)، خلال رحلة تستغرق يومين أو أكثر ، حيث أنه عندما يخلط (يمزج) مع النبيذ يجعله بارداً كالثلج • ويحفظ هذا الثلج عن طريق تغطيته بالقش بحيث لا يذوب من حرارة الشمس أو حرارة الجو •

الفصل الرابع والثمانون :

لقد وجدت ينابيع في كلٍ من البحر واليابسة، وتعتبر مياهها من أصفى المياه وأعذبها • ويقال إن أحدها يوجد في منطقة نابلس [2]، وكانت مياهه تتغير إلى أربعة ألوان

---

[1] أيام الشعري dog days : الفترة الواقعة بين أوائل يوليه (تموز) وأوائل سبتمبر (أيلول) وتتميز بجوها القائظ الشديد الرطوبة في نصف الكرة الشمالي •

[2] ذكرها يعقوب القيتري باسم السامرة Samaria على الرغم أن المنطقة في العصر الوسيط كانت تعرف باسم نابلس • ويبدو أن المؤلف كرجل دين قد تأثر بالاسماء التوراتية التي وردت =

في السنة ، وهي للعلم الأخضر ، ولون الدم ، ولون التراب أو الطين ، ثم يصبح لونه شفافاً وصافياً تماماً ، وهذا يعطي تنوعاً رائعاً وممتعاً لعيون المشاهد • أما نبع سلوان[1] فلا تتدفق مياهه العذبة دون انقطاع من المنبع ، ولكن على فترات فاصلة ، لمدة ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع • ويوجد نهر سريع الجريان ، مليءٌ بالمياه قرب جبل لبنان ، بين مدينتي عرقه ورافنا [2]، حيث يطلقون عليه نهر السبعتيكول **Sabbatical** [3]، لأنه لا تظهر فيه المياه بتاتاً لمدة ستة أيام ، وفي اليوم السابع تندفع مياهه فجأة ، وتفيض من قاعه الجاف • وفي مقاطعة صور يصنعون الزجاج الصافي ، المستخرج من تراب البحر ، من

= في الكتاب المقدس • (الترجمة العربية)•

[1] وردت في النص الانجليزي سيلوام Siloam •

[2] **عرقة** : من المدن الشامية القديمة ، أسسها الفنيقيون ، واستقرت بها عائلة كنعانية عرفت باسم (العرقية) ، والمدينة تقع شمال شرق طرابلس وعلى بعد نحو اثني عشر ميلاً منها ، وتعرف اطلالها اليوم باسم تل عرقة • والعرقيون هم سكانها القدماء : انظر : سفر التكوين ١٠ : ١٧ – اخبار الايام الأولى ١ : ١٥– احمد سوسة : المفصل ، ص ٨٥٦ – بورشاد : وصف الأرض المقدسة ، ص ٢٦ ، هامش ٢ • أما مدينة رافنا فهي احدى المدن القريبة من نهر العاصي ويكتب اسمها رفنية ، وهي تقع شمال شرق عرقة ، ويحدها من الشمال حصن بعرين •
(الترجمة العربية)•

[3] يعرف عند سكان المنطقة باسم فوار الدير Fuwar ed - Deir ، أي دير مارجريس • ويدعى أيضاً بنهر السبع Naher es -Sabba • ويقول يوسيفيوس إنه نهر السبتي القديم الذي زاره القائد الروماني تيطس • وقد ذكره ناصر خسرو بقوله :" ذهبنا بطريق الساحل من حماة نحو الجنوب ، وهنالك بين الجبال رأينا ماء قيل لنا عنه تماماً ، ويبقى كذلك حتى بعد أن ينتصف شعبان من السنة التالية "• ويذكر يوسيفيوس أن النهر يتوقف عن الجريان أيام السبت ولكن المسلمين يقولون إنه يتوقف أيام الجمعة • انظر : لي سترانج : فلسطين في العهد الإسلامي ، ص ٧٢–٧٣ أعتقد أن هذا النهر من الأنهار الموسمية التي تجري في بلاد الشام ، أثناء موسم تساقط الأمطار ، وبعد انتهاء فصل الشتاء تتوقف المياه عن الجريان في النهر ، ولا أعتقد أن المياه تجري في يوم دون الآخر • (الترجمة العربية)•

خلال حرفة بارعة باستخراج تراب البحر ٠

الفصل الثاني والتسعون :

يئس السيد [١] من شعبه تماماً ، إلى حدّ الخصام الشديد ، وأصبح حانقاً جداً على ورثته ، وهكذا تقدم اعداؤنا [٢] رغم المقاومة ، ونحن في المؤخرة ، حيث أخذوا منا بالقوة ليس أرض الميعاد فقط ، ولكن البلاد والمدن والقلاع كلها تقريباً ، بدءاً من مصر ، وحتى ميزوبوتاميا [٣]٠وقد أبقوا لنا من المدن الساحلية اثنتين فقط هما للعلم صور وطرابلس ، إلى جانب مدينة انطاكية ، وقليل من الاماكن القوية، مثل حصن كورس **Cursatum**[٤] قرب انطاكية ، وحصن الاكراد [٥]، والمرقب [٦]، والحصن

---

[١] المزامير ٧٨ ٠

[٢] المقصود هنا هم المسلمون الذين استردوا بلادهم من المستعمر الفرنجي الصليبي ٠

[٣] **ميزوبوتاميا :** لفظة اغريقية تعني بلاد ما بين النهرين ، وأطلقها الاغريق القدماء على بلاد العراق ٠ (الترجمة العربية)٠

[٤] **كورس :** يقع هذا الحصن في الشمال الشرقي من مدينة انطاكية وجنوب غرب تل باشر ٠

[٥] **حصن الأكراد Crac :** كان يعرف باسم حصن الفرسان Crac des Chevaliers ، ويعرف الآن باسم قلعة الحصن ٠ وكان حصن الأكراد يحمي الجانب الشمالي الشرقي لإمارة طرابلس ، وكان أقوى الحصون التي يمتلكها فرسان الاسبتارية ٠ والحصن يمثل مواقع متتابعة مؤلفة من خندق مائي وسور داخلي وثلاثة أبراج ضخمة تستخدم معاقل محصنة والدفاعات الداخلية أعلى بكثير من الدفاعات الخارجية ، وقريبه منها في الوقت ذاته ٠

Cf . Smail , R.C. , Crusading warfare , PP . 223 - 224 - Mayer , H . E ., The Crusades , trans . by John Gillinham, London 1978 , P.93

[٦] **المرقب :** ذكرها يعقوب القيتري باسم مرقات Margat ، وقد ذكرت في الحوليات الصليبية باسم Castrum Merghatum وهي بلدة وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام بالقرب من مدينة بانياس ٠ والمسافة بينهما وبين طرطوس نحو اثني عشر ميلاً ٠ ويقول ياقوت الحموي : " وهو حصن يحدث من رآه أنه لم ير مثله " ٠ انظر : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٠٨ ٠

الأبيض [١]، وعرقة ، وبرج انتارادوس [٢]وقلعة نيفين[٣] في كونتية طرابلس ، وجميع المدن والأماكن الداخلية القوية سقطت في ايديهم الآثمة [٤]٠وكان لهذه الكارثة ، والمحنة القاسية والبلية ، بداية غير موفقة مع إمارة الرها [٥]: وبسبب وفاة جوسلين [٦] (الأول) كونت الرها ، الذي يتصف بالحكمة والشجاعة ، قام ابنه جوسلين الثاني [٧] ، الذي تخلى عن جدارة وشرف والده ، بتسليم نفسه للاعمال الفاسقة المشينة ، مهملاً الدفاع عن مدينة

---

[١] **الحصن الأبيض** : يقع بين حصن الأكراد والبحر في منطقة صافيتا ، ويعرف باسم قلعة أو برج صافيتا ٠ ولا يزال هذا الحصن قائماً يطل على البلدة ، ويعطينا انطباعاً حياً عن الاستيطان الصليبي القائم على المؤسسات الاقطاعية ٠ Cf . Smail , R . C ., op . cit ., P. 226. (الترجمة العربية)٠

[٢] **انتارادوس** : تقع في منطقة طرطوس ٠

[٣] **قلعة نيفين** : تقع ضمن حدود ما كان يعرف بامارة طرابلس ، وقد ورد اسمها باشكال مختلفة منها : نفرينو Nefrino ونفروا Nefro ، وهذه الاسماء أطلقها الصليبيون على المدينة ٠ ويعتقد أن هذه القلعة هي رأس ثيوبروسبون Theauprospon والاسم الحديث له هو رأس شكاRas Shakkah وليس أنفه Enfeh البرج الذي لا يزال قائماً في ممر رأس شكا ٠ وقد ذكرت نيفين باسم انفه خلال النزاع الذي نشب بين جماعة فرسان الاستبارية وكنيسة انفه في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ٠ انظر بورشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص٥١ ، هامش ١ – جوناثان رايلي سميث : الاستبارية ، ص ٣٩٧-٣٩٨ ٠ (الترجمة العربية)٠

[٤] المقصود هنا أن هذه المناطق جميعها قد تم استرجاعها من قبل المسلمين ٠

[٥] كانت امارة الرها أول الامارات الصليبية التي تمكن المسلمون من القضاء عليها ، واسترداد اراضيهم وبلادهم من المستعمرين ٠

[٦] **جوسلين الأول** : كان جوسلين كورتناي من أشهر القادة الصليبيين ، وقد وصفه المؤرخ وليم الصوري بأنه يمتاز بنشاطه الكبير ٠

[٧] **جوسلين الثاني** : ولد جوسلين الثاني في فلسطين ، عندما كان والده حاكماً على اقطاعية الجليل ٠ وتولى جوسلين حكم امارة الرها بعد وفاة ابيه ، وقد استرد المسلمون الامارة منه ، وتوفي جوسلين في سجنه عام ١١٥٩م ٠ cf . Mayer , H : E .. of . cit , P . 94

الرها، مما أدى إلى فقدانها ؛ حيث أن عماد الدين زنكي سيد الموصل – التي كانت عاصمة ، ومطرانية مقاطعة اشور – قد قام بحصار المدينة ، وحطم بقوة قسرية أسوارها، وتمكن من الاستيلاء عليها [١]. وبعد ذلك احدث انتقام السماء حكما على جوسلين ، وَأُخِذَ سجيناً من قبل المسلمين [٢]، ومات تعيساً محروماً إلى أقصى في سجن حلب • وبعد هذا قامت زوجته بتحويل كل ما تبقى لديها من المقاطعة إلى امبراطور القسطنطينية ، مقابل دخل سنوي تتلقاه مدى الحياة [٣].

أرسل الأمبراطور جيشاً ضخماً من الروم (البيزنطيين) ، ووعد بأنه سيحمي البلاد من المسلمين [٤]؛ ولكن نور الدين (محمود) بن (عماد الدين) زنكي [٥]سالف الذكر ، جعل معظم المنطقة تدخل في حيز نفوذه وسلطته في تلك السنة نفسها ، وكان مبتهجاً بتراجع اللاتين مع أنهم كانوا قلة ، وقد اهتم قليلاً بجيش الروم ، غير المولع بالحرب ، والذي عَرّفَ عنه أنه ضعيف وجبان ، وقتل بعض افراد (الجيش الرومي) الفتي ، وأخذ البقية سجناء [٦].وأيضاً فرض نور الدين محمود نفسه حصاراً على قلعة

---

[١] استولى عماد الدين زنكي على الرها في شهر ديسمبر (ايلول) ١١٤٤م / جمادي الآخرة سنة ٥٣٩هـ ، بعد حصار استمر أربعة اسابيع ، ولم تكن هناك حامية كافية للدفاع عنها ، ولم يقم اميرها جوسلين الثاني بانقاذها • انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩-٢٨٠ •
cf . also : William of Tyre , Vol . 2 , PP . 140 - Mayer , H . E ., of . cit ,P . 94

[٢] Mayer , of . cit , Loc . cit

[٣] يقال إن زوجة جوسلين الثاني قامت ببيع الحصون الستة المتبقية إلى بيزنطة ، لأنها أدركت أن الوضع لا يسمح بالتمسك بها ، وقد خسرتها بيزنطة خلال سنة ووقعت بأيدي المسلمين •
cf. Mayer , of . cit , P . 94

[٤] ذكرهم المؤلف باسم السراقنه •

[٥] ورد اسم عماد الدين زنكي في النص " سنجيون أو زنكيون Sanguin " •

[٦] يبدو أن الاحداث التي أشار اليها يعقوب الڤيتري قد وقعت عام ١١٦٤م في منطقة ارتاح ، حيث انتصر نور الدين محمود على الصليبيين وقوة بيزنطية كانت تقاتل معهم ، ولم ينج من القتل إلا من وقع في الاسر • ومن الذين وقعوا في الاسر ، القائد البيزنطي قسطنطين كولومات –

تدعى حارم ، وتعود ملكيتها لامارة انطاكية ، التي تبعد نحو عشرة أميال عن مدينة انطاكية • وفي ذلك الوقت كان ريموند أمير انطاكية قد قتل في إحدى معاركه [1]، وكان ابنه بوهيمند وخليفته في (حكم) الامارة سجيناً بايدى المسلمين ، وقد استولى نور الدين على القلعة بسهولة بعد أن واجه مقاومة بسيطة • وبالطريقة نفسها أخذ منا بانياس وأضافها إلى املاكه • في حين كان عموري " الأول " ملك بيت المقدس (اللاتيني) بعيداً في مصر • ومنذ ذلك الحين فصاعداً ، بدأت قوتنا تنهار ، على الرغم من أن شعبنا دافع عن الأراضي التي ظلت طوال فترة العداء والاختلاف بين حكام مصر ودمشق ، ولكن عندما ضاعفت المملكتان السابقتان قوتهما باتحادهما تحت قيادة زعيم (سيد) واحد ، فإن مملكة بيت المقدس (اللاتينية) التي كانت تقع بينهما ، بدأت بالدخول في نزاعات وخلافات كثيرة • وكان اسد الدين (شيركوه) احد ولاة نور الدين محمود سالف الذكر ، قد جعل نفسه سيداً لمملكة مصر بالقوة ، وتركها بعد وفاته لابن أخيه صلاح الدين • وكان صلاح الدين هذا حكيماً في تصرفه ، ماهراً في الخدمات العسكرية والحرب ، بعيد النظر ، حازماً في أعماله • كما كان سخياً مبسوط اليد ، ليس فقط بالنسبة لشعبه ، وإنما للبعض منا ، الذين استطاع أن يجتذبهم لصفه بالهدايا والوعود • لقد عرف العالم كلّه كيف جَعَلَ منا أشخاصاً أشراراً ، وكيف دمر المسيحيين إرباً إرباً ، مثل عقاب الاله • وبعد ذلك ، قتل سيده ، خليفة مصر عن طريق الغدر [2]، كما سبق وأسلفنا ، كما استولى على مملكة

- وبوهيمند أمير انطاكية ، وريموند كونت طرابلس وغيرهم • انظر :

Cf. William of Tyre, Vol. 2 , pp. 306-307 .

انظر : ستيفن رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٥٩٦-٥٩٧

[1] قتل ريموند صاحب انطاكية في معركة جرت بينه وبين نور الدين محمود بالقرب من حصن إنب - من اعمال عزاز من نواحي حلب • وكان ريموند " عاتياً من عتاة الفرنج وذوي التقدم فيهم والملك "• انظر : ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٩٨-٩٩ • ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٤-٣٠٥

William of Tyre , Vol. 2 , pp. 196-198 .

[2] لم يقم السلطان صلاح الدين الايوبيٍ بقتل الخليفة الفاطمي العاضد ، وإنما قام بقطع الخطبه له على =

دمشق من سيده الطفل [1]، ابن نور الدين (محمود) ، الذي كان يعيش في حلب ، والذي توفي الآن[2]، أما زعماء المملكة فكان يكسبهم عن طريق الهدايا أو الوعود ، أو أنه يرهبهم بالعنف على الاعتراف بخيانته • وقد تقدم ليحتل بعض مدنه الثرية من سيده سالف الذكر ، الذي كان هو ووالده خدماً له ، وللعلم المدن هي : حماة ، ومنبج ، ومدينة حمص التي تدعى عموماً الجمل، وقيسارية الكبرى • وبوفاة ابن نور الدين سالف الذكر ، وقعت حلب تحت سيطرة عمه – سيد الموصل – عن طريق حق الوراثة ، وقد أخذ صلاح الدين بالقوة من سيد الموصل سالف الذكر ليس حلب فقط ، ولكن أيضاً إمارة الرها وكل البلاد الممتدة حتى الفرات ، وكذلك مدن ميزوبوتاميا الشهيرة ، الرها ، وكارا ، وتقريباً البلاد كلها • وكان ظهوره ونجاحه يبعث الخوف والخطر والاكتئاب لشعبنا ، وبما أن المسلمين خاصة – عندما حضر اللاتين إلى الأرض في البداية –كانوا غير مهرة في الحرب بدايةً ، ويدخلون المعركة كما لو كانوا عزلاً ، لا يحملون سوى الاقواس والسهام ، وبالتدريب المتواصل ، والاحتكاك المستمر مع شعبنا في الميدان ، تعلموا الانضباط العسكري ، وقلدوا اللاتين في استعمال الدروع والخوذات ، والرماح ، والسيوف والتروس• [3] ولتتويج

= منابر المساجد في أول جمعه من سنة ٥٦٧هـ / سبتمبر ١١٧١م ، ودعا للخليفة العباسي المستضيء في الخطبة • وقد توفي العاضد بعد ذلك الحدث بثلاثة أيام دون أن يسمع بقطع الخطبة ، وكان صلاح الدين قد أمر رجاله بعدم ازعاج العاضد بذلك أثناء مرضه • انظر : ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص ١٥٦–ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ٣٥٦ – انظر أيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص ٦٩٨ – ٦٩٩ • (الترجمة العربية)

[1] هو الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود زنكي ، لم يكن عمره عند وفاة ابيه اكثر من احدى عشرة سنة • (الترجمة العربية)

[2] توفي الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود زنكي في اوائل دسيمبر سنة ١١٨١م •

[3] حديث يعقوب القتيري هنا لا يتصف بالموضوعية ، لأن المسلمين الذين فتحوا بلاداً كثيره ونشروا فيها الإسلام ، كانوا مهرة في الحرب والقتال ولكن تفرقهم ومحاربتهم لبعضهم البعض أدى إلى انتصار الفرنجة ، وعندما اتحدوا وأصبحوا يداً واحدة ، حاربوا أعداءهم وانتصروا عليهم• ويتضح ذلك من خلال الوحدة الجزئية التي حققها صلاح الدين • (الترجمة العربية)

كل هذه المحن ، فقد سقطت مملكة بيت المقدس بايدي واحد [1]من الذين حضروا ليس من أجل هؤلاء الذين أُوتُوا خَلاَصَ إسرائيل على ايديهم [2]، حيث كانت هناك خلافات كبيرة ومنازعات بين بارونات مملكتنا .

الفصل الثالث والتسعون :

كان جودفري أول اللاتين الذين مارسوا سلطة الحكم على مملكة بيت المقدس ، وكان محبوب السماء الذي كتب الله عن طريقه الخلاص ، واسترداد الأراضي المقدسة . وقد حكم المملكة بقوة لمدة سنة واحدة فقط . وقد هزم القائد الرئيس لسلطان مصر [3] مع حشد غير محدود من المسلمين في معركة [4] . وعندما توفي ، خلفه في حكم المملكة

---

[1] المقصود هنا الملك جاي لوزينان .

[2] المكابيين ٥: ٦٢ .

[3] المقصود هنا الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي الحاكم الفعلي لمصر منذ عام ١٠٩٥م – ١٢٢١م ، وقد تولى وزارة مصر بعد وفاة أبيه ، وكان صاحب الامر والحكم بمصر ووصف بأنه حسن التدبير سديد الرأي كما أنه كان عادلاً . وقد قتل الأفضل في الثالث والعشرين من رمضان سنة ٥١٥هـ/١١٢١ م ويقول ابن الأثير في ذلك :" ضربه رجلان في السكاكين فجرحاه وجاء ثالث من ورائه فضربه بسكين في خاصرته فسقط عن دابته ... " . الكامل في التاريخ ، جـ١٠ ، ص٥٨٩ –٥٩١ ، انظر أيضاً : ابن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، جـ٢ ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨–١٩٧٢ ، ص ٤٤٨ . (الترجمة العربية)

[4] المقصود هنا معركة عسقلان التي نشبت بين الفرنجة الصليبيين بقيادة جودفري البويوني وبين المصريين بقيادة الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي في الثاني من اغسطس عام ١٠٩٩م/ الحادي والعشرين من رمضان عام ٤٩٢هـ . وقد انتصر الفرنجة الصليبيون في هذه المعركة التي ترتب عليها نتائج بالغة الخطورة إذ قتل الفرنجة من أصحاب الأفضل خلق كثير وحرقوا ما حول عسقلان وقطعوا أشجارها وعادوا إلى بيت المقدس . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ – ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ٢ ، نشر هنري ماسيه ، القاهرة ١٩١٩م ، ص٣٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٨٦ – الحريري : الاعلام والتبين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تحقيق سهيل زكّار ، دمشق " دار الملاح " ١٩٨١، ص٦٦ – أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٢٣ .=

أخوه بلدوين كونت الرها • وكان (بلدوين) أول ملك على بيت المقدس ، لأن أخاه رفض لبس التاج الملكي في الموقع الذي كان سيده قد لبس فيه تاج الشوك • وهزم بلدوين هذا بمئتي وستين فارساً وتسعمائة من المشاة ، القائد الرئيس لسلطان مصر ، الذي قاد أحد عشر الف فارس وثلاثين ألفاً من المشاة ، وَذَبَحَ بلدوين القائد نفسه مع خمسة آلاف من شعبه ، أما الباقي فقد اخذ بعضهم أسيراً ، وبعضهم الآخر أنقذ نفسه بالفرار • وقد هزم أيضاً في معركة أخرى ، وبقوة صغيرة حشد ضخم من شعب عسقلان ومصر • وفي معركة ثالثة ، كان بصحبته خمسمائة فارس والفان من المشاة ، وهزم بهم خمسة وعشرين الفاً من المصريين ، وقتل أربعة آلاف كان من بينهم سيد عسقلان ، وأجبر الباقين على الفرار • حكم (بلدوين) لمدة ثمانية عشر عاماً ، ثم توفي • وكان خليفته بلدوين دي بورج• ثاني ملك لاتيني لبيت المقدس وهو أحد أقاربه ، واشترك في السنة الثانية من حكمه ، على رأس سبعمائة فارس، في معركة ضد ايلغازي [1]، أحد أمراء الأتراك الاقوياء جداً •

وقاد ايلغازي حشوداً لا حصر لها من الاتراك ، وَهُزِمَ في معركة ، قتل فيها

Fulcher of Chartres , p. Raimund d'Agiles, pp. 304-306-Robert Le Moine, pp.= 872-876 Tudebodus Abbrviatus, pp. 161-162- Albert d'Aix, pp. 495-496 -Roger of Hovden, p. 189- Stevenson, W., The Crusaders in the East, Bierut 1969, p. 40

انظر أيضاً : عبد الرحمن الرافعي وسعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى منذ الفتح العربي وحتى الغزو العثماني ، ط١ ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٢١١ • (الترجمة العربية)

[1] هو نجم الدين ايلغازي بن ارتق : كان أميراً على ماردين ، وتحالف مع ظهير الدين طغتكين امير دمشق لمحاربة الفرنجة الصليبيين ، وقام الاثنان بمحاصرة الفرنج في معرة قنسرين يوماً وليلة • " وقام أهل حلب باستدعائه ليدفع الفرنج عنهم " • وعندما وصل المدينة دخلها وتسلم قلعتها ، ثم خرج من حلب إلى الشرق ليجمع العساكر ويعود اليها ، فسار اليه طغتكين ، والتقاه بقلعة دوسر ومنذ عام ١١٢٠ أخذ ايلغازي يشدد هجماته على الفرنجة الصليبيين إلى أن عقد هدنه بينه وبين بلدوين الثاني • وقد توفي ايلغازي بالقرب من ميافارقين بقرية يقال لها عجولين في أول شهر رمضان سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م • انظر : ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق خليل المنصور ، ط١ ، بيروت " دار الكتب العلمية ١٩٩٦م ، ص ٢٦٩-٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص٥٤٤،٥٦٨،٦٠٤ •

أربعة آلاف من شعبه والعديد أُخذ أسيراً ، وبصعوبة استطاع هو نفسه والبقية الهروب ٠ وفي معركة ثانية هَزَمَ بصحبة ألف ومائة فارس والفين من المشاة ، ملك دمشق الذي يقال إنه كان لديه خمسة عشر ألف فارس ، الفان منهم قتلوا ، والعديد سجن ، واعدادٌ كبيرة جرحت ، وهرب البقية مع قائدهم ٠ ومن جانبنا سقط أربعة وعشرون قتيلاً ٠ وفي معركة ثالثة هَزَمَ الملك رجال عسقلان مع المصريين الذين حضروا لنجدتهم ٠ وفي حملة رابعة حطم طغتكين ملك دمشق ، وقتل الفين من المسلمين ، مع خسارة نحو أربعة وعشرين فارساً وثمانين جندياً من المشاة ٠ وتوفي (الملك بلدوين الثاني) بعد ان حكم لمدة ثلاث عشرة سنة ٠ وكان صهره الكونت فولك انجو ، الذي تزوج من ميلسند كبرى بناته ، هو خليفته على العرش ، وقد قاتل (الملك فولك) في معركة قرب انطاكية ضد جيش لا حصر له من الاتراك احتشد على طول الخليج العربي ، وقد حقق (فولك) نصراً عسكرياً مبجلاً على الاتراك ، وقتل ثلاثة آلاف منهم ، واسر العديد ، واجبر الباقين على الفرار ٠ وقد حكم مدة احدى عشرة سنة ، ولكنه هَلَكَ بكارثة مؤسفة ومفاجئة ، إذ سقط هو وحصانه عندما كان يصطاد ارنباً قرب عكا ، تاركا وراءه أبناءه ، الأكبر بلدوين (الثالث)

الذي خلفه في العرش وعموري ٠ وفاز بلدوين هذا في السنة الثالثة من حكمه بمعركة ضد بعض النبلاء من الاتراك الذين كانوا يحكمون في هذا الجانب من اريحا ، وقتل خمسة آلاف منهم ، واجبر البقية على هروب مشين ، وحارب نور الدين (محمود) أمير دمشق في السنة الخامسة عشرة من حكمه ، وبقي سيد الميدان ، في حين فر نور الدين مع ثلة من جيشه وقتل البقية ٠ وقد حكم (الملك بلدوين الثالث) أربعاً وعشرين سنة، ومات بدون أولاد ، وخلفه أخوه عموري ٠ الذي حارب في السنة الأولى من حكمه ضرغاماً ، قائد المصريين الرئيس في أرض مصر ، وبمعجزة انتصر في ذلك اليوم ، مع سقوط عدد كبير من المصريين قتلى ٠ وقاتل على رأس ثلاثمائة وسبعين فارساً ضد " اسد الدين " شيركوه، القائد الرئيس لسلطان دمشق في معركة ثانية في برية مصر ، وكان جيش شيركوه هذا يتألف من اثني عشر ألفا من الاتراك وأحد عشر ألفاً من العرب ٠ وقد انفصلوا ليلاً ، عندما هُزِمَ مائة من رجالنا ، وقالوا إن ألفاً من الاعداء قتلوا ٠ وحكم الملك عموري اثني

عشر عاماً ، وعندما توفي خلفه ابنه بلدوين (الرابع) على العرش • وعلى الرغم من أنه كان مصاباً من السماء بمرض الجذام ، إلا أنه كان ملكاً قديراً • وقابل صلاح الدين (يوسف الأيوبي) بالقرب من عسقلان على رأس ثلاثمائة وسبعين فارساً في السنة الثالثة من حكمه وهزمه ، وكان بصحبة (صلاح الدين) ستة وعشرون ألف فارس ، ولكنه هرب مع جزء من جيشه ، أما البقية فقتلوا أو اخذوا أسرى ؛ ويقال إن اربعة أو خمسة من رجالنا قتلوا • وقابل صلاح الدين ، مرة أخرى ، بالقرب من طبرية ، وهناك هزمه بسبعمائة فارس ، على الرغم من قوله إنه كان بصحبة عشرين ألفاً من الفرسان ؛ وقتل بلدوين الفاً من الاعداء [1]، وقد قتل من رجالنا عدد قليل جداً • ولم يتمكن الملك (بلدوين الرابع) من الزواج بسبب مرضه المزمن ، وقدم اختيه سبيلا الكبرى ، وايزابيلا الصغرى للزواج من اثنين من النبلاء : فقدم سبيلا لوليم طويل السيف[2]، مركيز مونتيفرات ، وايزابيلا لهمفري سيد تبنين [3] • وعند وفاة وليم سالف الذكر ، ترك طفلاً صغيراً يدعى

---

[1] المقصود هنا أن الملك بلدوين الرابع وجيشه قاموا بقتل ألف رجل من المسلمين ، وهذا كلام غير معقول لأنه لا يمكن لسبعمائة فارس يقاتلون دون عقيدة أن يهزموا عشرين ألفاً من الفرسان يقاتلون عن عقيدة من أجل تحرير بلادهم من الاستعمار • (الترجمة العربية)

[2] وليم طويل السيف من مونتيفرات William Long Sword of Mont Ferrat : كان وليم طويل السيف أحد النبلاء الكبار في ايطاليا ، فهو الابن الاكبر للمركيز وليم الثالث وشقيق كونراد من مونتيفرات • وقد حضر إلى الأراضي المقدسة بناء على دعوة الملك بلدوين الرابع الذي دعاه من أجل أن يزوجه من اخته سيبلا • وقد لبى وليم الدعوة وحضر إلى الاراضي المقدسة عام١١٧٦م وتزوج من الاميرة سبيلا بعد أربعين يوما من وصوله ، وحصل بمقتضى هذا الزواج على مدينتي يافا وعسقلان

Cf . Willaim of Tyre ,vol.2,P.415-cf .also : Maslatrie, Les comtes de Jaffa et Ascalon du xii ͤ au xix , Siecle , ed. Archivo Veneto , xviii , Venice , 1879 , pp. 385-386 .

انظر أيضاً : ابراهيم سعيد : يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، ص١٥١ •

[3] همفري سيد تبنين : تزوج من الاميرة الفرنجية الصليبية ازابيلا ابنة الملك عموري الأول من الأميرة البيزنطية مريم قومنينا • وكان همفري قد حضر الاجتماع الذي دعا اليه كونت ريموند طرابلس في نابلس لأجل معارضة تتويج جاي لوزينان ملكاً على مملكة بيت المقدس • انظر : سعيد البيشاوي : =

بلدوين ، وزوج الملك اخته سالفة الذكر من مغامر شاب هو جاي لوزينان ، الذي ولاه ادارة المملكة باكملها عندما اصبح المرض عبئاً ثقيلاً عليه • ولكن جاي جلب على نفسه غضب الملك بعد ذلك، وخسر الوصاية على المملكة ، لأن الملك دعا كبار الشخصيات في المملكة كلهم ، وايد تكريس ابن اخته الصغير ملكاً • وقد وضع بلدوين ومعظم المهام والدفاع عن المملكة بيد كونت طرابلس ، وبعد ذلك بفترة وجيزة ، توفي الملك بلدوين المجذوم ، كما توفي أيضاً الملك بلدوين الصغير ، وقد اعتلى جاي سالف الذكر العرش ، من خلال زوجته وريثة المملكة ، حسب حقوق الوراثة ، دون موافقة كونت طرابلس الذي كان وصيا على المملكة كلها • وبسخط عظيم عقد الكونت في الحال هدنة مع صلاح الدين دون موافقة الملك الذي كان عدوه اللدود ، خاصة أن (الكونت) نفسه كان تواقاً للوصول إلى العرش، ومن أجل تدعيم قوته في المملكة ، وحتى يتمكن من الاحاطة بالملك ، ولاحراز الوسائل لاثارة النزاع ، فقد تزوج من وريثه طبرية الجليل بأكملها • ومن هنا ظهر الخطر العظيم والنزاع الهدام في المملكة • ووقف بعضهم إلى جانب الكونت ، وبعضهم الآخر إلى جانب الملك •

الفصل الرابع والتسعون :

عَرَفَ صلاح الدين ، وهو الرجل الحكيم ، ذو الخبره والتجربة ، أن مملكة مُنْقسِمة على نفسها لا يمكن أن تستمر ، ويمكن لذلك الخلاف أن يدخل بسهولة في ثغرة سحيقة ؛ ومما زاد من فرصته أكثر ، أن سيد مونتريال ، ومنطقة فيما وراء نهر الاردن ، قد انتهك الهدنة التي عقدها شعبنا مع المسلمين ، بسبب قيامه بعمليات سلب كثيرة • وقام (صلاح الدين) بحشد المحاربين من البلاد الواقعة تحت حكمه كلها ، مُستَدعياً الفرسان والمشاة من مصر ، والعربية ، ودمشق ، وحلب ، وميزوبوتاميا ، لأجل القتال ضدنا • وقد أرسل قبل قدومه مائة ألف من نخبة الفرسان ، الذين عبروا أراضي كونت طرابلس ، الذي عقد هدنة مع المسلمين – وتلك (الأراضي) هي عبر منطقة طبرية والناصرة – إلى ضواحي مدينة عكا ، قاصداً حسب عاداتهم ، اثارة معركة مع شعبنا ، وإذا تتبعناهم بتهور

= نابلس ، ص ١١٩ –١٢٠ • (الترجمة العربية)

واضطراب ، إلى نهاية ذلك ، يمكنهم أن يقتلوا رجالنا أو يأخذوهم اسرى ؛ ولم تخفق حيلة المسلمين البارعة عن الانجاز • وباندفاع متهور هاجم مقدم فرسان الداوية باكثر من سبعمائة فارس، علاوة على مقدم فرسان الاستبارية ،- الذي رجع بعشرة فرسان من قلعة بلفوار[1] ، وكان قد انفصل عنهم جانبا بالقرب من قلعة روبرت• وعلى الرغم أن حملتهم اشتملت على مائة وعشرين فارساً فقط ، مقابل عشرة آلاف من المسلمين ، إلا أنهم قاوموا برجولة ، وقتلوا العديد منهم ، ولكنهم جميعاً تقريباً إما قتلوا أو اخذوا أسرى • وهرب مقدم الداوية [2]مع قليل من اتباعه ، وقُتِلَ مقدم فرسان

---

[1] قلعة بلفوار Belvoir : تعرف أيضاً باسم قلعة كوكب الهوا Kaykab El-Hawa ، وهي تقع شمال مدينة بيسان وشرق مدينة جبل طابور ، وترتفع عن سطح البحر بنحو ثلاثمائة واثني عشر متراً • وكان الرومان قد أقاموا قلعة بالقرب منها حملت اسم أغريبيا Agrrippia • انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ٦ ، ق٢ ، ص٥١٩ -٥٢٠ - وقد أنشأ الملك فولك الانجوي قلعة في هذا المكان سنة ١١٤٠م / ٥٣٤هـ ، حملت اسم قلعة كوكيت Coquet والاسم مشتق من التسمية العربية كوكب الهواء بمعنى النجم ، وقد شيدت القلعة بشكل مستطيل ١٦٠* ١٢٠ متر ، وشيد الفرنجة على أسوارها أبراجاً مربعة وقد عهد بها الملك عموري إلى هيئة فرسان الاسبتارية في عام ١١٦٨م ، وقد وصفت القلعة بأنها كانت صغيرة الحجم ومشيدة على النمط البيزنطي ، واستولى المسلمون على هذه القلعة عقب معركة حطين ثم عادت للسيطرة الفرنجية حتى استردها الملك ظاهر بيبرس عام ١٢٦٣م • انظر : العماد الأصفهاني : الفتح القسي ، ص١٢٥ ، ٢٧٠ -٢٧١ ، ابن شاهنشاه الايوبي : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص٦٥-٦٧ ، بورشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص٩٥ ، هامش ٤ ، سعيد البيشاوي : الممتلكات ، ص٢٣٦ ، هامش ٥ •

Cf. also : Lawrence , T. E . Crusade Castles , London 1936 , Fig 47, P.49 - Deschamps , P., La Defence du Royanme de Jerusalem , P. 122, Note (1) - Mayer , H. F., of . cit , P.93- Runciman , S. vol . 2, P. 376 - Prawer , J. The Latin Kingdom of Jerusalem , Jerusalem 1972 , PP . 300-308 .

[2] مقدم الداوية : هو جيرارد دي ريد فورت وقد نجا مع اثنين من فرسانه •

-Cf. Estoire d' Eracles,p.40 - Cf. also : Addison, op. cit , p. 121-Conder , op. cit, p.147 king, op. cit , p. 120 -Duggan, op. cit. p. 152.

الاستبارية [١]، وهكذا فاز المسلمون بنصر دموي على شعبنا في الأول من شهر مايو (ايار) [٢]، وتشجع المسلمون من خلال هذا ، وجمعوا كل قواتهم مع بعضها ، وفي شهر يونية (حزيران) ضربوا حصاراً على أبعد مدينة في مملكتنا ، وهي للعلم مدينة طبرية الواقعة باتجاه دمشق ، وقد انتزعت من المسلمين ، عندما نقضت الهدنة ، ولأنه قيل عن كونت طرابلس الذي كانت هذه المدينة تعود لملكيته ، أنه كان متحالفاً مع المسلمين ، ودبر كثيراً من الضرر ضد ملك المملكة ، وبسبب ذلك قام (كونت طرابلس) بتحصين المدينة سالفة الذكر ضد المسلمين ، وترك فيها زوجته مع الحامية [٣]. أما الآن ، فإن اللورد جاي ملك بيت المقدس ، وريموند كونت طرابلس والنبلاء، فرسان المملكة وجنودها ومشاتها الذين تمكن من جمعهم في ساعة شيطانية ، محرومين من المساعدة السماوية، ذهبوا لقتال صلاح الدين وشعبه ، ونصبوا خيامهم بالقرب من نبع صفورية [٤]•وقد وثقوا كثيراً من

---

[١] مقدم الاسبتارية : هو روجر دي ميلون • Cf.. Estoire d' Eracles,p.40 •

[٢] انتصر المسلمون على الفرنجة الصليبيين في معركة صفورية في مايو ١١٨٧م /صفر ٥٨٣هـ، انظر ابن الاثير : الكامل ، جـ١ ، ص٥٣– البنداري : سنا البرق الشامي ، تحقيق د• فتحية النبراوي ، القاهرة ١٩٩٧م ، ص٢٩٢–أبو شامه: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جـ٢ ، بيروت بدون نشر ، ص٧٥ •

Cf. also : Estoire d Eracles , pp .40 -44- Addison ,pp.121-122.

[٣] زوجة الكونت ريموند هي اشيفا Eachiva •وكانت امرأة ثريا جداً ، تزوجت في البداية من والتر فولكنبرج وأنجبت العديد من الاولاد وبعد وفاته تزوجت من ريموند الثالث كونت طرابلس ولكنها لم تنجب منه

Cf. William of Tyre , vol.2, P.404-Rey, Les Familles d'outre-mer de du Cange, Paris P.266.

[٤] صفورية Sephorie : هي احدى القرى الواقعة في اقليم الجليل ، ويحدها من الشرق قرية كفر كنا Kefer Kanna ومن الجنوب الشرقي الناصرة ، ومن الجنوب الغربي قرية عليوت (عيلوط) Ailut (Aylot) ، ومن الشمال قرية روما Roma (خربة روما) ، فتحها العرب على يد شرحبيل بن حسنة وفيها بعض بقايا صليبية ، كما يوجد بها عين تعرف بعين القسطل التي عرفت باسم عيون صفورى ، وقد نزل في هذا المكان الجيش الفرنجي الصليبي قبيل معركة حطين • =

كثرة عددهم من المساعدة الدينية ولم يتمكن شعبنا من تجميع العديد من الجنود مع بعضهم في معركة واحدة منذ دخوله الارض المقدسة ، ويقال إن ألفاً ومائتي فارس بالدروع ، ونحو عشرين ألفاً من المشاة بالرماح والاقواس والسهام اخذوا مكاناً في هذه الحملة غير الموفقة. وفي الغد ، وعندما كان جيشنا يتحرك باتجاه المدينة المحاصرة في اليوم التالي ، هاجمهم حشد كبير من الفرسان خفيفي الحركة بجيش صلاح الدين ، بجرأة كبيرة من الجانب الايسر والايمن ، وباستمرار جرحوا الخيول وفرسانها دون استثناء ، حتى أجبروا الجيش على ترك المعسكر ، ونصب خيامه في مكان جاف خالٍ من المياه ، وقد لاحظ صلاح الدين هذا الوضع بحكمة ، وفي الصباح ، وقبل وصول جيشنا للماء ، قابلهم في حطين ، قرب طرعان ، ونظم صفوف الجيش حسب النظم العسكرية المضبوطة ، وهاجم قواتنا ، التي كانت خيولهم وفرسانها على حد سواء ، تموت من شدة العطش . وكانت تلك الايام شديدة الحرارة ، لأنها كانت من (أيام) شهر يوليه (تموز) ، وأوقع السيد الشعب المسيحي ، بسبب خطاياه ، بأيدي المسلمين في اليوم الرابع الموافق عيد انتقال القديس مارتن سنة ١١٨٧م، وكمفاجأة لشعبنا هربوا ، والباقون قتلوا الكبير إلى الصغير أو اخذوا اسرى . والحق بهم السيد الخزي والعار مع هذا الجبن والوضع الرهيب ، حيث أصبح دور المسلمين الآن المطاردة أو اصطياد مائة من رجالنا ، وبعضهم القوا بسهامهم ، وسلموا أنفسهم إلى أيدي الاعداء بمشيئتهم . وبعد كثير من القتل، اقتيد جاي لوزينان ملك بيت المقدس[1]، ومقدم فرسان الداوية مع عدد من الاخرين من اصحاب

= أنظر : حسين روحي : مختصر جغرافية فلسطين ، القدس ١٩٢٣م ، ص٥٨ – مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ١، ق١ ، ص١٧١ . وأشار الرحالة الاوروبي مارينو سانوتو إلى أن صفورية تبعد عن الناصرة نحو فرسخين (ستة أميال) ٨٨و١٠ كم) وهي مكان مولد القديسة حنة St. Anne (والدة السيدة مريم العذراء) وقد أشار إلى وجود قلعة فائقة الجمال في صفورية Cf. Secreits for tru Crusaders to helf them to recover the Holy Places , trans . by Aubrey Stewart, London 1896 , P. 37 .

(١) أسر المسلمون الملك جاي لوزينان في معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ ، وبعد فترة من الزمن اطلق سراحه ، فلما رأى جاي أنه قد نجا من سجنه مضى بجميع من معه إلى مدينة صور . انظر : =

الرتب الكبيرة اسرى ، وهربوا بجبن قبل مواجهة مطارديهم • ويمكنهم أن يعرفوا بعلامة مميزة واثبات واضح أن السيد غاضب بشدة ، ومن الممكن ، دونما شك ، أن التستر بحمايته الدينية قد انسحب منهم ، فلهم المحنة المؤسفة في ذلك اليوم الاسود لخسارتهم شعاعات الصليب لخلاصنا ، والذي اذلوه باخذه معهم إلى المعركة • وأعطى صلاح الدين الأوامر مفكراً بتدمير هيئات الداوية والاستبارية في الشرق تماماً ، وأن أي واحد منهم يمكن لشعبه القبض عليه سوف تقطع رأسه •

الفصل الخامس والتسعون :

بعد هذه الكارثة ، بوقت طويل ، إلى درجة أن المسيحيين احتالوا للهرب بأي طريقة، وحتى هؤلاء الذين بقوا بالخلف في المدن والاماكن القوية ، اصبحوا جبناء مثل النساء ، وقلوبهم منقبضة ، ولذلك فإن العديد منهم لم يجرؤ على انتظار أي هجوم من شرذمة من المسلمين • وهكذا وصل صلاح الدين مباشرة أمام عكا ، بعد انتصاره سالف الذكر ، وقد سلموا المدينة شريطة أن يبقيهم على قيد الحياة ، ثم تقدم إلى بيروت ، التي خضعت له أيضاً دون اعتراض من قبل المواطنين البائسين ، وقد أخذ جبيل أيضاً دون صعوبة ، ولم يجرؤ أي من المدن الواقعة على ساحل البحر من عكا إلى عسقلان أن تقاومه ، وقاوم الشعب في عسقلان لفترة وجيزة ، معتقداً أن مدينتة منيعة ، قاوم فترة بسيطة ، وصرح أنه لن يستسلم حتى يعلم فيما إذا كان الشعب في بيت المقدس ما زال صامداً أم أنه يئس • وعندما نصب خيامه أمام بيت المقدس ، سلموا المدينة بشرط أن يتم تحريرهم مع كل ما يمكن حمله من أمتعة ، وأن يتولى حمايتهم بنفسه إلى أراضٍ اكثر أماناً [1]، وهكذا هربوا من أيدي

= روبرت كلاري : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة " مركز كتب الشرق الأوسط " ١٩٦٤م ، ص٧٢-٧٣ •

[1] شرع السلطان صلاح الدين الايوبي باعداد قواته وتنظيمها من أجل استعادة بيت المقدس وتطهيرها من الفرنجة الصليبيين • فعندما اكتملت استعداداته بدأ في حصار الجانب الغربي من المدينة في الخامس عشر من رجب سنة ٥٨٣هـ " الاحد العشرين من سبتمبر سنة ١١٨٧م" • =

الاعداء [1]، ولكنهم عندما وصلوا إلى مدينة طرابلس وقعوا بايدي ملوثة ، نجسة ودنسة ٠ وقد أخذ منهم كل ما كانوا أحضروه معهم من قبل بوهيمند كونت طرابلس ، وأبناء بليال اتباعه ، الذين كان يجب عليهم أن يظهروا صداقتهم لاخوانهم في المنفى ، ولكنهم اثبتوا أنهم أكثر وحشية للمسيحيين من المسلمين ٠ ولذلك يقال إن عملاً حقيراً كان يحدث هناك ، لم يسمع مثله منذ عصور خلت ٠ أمّ تحمل صغيرها على كتفيها كانت تسرق من قبل اولئك الاعداء الاشرار ، الذين لم يستغنوا عن مناصبهم ولا غرائزهم ، ولم يحترموا الأصول في سرقاتهم ٠ وعندما شاهدت تلك المرأة الصفة المميزة التي اتصف بها المسلمون ، عندما تركوها من أجل المحافظة عليها وعلى ابنها ، وسلبها من قبل اولئك الذين هاجرت معهم كلاجئة ، يدفعها فقدان الأمل والكرب والتيه ، قامت بقذف ابنها بقوة في البحر ٠ عاد صلاح الدين إلى عسقلان ، واستسلمت له المدينة شريطة أن يطلق سراح الملك ومقدم فرسان الداوية الذين وضعهم في السجن ٠ ثم تقدم إلى طرابلس كجندي نشط

= وكان الفرنجة قد حشدوا قواتهم في هذا الجانب ، مما دفع بالسلطان إلى الزحف نحو الجانب الشمالي حيث نصب عليه المنجنيقات ، وشدد الحصار على المدينة ، وأخذ النقابون يعملون في السور تحت حماية الفرسان ٠ وقد طلب الفرنجة الصلح وتسليم المدينة فأجابهم السلطان إلى ذلك على أن يدفع كل رجل من الفرنجة والمرأة خمسة دنانير والطفل ديناراً واحداً ٠ ودخل المسلمون بيت المقدس في السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣هـ " الجمعة الثاني من اكتوبر سنة ١١٨٧م" انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص٨١، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٦، ص٣٦، المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق د٠ محمد مصطفى زيادة ، جـ١ ، ق١، ط٢، القاهرة ١٩٥٧م ، ص١٢٢ ، الحجاري وآخرون : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب ، تحقيق د٠ حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠ م ،ص١٥٤ ٠

Cf. Estoire d'-Eracles , PP. 82-84,91, Roger of Wendover ,vol. 2. P. 61 .Rohricht , R., Geschichte de Konigreichs Jerusalem ,pp.454 -455,458-459 - Addison, G., P.130- Conder,C.R., P. 159- Stevenson ,W.B., TheCrusaders in the East , Beirut 1969, P. 252- King ,E.,P.130 - Grousset, R. op. cit , vol .2 , P. 810, 813 , Rey , les Familles P. 410.

[1] يقصد هنا أن الفرنجة تخلصوا من أيدي المسلمين ٠

وفعال كما كان ، حيث وجد المواطنين واللاجئين قد استعدوا لمقاومته معتقداً أن المدينة لن تفلت من بين يديه إذا عاد اليها في فصل ملائم ، وبعد أن أخضع الاماكن القوية الأخرى تقدم باتجاه انطاكية ، لأنه لم يكترث في ذلك الوقت للتدخل أكثر في القلاع الواقعة على ساحل البحر ، لأن رجلاً يمتاز بنفوذ كبير في البحر ، وهو رئيس الكهنة ، ويدعى مارجاريت قد حضر من مملكة صقلية بثمانين شيني (جلالية) لمساعدة شعبنا ، وقد أرسل من قبل وليم ملك صقلية المشهور والشجاع • وعندما سمع هذا الملك بسقوط مملكة بيت المقدس من أولئك الذين هربوا عن طريق البحر لأجل اللجوء إلى بلاده ، أرسل مباشرة إلى جانب الشواني سالفة الذكر ، وفي فصل الصيف ذاته ، خمسمائة جندي وثلاثمائة تركبولي [١]، ومجموعة من جنود الاحتياط ، لا يحصى عددهم ، لأجل مساعدة ما تبقى في المنطقة ، وتابع صلاح الدين الرجل الطيب ذو الروح العفيفة ، الذي يخاف الله، نجاحه بنشاط ، وخلال ثلاثة أشهر فاز بامارة انطاكية الداخلية جميعها ، باستثناء قلعة بطريرك انطاكية المنيعة التي تدعى كورساتوس ، ومدينة انطاكية نفسها ، وبعد أن استولى على كل الاماكن المحيطة بالمدينة ، وبتأكيد وثقة لا ريب فيها ، أدرك أن مدينة واحدة لن تتمكن من مقاومته ، ولذلك رفع حصارهُ الذي فرضه على المدينة مقابل المبلغ الضخم الذي تسلّمه من البطريرك ، ولذلك جعل نفسه سيداً لأكثر من خمس وعشرين مدينة وبلدة في تلك الامارة [٢]. وبعد ذلك ، عاد إلى مملكة بيت المقدس ، حيث قام ، ومعه جيشه

---

[١] تركبولي Turcopole : كان الفرنجة الصليبيون يجندون رجالاً من السكان المحليين ، كانوا ينحدرون من والدين يعتنقان دينين مختلفين • وبمرور الزمن أصبح هؤلاء يشكلون جزءاً من القوات الفرنجية ، وذكرهم المعاصرون إلى جانب الخيالة المدرعة والجند المشاة ، وكان هؤلاء يضمون رجالاً راكبين ، يستخدم بعضهم القوس والنبل ، وقيل إنهم كانوا يستخدمون بشكل خاص للقيام بمهام الاستطلاع ، وأنهم كانوا يطبقون أساليب الأتراك في استخدام النّبالة الراكبة المتحركة لصالح الفرنجة •

Cf. Smail, R., C., Crusading warfare, pp. 111-112- Dodu, G., Histoire des institutions monarchiques dan le royaume Latin de Jerusalem, Paris 1894. pp. 205-215 .

[٢] Ernoul , pp. 178-84, 211-244, 252-257- Eracles pp. 77-78. =

الداخلي ، بمحاصرة مدينة صور عن طريق البر والبحر ، وهي المدينة الوحيدة الباقية من مدن الأراضي المقدسة • وكان في مدينة صور ، في ذلك الوقت ، رجل نبيل نشيط ، هو كونراد مركيز مونتيفرات الذي ابحر إلى هناك على ظهر سفينة من القسطنطينية في اليوم نفسه الذي هزم فيه شعبنا في المعركة سالفة الذكر • وقد وعد هذا الرجل المواطنين أنه سيدافع عن المدينة إذا منحوها له بعد أن سلمت من المسلمين • وقد وافق المواطنون على فعل ذلك عن طيب خاطر شاكرين ، لأنهم كانوا على أخر رمق من القدرة على التفكير ، ولم يصدقوا بأي طريقة يمكنهم مقاومة امكانات صلاح الدين الذي جعل نفسه الآن سيداً على أكثر المنطقة • وقد قاوم كونراد صلاح الدين من ناحية البر برجولة تامة ، واضرم النار في سفنه في البحر • وقد رفع صلاح الدين الحصار مرتبكاً ومغتاظاً جداً ،وغادر مباشرة، وفكر أن يضيق الحصار على شعب صور واجبارهم على الاستسلام بدون خسائر كبيرة ، وبدون نزف دماء ، وهذا ما فعله بسهوله ، ولم يوفر له الاله طريقة اخرى ، لأن صلاح الدين اجبر القلاع المحصنة في الجبال وهي صفد [١]، بلفوار (كوكب الهوا) ، وتورون[٢]، وبلفورت [٣]على الاستسلام ، على الرغم من أنه

= ابن شداد : النوادر السلطانية ٨١-٨٥،٩٨ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ٢ ، ص١٣٧ •

[١] قلعة صفد : تشرف هذه القلعة على اقليم الجليل وتعتبر من أقوى القلاع الفرنجية الصليبية وأحصنها • ووقعت هذه القلعة الحصينة بيد صلاح الدين الايوبي عام ١١٨٨م بعد حصار طويل•ويبدو أنها عادت للسيطرة الفرنجية مرة أخرى ، وبقيت بأيدي الفرنجة حتى استرجعها السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٦٦م • Cf. William of Tyre, vol. 1, P. 524-Ernoul's account of Palestine , Trans. by Conder , London 1896, P.51.

طه ثلجي الطروانة : مملكة صفد في عهد المماليك ، ط١ بيروت ، ١٩٨٢م ، ص٥٨ – سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، القاهرة ١٩٦٥م، ص٦١ ، عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية ، الكويت "عالم المعرفة " ١٩٩٠م ، ص ١٥٩ •

[٢]ذكرها المؤلف تورون •

[٣] قلعة بلفورت Belfort : اشتهرت هذه القلعة باسم قلعة الشقيف أو شقيف أرنون ، وهي واقعة على النهر الليطاني وكانت مركزاً لفرسان الداوية ، وقد ورد اسم القلعة في المصادر والمراجع =

بامكانهم الصمود لفترة أطول حتى تنفذ احتياطاتهم ٠ وبالفعل كيف سيصمد الرجال الضعفاء المرعوبون مثل الامير القوي الذي جعل من نفسه سيداً ، ليس فقط على أرض مصر ، ولكن تقريباً على أغلبية أراضي سوريا من نهر دجلة إلى مصر ، ومن قليقيه إلى البحر الاحمر ٠

الفصل السادس والتسعون:

يدعى القسم الأول من سوريا الواقع بين نهري دجلة والفرات باسم سوريا ميزوبوتاميا [١]، أما القسم الثاني ، فيدعى سوريا البقاع [٢]، وفيه تقع مدينة انطاكية ، والمدن التي تتبعها، وتصل حتى نهر

= الاجنبية لأشكال مختلفة منها بوفورت Beaufort ، وبيفورت Biafort ، وقد قام الملك فولك الانجوي بتأسيس هذه القلعة في حوالي عام ١١٣٩م/٥٣٤هـ ٠ انظر : بورشارد : وصف الأرض المقدسة ، ص٤٧ ، سعيد البيشاوي : الممتكات الكنسية ، ص٩٤، هامش ٣ ٠

Cf. R: chard , J. The Latin Kingdon of Jerusalam , Vol. 1,P.85- Mayer ,H.E., op.cit,P.93

وتجدر الاشارة إلى أن قلعة الشقيف شيدت على مرتفع من الأراضي يبلغ علوه نحو اربعمائة وخمسين متراً عن سطح البحر ، وقد وصفها الأنصاري الدمشقي " بأنها حصن منيع له عمل واسع " ٠ انظر : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بطربورغ ١٨٦٥م ، ص٢١١ – انظرأيضاً : طه ثلجي الطروانة ، مملكة صفد ، ص١٠٥ ٠

[١] اشار الرحالة بورشارد إلى أن سوريا ميزوبوتاميا تقع ما بين نهري دجلة والفرات ، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تقع في وسط المياه ، ويحدها من الجنوب العربية السعودية التي تصل حدودها إلى البحر الاحمر ، ويحدها من الشمال بلاد الكلدانيين ٠ انظر : وصف الأرض المقدسة، ص ٣٢-٣٣ ٠

[٢] سوريا البقاع Coele Syria اسم اطلقه اليونان والرومان على هذه المنطقة بمعنى سوريا المجوفة ، واطلق عليه الرب اسم بقاع الكلب نسبة إلى قبيلة كلب التي استقرت فيه ، كما عرف باسم بقاع العزيز نسبة إلى العزيز عثمان بن صلاح الدين ٠ وقد سماها اليونان والرومان أيضاً اسماء أخرى مثل " قرسياس " أو " ماسياس " انظر مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق١ ، ص ٦٠٢ ٠ وتشتمل هذه المنطقة على سهل البقاع الذي تقطعه وديان إلى البحر =

بانياس [١]، اسفل قلعة المرقب • ويدعى القسم الثالث من سوريا باسم سوريا القريبة من البحر أو سوريا الفنيقية • ويبدأ من النهر سالف الذكر ، وينتهي عند Lapis Incisa ، التي تدعى المقاطعة [٢]، وتدعى لغاية الآن باسم قلعة الحجاج [٣]، ويوجد ، في هذا القسم طرابلس ، وصور ، وعكا • ويدعى القسم الرابع باسم سوريا لبنان ، حيث يقع جبل لبنان • ويدعى أيضاً باسم سوريا دمشق ، لأن دمشق هي العاصمة الرئيسة • وببساطة تدعى أحياناً سوريا ، والقسم يأخذ اسم الكل ، كما في نص (العهد القديم) " دمشق تكون رأس " [٤]سوريا • ويوجد ثلاث فلسطينيات ، وهي اقسام من سوريا الكبرى• فالقسم الأول هو الذي عاصمته بيت المقدس [٥]، ويدعى باسم بلدانية القدس • والقسم الثاني هو الذي عاصمته قيسارية فيليبي [٦]، يشتمل على بلاد الفلسطينيين كلها • والقسم الثالث هو الذي عاصمته سكيثوبوليس التي تدعى في هذه الايام بيسان • وعلاوة على ذلك ، فإن كلاً من العربيتين تعتبر اقساماً من سوريا: الأول هو ذلك الذي عاصمته بصرى ، والثاني هو

= في اتجاه صور وسهل الجليل • انظر : نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ، ج٣ ، ص ١٥-١٦ • وكانت سوريا الثانية تضم عدداً من المدن في القرن الرابع الميلادي منها : افامية وحماة والرستن وشيزر • وكانت مدينة افامية عاصمة لسوريا الثانية خلال تلك الفترة • انظر : احسان عباس : تاريخ بلاد الشام من ما قبل الاسلام حتى بداية العصر الاموي ، ص ١٦٩ • (الترجمة العربية)

[١] ذكره المؤلف باسم نهر فالينا •

[٢] المقاطعة District أو ديستري Dustrey : ميناء قديم يقع شمال قلعة برلين " عتليت "

[٣] بنيت قلعة الحجاج بوساطة فرسان الداوية عام ١١٩٢م ، ولكن المقاطعة District كانت موجودة في وقت مبكر •

[٤] أشعياء ٧ : ٨ • وردت " لأن دمشق تكون رأس أرام ورصين ••• "

[٥] لم تكن بيت المقدس عاصمةً لفلسطين الأولى لأن قيسارية فلسطين كانت عاصمة لفلسطين الأولى ، وبيسان عاصمة لفلسطين الثانية والبتراء أو بصرى كانت عاصمة لفلسطين الثالثة •

[٦] يوجد خطأ هنا من قبل يعقوب القتيري لأن قيسارية فلسطين هي المقصودة هنا •

الذي عاصمته بترا الواقعة في البرية • وتعد سوريا سوبال [1]أيضاً التي عاصمتها سوبال جزءاً من سوريا الكبرى • والقسم الأخير من سوريا هو أدوميا المشرفة على مصر • ويسيطر هذا القسم على عديد من الممالك ، وعلى السواد الاعظم من الناس الذين يمتازون بالحقارة ، وقد رفعها السيد كما هي ، لتكون سوطاً لانتقام الاله من خطايانا•

الفصل السابع والتسعون :

بهذا تستطيع القول أن محنتنا المؤسفة واشاعاتنا المحزنة قد هزّتْ ، بلدان الغرب بأسرها ، وكل من سمع عنها كان مكتئباً ، مثل رجل متأثر بجرح مؤلم • وفوق كل هذا ، فعندما سمع الأب المبجل اربان [2] (الثالث)- الذي اصبح فيما بعد بابا كنيسة روما المقدسة – الاخبار ، كان لا عزاء له مع الحزن ، إذ إن الكنيسة الشرقية أصبحت في أيامه خراباً بصورة محزنة ، وآثاراً يتعذر اصلاحها • وعندما سمع أن الاماكن المقدسة قد دنست وديست من قبل كلاب غير نظيفة ، ووضع خشب الصليب الخاص بايدي رجال غير ورعين ، وغير جديرين بالاحترام ، وأن الأراضي المقدسة المحررة قد [3] احتلت مرة اخرى من قبل الكفار [4] ورجال نجسين – مقابل دماء كثير من الرجال المسيحيين – ، فإن أساه وحزنه أزعجاه ، لدرجة انه أصيب بالحمى ، وإلى حد ما توفي بعد ذلك بوقت قصير من الحمى ، والحزن ، والضعف • وكان جريجوري [5] (الثامن) وريثه على

---

[1] كانت سوريا سوبال تشتمل بوضوح على النقب والصحراء إلى الجنوب •(الترجمة الانجليزية)

[2] اختير اربان الثالث في الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١١٨٥م ، وتوفي في الحادي عشر من اكتوبر سنة ١١٨٧م •

[3] يتحدث المؤلف هنا عن استعادة السلطان صلاح الدين الأيوبي للأراضي المقدسة عقب معركة حطين •

[4] أورد المؤلف لفظة الكفار ونعتهم بالنجاسة ، وهو يقصد هنا المسلمين الذين استردوا بلادهم من قبضة الاعداء •

[5] اختير جريجوري الثامن في التاسع والعشرين من اكتوبر عام ١١٨٧ م وتوفي في السابع عشر من ديسمبر من العام نفسه •

العرش ، وهو رجل جيد ، يستحق القبول ، ولكنه توفي بعد ذلك بسبعة أسابيع بسبب خطايانا • وجاء بعده كليمنت الثالث [1] الذي اعتلى ارفع المناصب البابوية • وقد حشد ، بالتعاون مع اخوته ، والكرادلة ، كل الوسائل الممكنة لانقاذ المسيحيين ، الذين اصبح عددهم قليلاً جداً مثل الضأن مع الذئاب • وقد دعا أمراء الغرب الشعب المسيحي المؤمن كله لأجل تحرير الأرض المقدسة ، مانحاً اياهم الغفران التام من خطاياهم جميعها، اضافة إلى القوة الالهية التي يكتسبوها ، حتى لا يؤخروا قدومهم من اجل انقاذ كنيسة المسيح ، ومدينة مخلصنا • ويذكر أن فردريك الامبراطور الروماني ،وفيليب ملك فرنسا ، وريتشارد ملك انجلترا ، ومعظم الامراء ، والدوقات ، والايرالات [2] والنبلاء ، من ولاياتهم ، إضافة إلى رؤساء الاساقفة والاساقفة ورؤساء الأديرة ، وبعض الشخصيات الكنسية البارزة ، وعامة الناس من كل نوع، ويفوق وصف أي انسان ، يضعون شارة الصليب واهب الحياة على اكتافهم ، وقد اعلنوا القسم الديني لانقاذ الأراضي المقدسة ، مشجعين بعضهم بالقول والفعل ، كما أنهم الهبوا حماسة الآخرين ، ولذلك بدا واضحاً لهم أنه من العار والخزي البقاء في بيوتهم مثل الكسالى والجبناء ، في حين ذهب الآخرون للمشاركة في حملة فرنجية صليبية •

الفصل الثامن والتسعون :

ولم يكن الملك جاي قادراً على استعادة صور في الصيف التالي ، لفقدان الأرض المقدسة، لأن الماركيز ، سالف الذكر ، الذي انقذها ، قد طالب بها وفقاً للاتفاق ، ولم يكن قد تبقى لديه أكثر من قرية واحدة من جميع المملكة لتكون مقراً للتشاور ، وعلاوة على ذلك ، فقد كان شاعراً بالخزي والقلق ، خصوصاً وأن الأرض المقدسة قد ضاعت اثناء عهده ، وقام – مع قليل من الاتباع الذين استطاع جمعهم وكأنه أهمل حياته – بمحاصرة عكا ، ونصب خيامه على جبل عالٍ قرب المدينة • وكان أخوه جيفري لوزينان، وهو

---

[1] اختير كليمنت الثالث في التاسع من ديسمبر عام ١١٨٧م وتوفي في ٢٧ مارس سنة ١١٩١م•

[2] الايرالات Earls : مفردها ايرل وهو لقب انجليزي أدنى من مركيز وارفع من فيكونت •

رجل شجاع ونشيط ، قد تبوء مركز الصدارة على الحجاج الأوروبيين كلهم بفضل أخيه •
وعندما سمع صلاح الدين عن هذا ، شكر الله على لقاء بقية المسيحيين وملكهم بين يديه •

وفي الواقع فإن قليلاً من الرجال استطاعوا مقاومة شعب عكا • وعندما عرض أمراء صلاح الدين الاسراع لأخذ الجائزة التي وضعها السيد في طريقه ، يقال إنه قد أجابهم إذا لم يستطيعوا الهرب ، فإنه يفضل انتظار شقيقه – الذي كان من المتوقع وصوله قريباً – ليأخذ نصيباً من المتعة والنصر • ولكنه أدرك ، بحكم خبرته ، بعد ذلك بعدة أيام، أن التأخير يجلب الأذى دائماً ، وخاصة عندما يكون الانسان جاهزاً للعمل ؛ لأن أحد النبلاء وأعظم خادم للاله ويدعى يعقوب ايوفيرجيني ، حضر ومعه قوة من الفلمنكيين، والبرابانت ، والفريسيين وعسكروا أمام مدينة عكا • وفضلاً عن ذلك ، فقد وصل ، بعد ذلك ، حشد من النبلاء وآخرين من شامبانيا ، وبرجنديا ، وايطاليا ، وعسكروا أمام المدينة سالفة الذكر • وقد حصنوا معسكرهم بخندق من الجوانب كلها لأجل تجنب هجوم مفاجئ وغير متوقع من قبل المسلمين • قد يأخذ الحديث عن المحنة والتعاسة والاخطار والخسائر، ومدى التحمل قبل مجيء ملوك فرنسا وانجلترا ، وقتاً طويلاً ، إذ كان المسلمون غالباً ما يحرقون أدوات حصارهم ويقتلون العديد منهم ، ويجرحونهم بالسهام والرماح على نحو قاتل، في حين مات العديد على الشاطئ الرملي أمام المدينة من المجاعة ، والكدح ، والطاعون • وبعد أن رأى شعبنا أنه ليس من السهل أخذ المدينة الآن ، وكان صلاح الدين وجيشه يناوشون حول خندق المعسكر ، تحركوا عن رد هجومهم ، وهربوا تاركين خيامهم خلفهم ، وعندما وصل شعبنا إلى معسكر المسلمين دون مقاومة على الرغم من سرية حكم الاله ، إلا أنهم كانوا مذهولين ومذعورين بكل ما في الكلمة من معنى، وهربوا ، على الرغم من أنه لم يطاردهم أي انسان •

وعندما شاهد المسلمون هذا ، استعادوا ثقتهم وجرأتهم وعادوا خلف شعبنا ، وبدأوا باصابة كل من الخيول والفرسان بوابل متواصل من الرماح • وقد طوقهم المسلمون باعدادهم وقتلوا قليلاً من النبلاء الكبار الذين اعتبروا من الدناءة والعار ، ادارة ظهورهم ، وكان من بينهم اندرو برين ، سيد الداوية ، الذي سقط مع آخرين في ذلك اليوم • وكان

خوف شعبنا واستبساله عظيماً ، وكانوا مذعورين جداً بفرارهم ، ونادراً ما كان احد الفارين يمتلك شجاعة وخبرة الجندي جفيري لوزينان سالف الذكر – الذي بقي بالخلف لحراسة المعسكر – واسرع لمساعدة شعبنا بصحبة الرجال الذين بقوا معه • ويقولون إن شعبنا وضع بحالة ارباك في ذلك اليوم من خلال حادث غريب • فقد فلت حصان سيده وهرب ، وبينما لحق به العديد ، وهم يصرخون ، فقد ظن الآخرون ان شعبنا كان هارباً من العدو ، وهكذا هرب الجميع ، وأخذوا طريقهم إلى خيامهم ، وكان لهم العار العظيم خصوصاً وللمملكة المسيحية الخسارة الكبرى •

انتظر شعبنا سنة ونصف ، بعد البداية له في الميدان ، من أجل انتظار الامبراطور وبعض الامراء الآخرين ، الذين كان يجب أن يلحق بهم ، وتفشت عندهم المجاعة وانتهى المؤن في المعسكر ، حيث اضطروا لأكل لحم الخيل ، وجثث الحيوانات الميتة ، ليصل ثمن بوشل القمح الذي كان ثمنه نصف بيزنط إلى ستين بيزنطا ، وأما مشاة الجيش ، فقد أظهروا أنهم لم يعودوا قادرين على تحمل الحاجة (العوز) ، وانطلق ما مجموعه ثلاثة آلاف، لمهاجمة المسلمين ولحمل المؤن من معسكرهم خلافاً لأمر رؤوسائهم• وقام العدو الماكر بحركة سريعة [1]، وسمح لهؤلاء الرجال الطائشين بتزويد انفسهم ليس فقط بالمؤن ، وانما بالذهب والفضة ، واثاث من انواع مختلفة • وعندما كانوا محملين ومثقلين بأحمال ثقيلة ، في طريق عودتهم مرة أخرى " صَارَتْ قيثارتهم للنَّوْحِ "[2] وفي نهاية المرح ، كانت التعاسة، حيث هاجمهم المسلمون بصيحات مرتفعة ، ولم يبق رجل واحد قادر على مقاومة العدو • وقد القوا الذهب والفضة ، وسلاحهم أيضاً ، وسقط معظمهم على وجه التقريب في الطريق ، أو اقتيدوا إلى البحر وغرقوا • وأصاب العديدَ من الذين هربوا الجنونُ من شدة الذعر • وهكذا عانى السيد من تذمرهم وعدم طاعتهم ليكون عقاباً لهم• وفي ذلك الوقت توفيت سيبلا زوج الملك جاي سالف الذكر في

---

[1] هذا يشير إلى أن القوات الإسلامية كانت متيقظة لكل حركة قد يقوم بها الفرنجة ضدهم •

[2] أيوب ٣٠ : ٣١ • ورد في سفر الأمثال " في الضحك أيضاً تطغى الكابة على القلب وعاقبة الفرح الغم " • الامثال ١٤ : ١٣ •

المعسكر • وهكذا انتقل العرش حسب الحقوق الوراثية إلى اختها ايزابيلا زوج همفري سيد تورون ، ولكن مركيز مونتيفرات ، الذي جعل نفسه سيداً على صور ، على الرغم من وصوله الخبر ، وعندما سمع عن هذا كان متمسكاً بطموحه للحكم ورغبته في العرش وقد انتزع اليزابيث[1] المذكوره من زوجها، وتزوجها مباشرة على الرغم كون الحجاج لم يسروا كثيراً من هذه الحماقة الكبرى، إلا إنهم ، على الرغم من ذلك ، أوجدوا الاعذار للكونت همفري سالف الذكر، عندما ناشدهم من أجل الخلاص ، لأنهم لا يستطيعون شراء الطعام إلا من صور ، حيث نقلت من ايدي المركيز سالف الذكر • وعلاوة على ذلك ، فقد قام بعض رؤساء الجيش لتأييد قضيته•

الفصل التاسع والتسعون :

فبينما كانت هذه الاقدار المتغيرة في بداية المعركة ، شرع الامبراطور الروماني فردريك في رحلته براً ، بقوة كبيرة ، وحشد لا حصر له من المحاربين • ومروراً بحدود المانيا ، عبر هنغاريا ، ومقدونيا ، واليونان [2]، وتقدم عبر أراضي المسلمين [3]بسيطرة جبارة، وسلطة واسعة • وقد احتل قونية [4] وفيلومينا [5] وعديد من المدن الأخرى ، ووصل أرمينيا [6] خلال الحر الشديد ، حيث ذهب إلى النهر[7] الذي يسميه المواطنون

---

[1] المقصود هنا الاميرة الفرنجية ايزبيلا التي حملت أيضاً اسم اليزابيث وكانت زوجة همفري الرابع سيد تبنين ، ثم جرى تطليقها منه وتزوجيها من كونراد مونتيفرات اعتقاداً منهم في قدرته على احياء مملكة بيت المقدس • Cf. Ernoul, op. cit .,PP. 267-268. انظر أيضاً : سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، جـ٢ ، ص٦٧٨ ، ابراهيم سعيد : يافا ، ص١٧٣ •

[2] المقصود هنا حدود امبراطور القسطنطينية •

[3] ذكرهم المؤلف باسم السراقنة •

[4] وردت في المتن إكونيوم Iconium •

[5] هي مدينة فيلوميليوم Philomelium وتعرف الأن باسم الجهين Ilghin •

[6] المقصود ارمينيا الصغرى أو قليقيا أرمينيا •

[7] أن الرغبة في مقارنة رجلين عظيمين ، قام العديد من الكتاب بمحاولة لغرق فردريك في نهر=

النهر القوي، لأجل الاستحمام ، وبسبب خطايانا غرق بطريقه بائسة ، وهكذا مات لأجل الخسارة لجميع المسيحيين ٠ وقد كان صلاح الدين خائفاً جداً من وصوله [1]، ولذلك أمر بتدمير اسوار اللاذقية ، وجبلة ، وطرطوس ، وجبيل ، وبيروت ، مستثنياً الحصون ، أي القلاع والأبراج ٠

فبعد أن أمضى كل من فيليب ملك فرنسا وريتشارد ملك انجلترا فصل الشتاء في برينديزي [2]، منتظرين بقية جيوشهم للانضمام اليهم ، أبحروا إلى ميناء عكا في الربيع التالي بالشواني والقوارب مع عدد من الخيول ، ومعدات الحرب ، ومقدار وافر من المؤن وشحنوا جيش شعبنا بجو من المتعة الهائلة ٠ وكان ملك فرنسا أول من حضر ، لأن ريتشارد ملك انجلترا احتل جزيرة قبرص أثناء قدومه وأطاح بالاغريق هناك[3] ٠

= الكلب ، حيث هكذا استحم الاسكندر بحماقة (Q . Curt . , lib iii , cap. iv.,v.) ولكن من تحرك الامبراطور ، احكم من غير ريب ان موقع غرقه هو ال Caly cadnus وهو جدول قليل الشهرة ولكن بمجرى طويل ٠ –" Gibbon , vol . vi , P82 , note , : ch, lix " وقد غرق فردريك بربروسا في Cady cadnus (G euk Su) أو النهر الأرزق Blue Riuen ، عندما تحرك من لاراندا (Karaman) إلى سيلوفيا(Selefh)٠

[1] يحاول الكاتب هنا ابراز قوة فردريك بربروسا وشيء طبيعي أن يصف صلاح الدين بالخوف من وصول قوات صليبية جديدة إلى المنطقة ٠

[2] بريينديزي Brindisi : ذكرها الرحالة سايولف Brandic ، وهي عاصمة للمقاطعة التي تحمل اسمها ، وتقع عند كعب شبه جزيرة ايطاليا على البحر الادرياتكي وتعتبر بريينديزي بوابة هامة لبلاد اليونان ، ومن معالمها الشهيرة القلعة التي شيدها فردرك الثاني وكاتدرائيتها التي شيدت في القرن الثاني عشر الميلادي ٠ وكانت مدينة بريينديزي محطة بحرية رومانية ، ولكنها انهارت بعد غزوات الفرنجة ٠ انظر : موسوعة بلدان أوروبا الغربية ، بيروت ، بدون تاريخ، ص٦٦-٦٧ ، انظر أيضاً : وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة ١٠٢-١٠٣ ، ص١٦ هامش ١ ٠

[3] استولى الملك ريتشارد على قبرص عام ١١٩١م لأن حاكمها اسحاق كومنين قام بحجز عدد من سفن الملك التي تعرضت لرياح عاتية ٠=

وشرعوا الآن بحصار مدينة عكا ، وطوقوها من الجوانب كلها ، وهاجموها باستمرار طيلة فصل الصيف ، في حين قاوم اولئك الذين بداخلها بشجاعة متكافئين بمعداتهم ضد معداتنا ، وقد حرقوا بنارهم الاغريقية القلاع الخشبية التي بناها شعبنا بتكلفة كبيرة ، كما الحقوا بشعبنا الاذى الكبير • ولكن عندما ارسل صلاح الدين ، في أحد الايام ، امداداً عسكرياً من الجنود النشيطين إلى داخل المدينة ، بالسلاح والمؤن في سفينة كبيرة تدعى دروموند [1]، وقد التقاها ريتشارد عند فم الميناء بالشواني ، وأغرقها بجميع جنودها في قاع البحر ، مما يعني السرور الكبير لدى المسيحيين ، والغضب الشديد للمسلمين ، وإلى جانب بقية حمولة السفينة يقال إنها كانت تحمل بعض الافاعي التي كان يريد (المسلمون) ارسالها إلى جيشنا ، مفكرين بالحاق الأذى الكبير بنا • وقد هاجم ملك فرنسا اسوار المدينة وأبراجها والجدران العلوية بصورة مستمرة ، نهاراً وليلاً بحجارة ضخمة ، محطماً آليات

Cf. Ambroise cf also : Mishaud, A History of the Crusades, vol. 1 P. 475.=

(1) ذكرها المؤلف باسم دروموند Dromond • ويبدو أنها نوع من السفن الشراعية galleys ذات صفين من المجاديف ، وتدعى درومون Dromones مأخوذة من OPO MWVES البيزنطية • وقد وردت اللفظة بشكل آخر هو دورموندي Dormundi ، ويمكن الاعتقاد أنها من سفن الارمونه المعربة عن اليونانية ، وتجمع درامين • ويقول جيبون أن الامبراطور البيزنطي الكسيس كومنين كان يمتلك اسطولاً خفيفا ، سريع الحركة ، وكان هذا الاسطول من الشواني الجلاسات galles "الحربية خفيفة التسليح ، المستخدمة في الامبراطورية البيزنطية ، وكان لكل سفينة (جلاسة) صفان من المجاديف ، وكل صف كان يتكون من خمس أو عشرين دكة ونصب على كل دكة مجدافين ربطت على جانبي المركب • وقد وصفت هذه السفن بانها من سفن البيزنطيين الخفيفة سريعة الحركة ، انظر : ستيفن رانسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ١٨٠

Cf . Gibbon , Decline and fall , ch , 53 ارشيبالدلويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الابيض المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى " مكتبة النهضة المصرية " بدون تاريخ ص ٤٨ – درويش النخيلي : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية " دار المعارف " ١٩٧٩م ، ص ٤٦ – ٤٨ •

المسلمين [1]، والمنازل والمباني داخل المدينة ، منهياً الحصار • وعلى الجانب الآخر كـان ملك انجلترا يقوم بهجمات خطرة متكررة على المحاصرين ، حيث انهار السور من جـراء الضربـات المتواليـة مـن الحجـارة الكبـيرة الملقـاة عليـه ، وقـد أعلـن المواطنـون انهـم لا يستطيعون المقاومة أكثر ، وسلموا المدينة على أن يخرجوا منها أحراراً وغير متضررين، وليحصلوا على هذا ، وَعَدوا باعادة الصليب المقدس الذي فقده المسيحيون في المعركـة • ولكنهم لم يستطيعوا أن يعثروا عليه ، مما أثار غضب ملك انجلترا الذي أمر بوضع جميع اولئك الواقعين في الجزء الخاص به من المدينة تحت حد السيف ؛ ولكن ملك فرنسا تعـامل مع المسلمين الواقعين تحت سيطرته بطريقة أكثر لباقـة ، وألقـى بهم فـي السـجن ، لأجـل مبادلتهم مع شعبنا • وقد فعل ملك انجلترا أكثر مـن ذلـك ، لأجـل الحـاق الاذى بالمسـلمين واضعافهم [2]، وذلك بقتل عدة آلاف منهم ، خشية إن بقوا على قيد الحياة ، فقد يلحقوا اذى كبيراً بالمسلمين • وعندما رأى صلاح الدين أن المدينة أخذت ، وأن جزءاً كبيراً من قواته قد دمر ، أصيب باحباط كبير، ولم يعد لديه أمل في الدفاع عن بقيـة المـدن ضدنـا ، ودمـر أسوار المدن الساحلية وهي : بروفاريا ، وقيسارية ، ويافا ، وعسقلان ، وغزة ،والداروم• وقد قام الملك ريتشارد باعادة بناء مدينـة يافا وحصنهـا [3]• وقـام صـلاح الديـن بعـد ذلـك

---

[1] وردت في النص " محطماً آليات العدو •

[2] ورد في المتن من أجل الحاق الاذى بالعدو واضعافه •

[3] قام الملك ريتشارد بمحاولات من أجل اصلاح أسوار مدينة يافا بتاريخ ٢١ رجب ٥٨٨هـ / ٥ اغسطس ١١٩٢م ، ولكنه شعر أن أسوار المدينة غير صالحة لصد أي هجوم ولذلك نـراه يوجـه نداءً إلى جميع الفرنجة الصليبيين يطلب فيه تقديم المساعدات المادية والبشرية من أجل اعادة بنـاء وترميم أسوار مدينة يافا •

Cf. Ambroise, The Crusade of Richaed Lion - Heart, trans . From the old Freuch by M.J.Hubert , New York , 1941 , PP . 413-414 ,433, Geoffrey de Vinssauf, Crusade de Richard Coeur de Lion , in Chronicles of the Crusades, London 1848 , PP. 319 , 331 .

انظر أيضاً : ابراهيم سعيد : المرجع السابق ، ص١٧٤ ،٢٠٤ • يقول أحـد البـاحثين الحديثيـن أن ترميم واصلاح مدينة يافا كان أمراً ضرورياً خاصة بعد تدمير مدينــة عسـقلان وعودتهـا لحظـيرة الدولة الايوبية ، وهكذا أصبحت مدينة يافا بمثابة خط الدفاع الأول لمملكة بيت المقدس ضد أي =

بفرض الحصار عليها ، ولكن الملك ريتشارد اسرع عائداً إليها عن طريق البحر بسفينة شراعية ، وتبعه جيشه براً، وتمكنوا من تخفيف الحصار بصعوبة كبيرة ، وردوا جيش المسلمين • وكان المسلمون ، في ذلك الوقت متوترين وغاضبين ، وهربوا مع اميرهم قبل مواجهة شعبنا • ولم يكسب شعبنا في هذه الظروف مملكة بيت المقدس فقط ، وانما الجزء الاكبر من بلادهم وبسهولة تامة ، وكان المسلمون غيورين [1]من هذا النجاح الكبير للمسيحيين ، ولم يكن يمتلك العنصر الانساني ، يبذر زوانا ، ويثير شجارات وخلافات بين الملوك • كان هناك نزاع بين الامراء ، مما دفع للتجوال في البرية حيث لم تكن هناك أي طريق • فكل واحد حاول الفوز بالشهرة لنفسه ويروج من أجل مصلحته وليس من أجل الاشياء التي طلبها يسوع المسيح ، وعن طريق التحقير واثارة غيرة بعضهم بعضاً ، فقد ادخلوا السرور في قلوب أعدائهم ، وجلبوا الخزي العظيم على المسيحيين ، ووصل الحسد والضغينة والخلاف بين الملوك إلى هذه الدرجة ، وغالباً ما كان ملك فرنسا يهاجم المدينة من جانب واحد ، في حين كان ملك انجلترا يحتفظ بجماعته بالخلف ، ولا يدفعهم للهجوم من الناحية الاخرى ، وعلاوة على ذلك ، كسب بقدر ما يستطيع العديد من الامراء والبارونات الفرنسيين إلى صفه بسرية مطلقة ، وذلك عن طريق تقديم الهدايا والوعود ، كما جعلهم يستحوذون على الجزء الخاص به • وقد ترك وراءه دوق برجنديا مع قسم من جيشه ، ولكن اخبار عودته المبكرة نشرت بدون تروي ، ولذلك يقولون إن صلاح الدين كان من الممكن أن يسلم لنا معظم الأرض ، إذا تظاهر الملوك أنهم على رأي واحد بخصوص اجتياحها ، وأنهم كانوا في حالة سلام وتفاهم مع بعضهم بعضاً • ورحل الآن ملك انجلترا ودوق برجنديا كل بجيشه من مدينة عكا باتجاه مدينة يافا ، قاصدين محاصرة بيت المقدس• وقد واجهتهم في الطريق مجموعة مشاكل ، لأن صلاح الدين طوقهم باعداد لا تحصى من الجنود والتركبولية من الجهات كلها ، وباغتهم المسلمون بالقذائف من كل جانب ، وتمكنت جماعتنا من شق طريقها إلى مدينة أرسوف الواقعة بين قيسارية ويافا

= هجوم من قبل المسلمين • انظر : ابراهيم سعيد : المرجع السابق ، ص٢٠٤ •

[1] ذكر المؤلف ان العدو كان غيوراً ، وهو يقصد بذلك المسلمين •

بصعوبة كبيرة ، يرافقهم مجموعة كبيرة من الخيول والفرسان الجرحى ، وقد جرح الملك ريتشارد نفسه في تلك المسيرة • لقد هاجم جماعتنا المسلمين بشدة بالقرب من القلعة [1] سالفة الذكر ، قاصدين ، من وراء ذلك ، الثأر منهم ، وحتى يجبروهم على الانسحاب فقد قتلوا العديد منهم ، وبدون خسائر كبيرة في الجيش المسيحي ايضاً، إذ سقط يعقوب (جيمس) ايوفيرجين ، الفارس النبيل والمحارب الشجاع ومعه العديد ممن انضم إلى قائمة الشهداء ، حيث قاتلوا المسلمين في مكان منعزل وغير معروف لجماعتنا • اما صلاح الدين ، والفارون برفقته فقد توجهوا إلى بيت المقدس، في حين نصب جماعتنا معسكرهم في مكان يدعى بيت نوبا ، يقع بين يافا وبيت المقدس ، من أجل التقدم من هناك لحصار بيت المقدس • وفي ذلك المكان وصلت أخبار للملك ريتشارد تفيد بأن قافلة كبيرة في طريقها من مصر إلى جيش صلاح الدين محملة بالمؤن والبضائع الأخرى ، إلى جانب عدد كبير من الخيول والبغال والجمال • وقد بدأ (الملك ريتشارد) بالعمل بسرعة من أجل مقابلتها ، وقام بحركة عسكرية ليلية ، وأحضر غنائم كثيرة لجيشه ، الذي تركه في وضع خطير جداً لأنه أخذ معه الجزء الاكبر من جماعته ، وترك خلفه شرذمة قليلة مقارنة مع قوة صلاح الدين • وعقدوا بعد ذلك مجلساً حربياً ، قرروا فيه عدم نصب الحصار على بيت المقدس في فصل الشتاء ، ورأوا أنه لا يوجد مكان قوي بين بيت المقدس وعكا سوى مدينة يافا ، ولا يمكنهم الحصول على مؤن لاطعام الجيش بدون التعرض لخطركبير وفعلي، ولذلك تخلوا عن المغامرة مع حزن ودموع كثيرة من قبل جيشنا • وقال عدد من الرجال الذين يعرفون جيداً وضع المسلمين إن صلاح الدين لا يتوقع قدوم جيشنا ، إذ لا يمكنه العثور على أحد يجرؤ على أن يقتل في بيت المقدس ، أو أن يتجرأ على البقاء ونصب الحصار هناك ، لأنهم كانوا مرعوبين بما حدث لأهل عكا ، الذين لم يتمكن صلاح الدين من مساعدتهم ، ولكنهم عانوا إما من القتل أو الوقوع في الاسر ، على الرغم أنه كان بإمكانه انقاذهم • أما الآن فقد توجه ملك انجلترا بجيشه إلى عسقلان ، وبجهد كبير وتكاليف مرتفعة لم يكف عن ترميم واصلاح اسوارها طوال ذلك الشتاء ، وعلاوة على

---

[1] ربما يقصد المؤلف مدينة أرسوف التي كانت محصنة خلال تلك الفترة •

ذلك ، فقد اعاد بناء بلدة الداروم الصغيرة وتحصينها • وقد اصلح مدينة غزة واعطاها للداوية للاحتفاظ بها ، وهي تعود لهم فعلاً [1]• وبما أن دوق برجنديا والفرنسيين الذين بقوا معه بالخلف لا يتفقون مع الانجليز فقد ذهبوا إلى صور ، وامضوا مع المركيز الشتاء هناك • وعندما حضر كل من الجيشين إلى بيت نوبا ، لأجل محاصرة بيت المقدس في الربيع التالي ، قال الملك ريتشارد ، إنه يجب عليه العودة إلى وطنه بكافة الطرق ، زاعماً أن اخاه كان تواقاً للمملكة ، وأنه جعل من نفسه سيداً على جزء من أرضه • وبدأ الملك ريتشارد وكأنه تغير إلى رجل آخر ، ومن ناحية أخرى ، ارتاب من ملك فرنسا الذي انفصل عنه غاضباً ، وخشي أنه ، في حالة غيابه ، قد يحتاج الملك فيليب دوقية نورماندي بالقوة • وعندما سمع المسلمون هذه الاشاعات دخل السرور إلى قلوبهم ، واكتسبوا شجاعة كما لو كانوا مستيقظين من غفوة عميقة [2]، في حين وضع شعبنا في حالة من التوتر والحزن ، ويأس خال من أي أمل في استعادة المدينة المقدسة • وقد ندبوا وتحسروا لأن الغاية (الهدف) من تضحياتهم انقطعت ، كما أنهم رأوا أن جهودهم لم يكن لها نهاية وسخروها دون نتيجة • وإذا كان ملك انجلترا قد أخفى اهتمامه لبعض الوقت قبل مغادرته، وكان من الممكن أن نحصل على أوضاع مناسبة وسلام مُشَرِفٍ من قبل المسلمين، ولكن ملك انجلترا كان متهوراً تماماً كما كان دائماً من أجل الحاق الاذى الكبير بالمسيحيين [3]، إذ إنه أسرع بالرحيل موافقاً على أية بنود للهدنة اشترطها المسلمون ، بدون أي اعتراض أو صعوبة • وقد بدا واضحاً هنا ، أن جماعتنا أجبروا عن طريق شروط الهدنة على فك

---

[1] هذا لا يعني أن مدينة غزة كانت ملكاً لفرسان الداوية ، ولكن المدينة خضعت للسيطرة الفرنجية الصليبية،وبمقتضى النظام الاقطاعي الفرنجي الصليبي قام ملك بيت المقدس بمنحها لهم•

[2] ورد في المزامير :" قُمْ يا رب ، لماذا تتغافى ؟ انتبه ولا تبذنا إلى الابد " • المزمور ٤٤ : ٢٣ •

[3] يبدو أن يعقوب القتيري كان متحاملاً على الملك ريتشارد ، ومتعاطفاً مع فيليب اغسطس لكون الأخير فرنسياً ، وهو بدوره أحد المواطنين الفرنسيين ، الامر الذي يشير إلى العنصرية التي كانت تسيطر على الاوروبيين في العصور الوسطى • (الترجمة العربية)

أو عزل عسقلان ، والداروم وغزة ، وتركونا نحتفظ بمدينة يافا وبقية الساحل وصولاً إلى عكا ، موضحين أنه عندما دمرت الاماكن القوية ، فإنه لا يمكننا الدفاع طويلاً عن المدن الساحلية ضدهم بعد رحيل جيشنا لبلده • وكان كونراد ماركيز مونتيفرات قد قتل في الوقت نفسه من قبل بعض العرب المتنصرين الذين ابقاهم في منزله لمدة طويلة؛ وتزوج هنري كونت شامبانيا من ايزابيلا أرملة كونراد بناءً على اقتراح ملك انجلترا ، وبقي في المدينة المقدسة ، وقد قبض على ملك انجلترا ، وهو في طريق عودته إلى وطنه ، واودع في سجن الماني ، واحتجز من قبل الامبراطور ، حتى افتدى مقابل كبير من المال ، وشق طريقه إلى انجلترا بصعوبة كبيرة • وعلى الرغم من أن الكونت هنري قد تزوج من الملكة ، وأصبح سيداً لعكا وصور ، إلا أنه رفض أن يتوج ويصبح ملكا ، لأنه كان مثل البقية تواقا للعودة إلى بلاده• ولكنه بعض أن استقر في الاراضي المقدسة لبضع سنوات ، وعمل كثيراً من التجهيزات من أجل عودته ، وقع من إحدى نوافذ منزلة فوق صخرة في ضواحي مدينة عكا [1]، وكسرت رقبته ومات • وقد تزوج عمري [2]ملك قبرص وشقيق جاي لوزينان (الذي توفي الآن) من الملكة اليزابيث ، وتولى زمام الحكم وحكم الآراضي المقدسة كخليفة للكونت سالف الذكر •

ولكن بعد مغادرة ملك انجلترا والحجاج الآخرين ، سيرينا المسلمون إلى أي مدى كانت عليه الحالة السيئة للقلة الباقية من المسيحيين، كما كان بقاؤهم في الأراضي المقدسة محفوفاً بالخطر ، وتوفي المعدم صلاح الدين [3]، ومن ثم نشأت هناك خلافات أدت إلى

---

[1] كان هنري يتحدث إلى مجموعة البيازنة في قصره وأثناء حديثه سقط من النافذة وتوفي في العاشر من سبتمبر (ايلول) ١١٩٧م Cf. Ernoul, P.300-Eracles,Ectoire,PP.218-221.

[2] تزوج عمري من ايزابيلا أرملة هنري كونت شامبانيا ليشغل منصب ملك مملكة بيت المقدس الصليبية الاسمية ، وقد تمت مراسم الزواج في يناير ١١٩٨م /٥٩٤هـ • انظر : ابراهيم سعيد : المرجع السابق ، ص ٢١٤ •

[3] كانت وفاة السلطان صلاح الدين في صفر عام ٥٨٩هـ /مارس " اذار " ١١٩٣م ، بعد أن مرض في دمشق وتم دفنه فيها •

منازعات وحرب مدنية ، كانت مفيدة جداً للمسيحيين • وقد أخذ شقيق [1]صلاح الدين من أولاد أخيه ممتلكاتهم كلها ، باستثناء مملكة حلب فقط ، وأثار ، من خلال هذا العمل ، جميع المسلمين ضده ، ولم يستطع شعبنا ولم يجرؤ أيضاً على القيام بأي محاولة ضده ؛ لقد اعتقدوا أنه شيء عظيم أن يقيموا ويحفظوا مقرهم في أرضهم إلى جانب المسلمين بأي طريقة ، على الرغم من تلقيهم العديد من الاهانات منهم • وعلى أي حال ، كان المسلمون يقنعونهم بمغادرة المدينة عن طريق تقديم الرشاوي وكانوا يحصنون جبيل التي تعود إلى اولئك حسب الحقوق الوراثية ، دون علم السلطان ؛ وبطريقة مماثلة ، أُعيدت مدينة بيروت وقلعتها إلى المسيحيين بعد أن تخلت عنها حاميتها • أما الآن ، فقد أرسل الامبراطور هنري (السادس) جيشاً من الالمان إلى الأراضي المقدسة ، وأجبروهم على نقض الهدنة• ونصبوا حصاراً على حصن يدعى تبنين قرب مدينة صور مباشرة • وقد يستسلم المُحاصَرُونَ بشرط الابقاء على حياتهم ، ولكن الالمان أجّلوا الاستيلاء على المكان مدة ليلة واحدة ، معتقدين أنه لا الحصن ولا الحامية يمكن أن تفلت من بين أيديهم • ولكن في الصباح اجتمع جيش لا يحصى عدده من المسلمين ليحرر القلعة ، وهاجموها على نحو مفاجئ • وعندما اقتربوا من بيروت ، هرب المسلمون الباقون في المدينة من جراء الخوف، وتركوا المدينة والحصن لهم • وعندما سمعوا أن امبراطورهم مات ، لم يقدموا أية مساعدة ، وقفلوا عائدين إلى بلادهم • وعلى الرغم من ذلك ، تشجع نفر من جماعتنا وحصنوا مدينة يافا ضد المسلمين ، ولكن بعد ذلك بوقت قصير أخذ المسلمون الحصن الذي بنوه ، وجعلوا مستواه بمستوى الأرض ، بدون صعوبة كبيرة ، كما أنهم جمعوا الأسرى الذين وجدوهم بداخله • وهنا جددت الهدنة وهي مسألة يجب على المسلمين الموافقة عليها ، لأن معظم مملكة بيت المقدس بايديهم ، وكانوا متنازعين ومختلفين تماماً فيما بينهم• وكان شعبنا في حالة من الفزع الشديد من جراء نقض الهدنة في مناسبة مفاجئة ، لانجاز الحصار فيما يتعلق بأي مكان قوي ، أو لاعادة بناء أي حصن خال من التجهيزات ، وهكذا عندما حضر بعد ذلك بوقت قصير بعض النبلاء من شامبانيا وبعض

[1] المقصود هنا سيف الدين العادل •

مقاطعات فرنسا إلى هناك عن طريق البحر ، رفض جماعتنا نقض الهدنة ، وذهبوا إلى انطاكية لتقديم الخدمة والمساعدة إلى أمير انطاكية الذي كان بعد ذلك في حرب ، ولكنهم اخذوا أسرى بين طرابلس وانطاكية من قبل المسلمين والقي بهم في سجن حلب • ونقض شعبنا الهدنة مرتين بعد مغادرة الالمان سالفي الذكر • وكانت المرة الأولى عندما حضر بعض النبلاء من فرنسا وهو سمعان دو مونتفورت – ذو المولد النبيل ، كما أنه انسان تقي وجندي جيدجداً – واخوه وآخرون ، وكانت من ضمنهم كونتيسة فلا ندر التي تبعت زوجها [1] الذي توج امبراطوراً على القسطنطينية • أما المرة الثانية فكانت عندما توفي عمرى وزوجته ، وتم استدعاء يوحنا برين [2] ليأخذ على عاتقه مهام عرش بيت المقدس ، وقد عبر البحر ، وتزوج وريثة المملكة ابنه المركيز كونراد والملكة ايزابيلا [3] • ولكنهم قدموا القليل أو غير الجيد ، لأنهم لم ينصبوا الحصار على مكان قوي ، ولم يعيدوا بناء أي

---

(١) المقصود هنا بلدوين التاسع كونت فلاندر الذي توج في ١٤ مايو ١٢٠٤م امبراطوراً للامبراطورية اللاتينية التي اقامها الفرنجة الصليبيون في القسطنطينية ، وعندما قتل على يد البلغار تولى مكانه اخوه هنري ثاني الاباطرة الصليبيين الذي ظل على عرش الامبراطورية حتى عام ١٢١٦م • انظر : روبرت كلاري : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ص ١٣٦-١٣٨،١٥١ •

(٢) يوحنا برين : فرنسي الاصل وكان احد القادة العسكريين في فرنسا ، وقد اختاره الملك الفرنسي فيليب اغسطس ليتزوج من مملكة ماريا • وعلى الرغم من أن يوحنا كان مفلساً وفي الستين من عمره ، الا أنه كان ذكياً وصليبياً متحمساً للفكرة الصليبية ، وقد زوده البابا أنوسنت الثالث والملك فيليب بمبلغ كبير من المال من أجل السفر إلى فلسطين • ويقال إن المقصود باختيار يوحنا هو ابعاده عن فرنسا بسبب ما اشيع عن علاقة غرامية بينه وبين احدى الكونتيسات • وقد وصل يوحنا إلى عكا في الثالث عشر من سبتمبر عام ١٢١٠م ومعه ثلاثمائة فارس صليبي ، ولكنه لم يكن مقبولاً مثل البارونات الصليبيين •

Cf. Eracles , p. 306- Grousset, R., vol. III, pp. 192-193 .

انظر أيضاً : محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ١٠٧ •

(٣) المقصود هنا الملكة مريم التي كانت في السابعة عشرة من عمرها ، وقد تزوجت يوحنا برين في الرابع عشر من سبتمبر سنة ١٢١٠م وقد أشرف البرت بطريرك بيت المقدس الأسمى على مراسيم الزواج ، وتوج الملكان في كتدرائية صور في الثالث من اكتوبر من العام نفسه •

Annales de Terre Saint, cf. Les Archives de L' Orient Latin, vol. 2 p. 436.

انظر أيضاً : محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٠٧ •

من الحصون المدمرة ، وقاموا فقط باجتياح حدود المسلمين ، وحرقوا بعض القرى ، وحملوا الغنائم بعد أن توج ، وعين يوحنا ، سالف الذكر ، ملكاً من أجل الخزي والعار للمسيحيين • وقام المسلمون بتحصين جبل طابور ضدنا ، من أجل التضيق على مدينة عكا • وقد جدد شعبنا هدفهم مع المسلمين الآن ، شاعرين بالاسف من كثرة البؤس والاضطهاد ، وقد طلبوا المساعدة من السماء ، يوماً بعد يوم ، منتظرين الحل والمساعدة من الله ، والكنيسة الرومانية المقدسة •

وهنا نهاية تاريخ بيت المقدس

المصادر الأجنبية

- Albert d'Aix
Historia Hierosolymitana , ed. R.H.C.- H. Occ . tome IV, Paris 1879.

- Ambroise ,
The Crusade of Richard Lion Heart, trans . from the old French by M.J. Hubert , New York 1941

-Burchard of Mount Sion
A Description of the Holy Land , A.D. 1280, trans . from the Original Latin by Aubrey Stewart London 1896.
نُقل الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان :" وصف الأرض المقدسة " ترجمة سعيد البيشاوي ، ط١ ، عمان " دار الشروق " ١٩٩٥ ،

-Danial
The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land , trans by . C.W. Wilson , London 1888 -
نُقل الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان : رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الأراضي المقدسة ، ترجمة سعيد البيشاوي وداود أبو هدبه ، ط١ ، عمان ١٩٩٢م،

- Eracles
L'Estoire d'Eracles Empereur et La Conquest de La Terre d'outre-mer . Cf. R.H.C.,H. Occ , Tome II , Paris 1859.

- Ernoul
La Chronique d'Ernoul et de Bernard Le Tresorier , Ed., M.L., de Mas Latrie, Paris " Societe de Histoire de France " 1871.

-Fulcher of Chartres :
A History of the Expedition to Jerusalem , trans . by Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph). Edited with an introduction by Harold's Fink) Konuville , U.S.A. 1969

- Fetellus
Description of the Holy Land , tr. by Macpherson, London 1897 .

- Geoffrey de Vinsauf :
Crusade de Richard coeur de Lion , in Chronicles of the Crusades, London 1848.

-John of Wurzburg
Description of the Holy Land , A.D. 1160-1170, trans by C.W, Wilsou Laondon 1890 .
وقد اعتمدنا على الترجمة العربية وهي تحت عنوان :" وصف الأراضي المقدسة في فلسطين " ترجمة د . سعيد البيشاوي ، ط١ ، عمان " دار الشروق " ١٩٩٧م .

- Ludolph Von Suchem's :
Description of the Holy Land , trans . from the original Latin by Aubery Stewart, London 1895 .

- Marino Sanuto's :
Secrets for True Crusaders to Help them to Recover the Holy Land, Trans. by Aubery Stewart, London 1896 .

-Pilgrimage of Saewulf to Jerusalem and the Holy Land, trans. by Canou Brownlow, London 1892.
وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي تحت عنوان :" وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة ، ترجمة د . سعيد البيشاوي ، ط١، عمان " دار الشروق " ١٩٩٧م .

-Raimundus d'Aguilers :
Historia Fraucorum qui Ceperunt Iherusalem, ed. R.H.C.-H.Occ, tome III, Paris 1866

-Robert of clary, La couquet de Constantinople led louer paris 1929 .
وقد اعتمدنا عن الترجمة العربية لكتاب روبرت كلاري وهي تحت عنوان :" فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمة حسن حبشي القاهرة ١٩٦٤م .

-Roger of Wendover,
Flowers of Histor, 2 vols, dtrans by J. A. Giles london, 1848.

Raoul de Caen ,
Gesta Tancridi Expeditione Hierosolymitana, -R.H.C.-H. Occ., tome III, Paris 1866 .

-Roger of Hovden,
Annals comprising the History of England and others countries of Europe from A.D. 732 to A.D. 1201 , Trans . from the Latin notes and illustration by Henry , T., 2vols. London 1883.

-Tudebodus Abbreviatus
Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum, Ed. A.H.C.-H. Occ., tome III (pp.119-163)

-Weigler , Paul,
The Infidel Emperor and his Struggles Against the Pope , London 1930 .

- ***William of Tyre :***
Ahistory of Deeds Done Beyond the Sea, 2vols. trans. by Babcock and Krey, New York 1943 .

المصادر العربية

- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) أبو الحسن علي بن أبي الكرم الملقب عز الدين:
١- الكامل في التاريخ ، ١٢ جـ ، بيروت ١٩٦٦م ٠
٢- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقبق عبد القادر طليمات ، القاهرة ١٩٦٣م٠

- ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢جـ ، القاهرة " دار الكتب " ١٩٦٣م ٠

- ابن خلكان (ت ٦٨١هـ /١٢٨٢م) شمس الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم ٠
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٨ جـ ، تحقيق د٠ احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨- ١٩٧٢م ٠

- ابن العميد : (٦٧٢هـ /١٢٧٣م) الشيخ المكين جرجس بن العميد :
أخبار الايوبيين ، تحقيق كلود كاهن ٠
Cf. Bulletin D'Etudesorienta's Tome 15 , Damas 1958.

- ابن شاهنشاه الايوبي (ت ٦١٧هـ /١٢٢٠م) محمد بن تقي الدين عمر :
مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق د٠ حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٨م٠

- ابن العديم : (ت ٦٦٠هـ /١٢٦٢م) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله :
زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق خليل المنصور ، ط١ ، بيروت " دار الكتب العلمية ، ١٩٩٦م ٠

- ابن القلانسي (ت٥٥٥هـ / ١١٦٠م) أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي ٠
ذيل تاريخ دمشق ، بيروت " مطبعة الآباء اليسوعيين " ١٩٠٨م ٠

- **ابن ميسر (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) محمد بن علي بن يوسف :**

تاريخ مصر ، ٢ جـ ، نشر هنري ماسية ، القاهرة ١٩١٩م ٠

- **ابن واصل : (ت ٦٩٧هـ /١٢٩٨م) جمال الدين محمد بن سالم :**

مفرج الكروب في أخبار بني ايوب ، جـ٤ ، تحقيق د٠ محمد حسنين ربيع ، القاهرة ١٩٧٢م ٠

- **أبو شامة** (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) **عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان شهاب الدين :**

الروضتين في أخبار الدولتين، ٢جـ ، بيروت ، بدون تاريخ ٠

- **أبو الفداء (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م) إسماعيل بن عماد الدين صاحب حماة :**

تقويم البلدان ، نشرة رينو وديسلان ، باريس " دار الطباعة السلطانية " ١٨٤٠م٠

- **بنيامين التطيلي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣) بنيامين بن يونه :**

رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٩٤٥م ٠

- **الانصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) شمس الدين ابي عبد الله محمد بن أبي طالب المعروف بشيخ الربوة :**

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بطربورغ ١٨٦٥م ٠

- **البلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر ٠**

فتوح البلدان ، ٣جـ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة " مكتبة النهضة المصرية " ١٩٥٧م ٠

- **الحجاري وآخرون :**

النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب ، تحقيق د٠ حسن نصار ، القاهرة ١٩٧٠م ٠

- **الحريري (عاش في القرن العاشر الهجري / السادس عشر) احمد بن علي :**

الاعلام والتبيين في خروج الفرغ الملاعين على ديار المسلمين ، تحقيق

سهيل زكار ، دمشق " دار الملاح " ١٩٨١م ٠

- الحنبلي (ت ٨٧٦هـ / ١٤٧٢م) احمد بن ابراهيم الحنبلي :

شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، تحقيق ناظم رشيد ، بغداد ١٩٧٩م ٠

- البنداري (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني :

سنا البرق الشامي ، تحقيق د٠ فتحية النبرواي ، القاهرة ١٩٧٩م ٠

- سبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٧م) أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قيزوغلي :

مرآة الزمان ، جـ٨ ، ق١ ، حيدر آباد الدكن ١٩٥١-١٩٥٢م ٠

- الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ /١١٥٣م)

الملل والنحل ، اعداد عبد اللطيف محمد العيد ، القاهرة " مكتبة الانجلو المصرية "١٩٧٧م ٠

- المقدسي البشاري (عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) شمس الدين ابو عبد الله المعروف بالبشاري :

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن " مطبعة بريل " ١٩٠٦م ٠

- المقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) تقي الدين احمد بن علي :

السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٢جـ ، تحقيق د٠ محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٧م ٠

- ناصر خسرو (ت ٤٥٣هـ /١٠٦١م) أبو معين الدين :

سفر نامة ، ترجمة وتعليق د ٠ يحيى الخشاب ، ط١ ، القاهرة ١٩٤٥م ٠

- الهروي (٦٢١هـ / ١٢١٥) أبو الحسن علي بن أبي بكر :

الاشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سورديل ، طومين ، دمشق ١٩٥٣م ٠

- ياقوت الحموي (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله :

معجم البلدان ، ٥جـ ، بيروت " دار صادر ودار بيروت " ١٩٨٤م ٠

- يوسابيوس القيصري :
التاريخ الكنسي ، ترجمة القمص مرقص داود ، القاهرة " مكتبة المحبة " ١٩٧٩ م ٠

المراجع الأجنبية

- Addison , G.,
The History of the Knights Tempiars , London 1842.

-Archer and Kingsford ,
The Crusades : "The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem" London 1914 .

- Attwater , D.,
The Benguin Dictionary of Saints, London 1975.

- Atiya, A.S.,
Crusade, Commerce , Culture , Bloomington 1966.

- Besant , W., and Palmer, E .,
Jerusalem : " The City of Herod and Saladin" , London 1889.

-Boasc, T.S.R.,
Kingdoms and Strongholds of the Crusaders, London 1971 .

- Brehier, L.,
L' Eglise et L'orient au Moyen age Les Croisades, Paris 1928.

- Chalendon,F.,
Histiore de La premiere Croisade, Paris 1925 .

- Conder, C. R.,
The Latin Kingdom of Jerusalem 1099-1291, London 1897 .

- ***Cook , S. A.,***
Philistines , cf. Ency. Brit , Vol. 17 , 1965 .

-***Dodu, G.,***
Histoire des institutions monarchiques dan le royaume Latin de Jerusalem, Paris 1894 .

- ***Duggan, Alfred.,***
The story of the Crusades, London 1969.

- ***Edbury , P.W.,***
William of Tyre : A Historian of the Crusades and the Kingdom of Jerusalem (1130- 1184) in the Bulletin of the Faculty of Arts in Alexandria University 1988.

- ***Grousset, R.,***
1. L,Empire du Levant , Paris 1946 .
2. Histoire des Croisades , 3 vols . Paris 1948 .

- ***Gardiner ,***
Encient Egyptian onomastica , vol.1 , oxford 1927.

- ***Kedar , B., Z.,***
The Patriarch Eraclies in Outre-mer studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem , Jerusalem 1982 .

- ***King,E.,***
The Knights Hospitallers in the Holy Land , London 1931.

Miller , Essays on the Latin orient , London 1908 .

- R . C . Smail :
Crusading warfare , London 1987.

-Rey :
Les, Familles d,outre-mer de du Cange, Paris 1869.

- Richard , J .,
The Latin Kingdom of Jerusalem , 2 vols. trans from the original by Jenat Shirly , Amsterdam 1979

- Riley Smith, J.,
The Feudal Nobility in the Latin Kingdom of Jerusalem London 1973.

-Rohricht, R., :
Geschichte de Konigreichs Jerusalem ,Innsbruck 1898.

- Runciman , S.,
A History of the Crusades , 3vols., London 1973 .

المراجع العربية والمعربة

- **ابراهيم سعيد :**

يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة، الاسكندرية ١٩٩١م٠

- **أحمد سوسة (دكتور)**

١- مفصل العرب واليهود في التاريخ ، ط٥ ، بغداد " دار الرشيد " ١٩٨١م ٠

٢- تاريخ وحضارة الرافدين ، ٢جـ ، بغداد " دار الحرية " ١٩٨٦م ٠

- **احسان عباس (دكتور)**

١- تاريخ دولة الانباط ، ط١ ، عمان " دار الشروق " ١٩٨٧م٠

- **أحمد رمضان (دكتور)**

المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٧٧م ٠

- **أحمد فخري (دكتور)**

دراسات في تاريخ الشرق القديم ، القاهرة " مكتبة الانجلو المصرية " ١٩٦٣م ٠

- **ارشيبالد لويس :**

القوى البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ترجمة احمد محمد عيسى " مكتبة النهضة المصرية " بدون تاريخ ٠

- **اسحق ابراهيم فارس :**

مدخل إلى العهد المسيحي الأول ، القاهرة ١٩٨٧م ٠

- **اسحق عبيد (دكتور)**
١- معرفة الماضي من هيرودوت إلى توينبي ، ط١ ، القاهرة " دار المعارف " ١٩٨١م٠
٢- من الأراك إلى جستنيان " دراسة في حوليات العصور الوسطى " القاهرة ١٩٧٧م٠
- **السيد الباز العريني (دكتور)**
مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣م ٠
- **بيريل سمالي :**
المؤرخون في العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ط٢، القاهرة "دار المعارف" ١٩٨٤م ٠
- **جان توشار وآخرون :**
تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة علي مقلد ، الطبعة الأولى ، بيروت " الدار العالمية للنشر " ١٩٨١م ٠
- **جورج بوست :**
قاموس الكتاب المقدس ، ٢جـ ، بيروت ١٨٩٤-١٩٠١م ٠
- **جونز أ ٠ هـ ٠ م ٠**
مدن بلاد الشام ، ترجمة د٠ احسان عباس ، عمان " دار الشروق" ١٩٨٧م ٠
- **حسن عبد الوهاب (دكتور)**
تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة ، الاسكندرية " دار المعرفة الجامعية " ١٩٨٩م ٠
- **درويش النخيلي (دكتور)**
السفن الإسلامية على حروف المعجم ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية " دار

المعارف " ١٩٧٩م ٠

- ر ٠ س ٠ سميل :

فن الحرب عند الصليبيين ، ترجمة محمد الجلاد ، ط١ ، دمشق ١٩٨٥ ٠

- رائف نجم وآخرون :

كنوز القدس ، ط١، ميلانو " مؤسسة آل البيت " ١٩٨٣م/١٤٠٣هـ ٠

- رشيد الناضوري (دكتور)

المغرب الكبير (العصور القديمة) ، بيروت " دار النهضة العربية " ١٩٨١م ٠

- سامي الأحمد :

تاريخ فلسطين القديم ، بغداد " مركز الدراسات الفلسطينية " ١٩٧٩م ٠

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)

١- الحركة الصليبية ، ٢جـ ، ط١ ، القاهرة " الانجلو مصرية " ١٩٧٨م ٠

- سعيد البيشاوي (دكتور)

١- الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط١ ، الاسكندرية " دار المعرفة الجامعية " ١٩٩٠م ٠

٢- نابلس " الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في عصر الحروب الصليبية ، ط١، عمان ١٩٩١م ٠

- سعيد البيشاوي وآخرون :

دراسات في الأديان والفرق ، ط١، عمان " دار الاتحاد " ١٩٩٠

- صادق أحمد جوده (دكتور) :

مدينة الرملة منذ نشأتها حتى ٤٩٤هـ / ١٠٩٩م ، ط١ ، عمان " دار عمار" ١٩٨٦م ٠

- **عادل عبد الحافظ شحاته :**

العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ، ١١٥٢-١٢٥٠م / ٥٤٧-٦٤٨هـ ، ط١، القاهرة " مكتبة مدبولي " ١٩٨٩م

- **عبد الرحمن وسعيد عاشور :**

مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، ط١، القاهرة ١٩٧٠م ٠

- **عبد الفتاح العويسي (دكتور)**

جذور القضية الفلسطينية ، ط٢ ، الخليل " دار الحسن " ١٩٩٢م ٠

- **عزيز سوريال عطية (دكتور)**

الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة فيليب سيف ، ط٢، القاهرة " دار الثقافة " ١٩٩٠م ٠

- **فرانسوا ديكريه :**

قرطاجة " امبراطورية البحر ، ترجمة عز الدين احمد عزو ، ط١ ، دمشق " الأهالي للطباعة والنشر " ١٩٩٦م ٠

- **فؤاد دويكات :**

طبرية ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، اربد ١٩٩٦م ٠

- **فيليب حتي (دكتور)**

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جـ١ ، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، بيروت ١٩٥٨م ٠

- **قسطنطين خمار :**

موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩م ٠

- **لويس مخلوف :**
الأردن تاريخ وحضارة آثار ، ط١ ، عمان ١٩٨٣م ٠
- **لي سترانج :**
فلسطين في العهد الإسلامي ، ترجمة محمود عمايرى ، ط١ ، عمان " جمعية المطابع التعاونية " ١٩٧٠م٠
- **محمد عثمان الخشب :**
حركة الحشاشين " تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي "، القاهرة " مكتبة ابن سينا " ١٩٧٧م ٠
- **محمد عزه دروزه :**
تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ، صيدا - بيروت ١٩٦٩م ٠
- **محمد مؤنس عوض (دكتور)**
الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط١ ، القاهرة ، " مكتبة مدبولي " ١٩٩٢م ٠
- **محمود سعيد عمران (دكتور)**
١- الحملة الصليبية الخامسة (حملة جان دي برين) ، ط٢، الاسكندرية ١٩٨٥م ٠
٢- السياسية الشرقية للأمبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور مانويل كومنين ، الاسكندرية ، ١٩٨٥م ٠
- **محمود العابدى :**
الآثار الإسلامية في فلسطين والاردن ، عمان ١٩٧٣م ٠
مجلة الاديب البيروتية ، ابريل (نيسان) ١٩٧٤م٠
- **مصطفى مراد الدباغ :**
بلادنا فلسطين ، جـ١ ، ق١ ، ط١ ، بيروت ١٩٦٥م ، جـ٢ ، ق٢ ، ط١ ،

بيروت ١٩٧٢م ، جـ٨ ،ق٢،ط٢، بيروت ١٩٧٤م٠

- **نجيب ميخائيل (دكتور)**

مصر والشرق الادنى القديم ، ٤جـ ، ط٣ ، الاسكندرية " دار المعارف " ١٩٦٦م ٠

- **نظير حسان سعداوي (دكتور)**

المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، القاهرة ١٩٦٢م ٠

- **يوشع براور :**

عالم الصليبيين ، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، ط١ ، القاهرة " دار المعارف " ١٩٨١م ٠

- **يونس عمرو (دكتور)**

خليل الرحمن العربية ، ط٢ ، الخليل " مركز البحث العلمي " ١٩٨٧م ٠

الموسوعات

- ***Academic American Encyclopedia,*** "St. Jerome" vol. 11,New Jersy 1981.

- ***Encyclopedia Americana ,*** " St . Jerome", vol. 16, U.S.A.1985.

- ***Encyclopedia Britanica ,*** vol. 13 , London 1958.

فهرس الأعلام والأقوام والجماعات

فهرس الأماكن والمواقع والمدن

نبذة مختصرة عن المترجم

– الدكتور سعيد عبد الله جبريل البيشاوي

– فلسطيني الأصل من قرية بيت دجن/ يافا.

– حصل على الليسانس من قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الاسكندرية سنة 1978م بتقدير جيد.

– حصل على درجة الماجستير من قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الاسكندرية سنة 1984م بتقدير ممتاز، موضوع اطروحة الماجستير «نابلس ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي».

– نال درجة الدكتوراه من قسم التاريخ/كلية الآداب/ جامعة الاسكندرية سنة 1988م بمرتبة الشرف الأولى، موضوع اطروحة الدكتوراه «الاقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية».

– عمل مدرساً مساعداً في جامعة الخليل/ فلسطين، 1984–1986.

– عمل في إحدى الكليات الجامعية المتوسطة نائباً للعميد للشؤون الاكاديمية/ الأردن.

– عمل مدرساً غير متفرغ في الجامعة الأردنية/ الأردن.

– عمل مدرساً غير متفرغ في كلية تأهيل المعلمين العالية/ الأردن.

– عمل أستاذاً مساعداً في جامعة عمر المختار/ ليبيا.

– يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية العلوم التربوية/ رام الله.

– عضو الهيئة الادارية للجمعية الفلسطينية للدراسات التاريخية.

– مدير تحرير المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية.

– **الكتب المنشورة**

1– **الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية**، الطبعة الأولى، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1990م.

2– **دراسات في الأديان والفرق مع مجموعة من الباحثين**، ط1، عمان 1990م.

3– نابلس **«الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية»**، الطبعة الأولى، 1991م.

4– **دراسات في الفكر العربي الإسلامي مع مجموعة من الباحثين**، الطبعة الأولى، عمان «دار الهلال» 1991م.

5– **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الأراضي المقدسة**، ترجمة د. سعيد البيشاوي وداود أبو هدبة، الطبعة الأولى، عمان 1992م.

6– **وصف الأراضي المقدسة للرحالة الألماني بورشارد من دير جبل صهيون**، الطبعة الأولى، عمان، دار الشروق، 1995م.

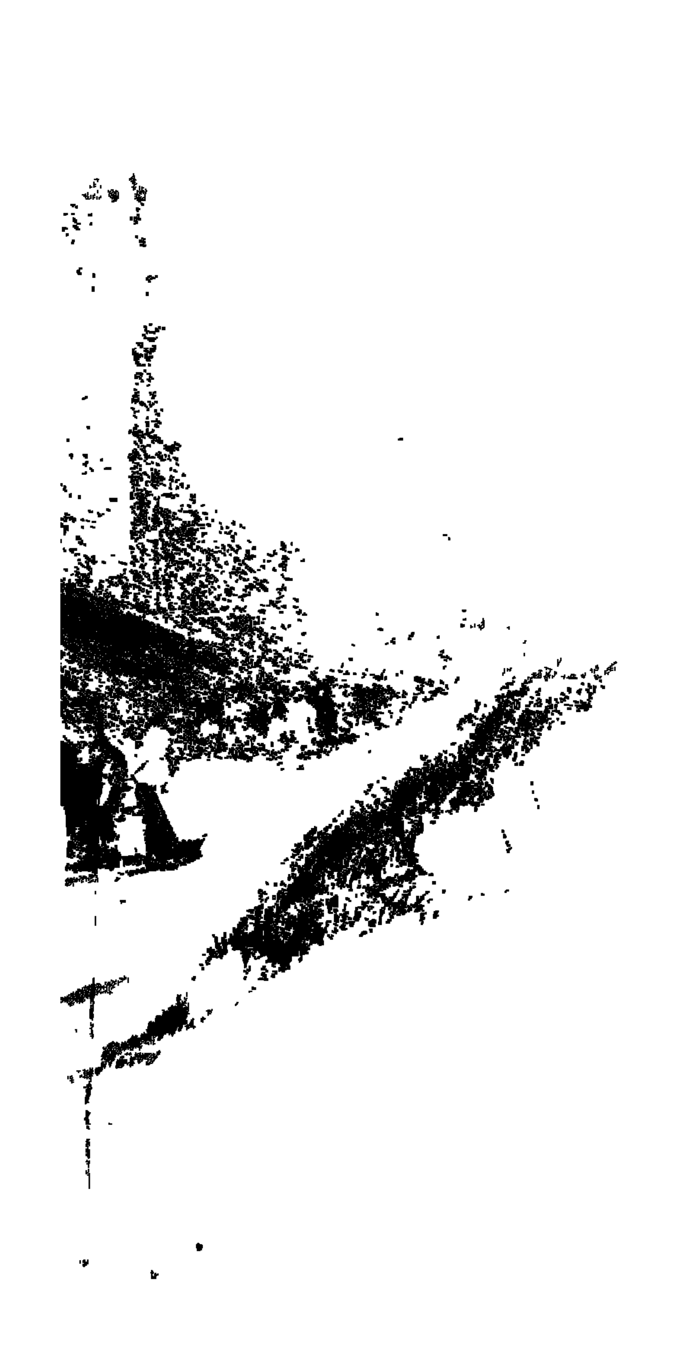
7- **رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة**، الطبعة الأولى، عمان، دار الشروق، 1997م.
8- **وصف الأراضي المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني يوحنا فورزبورغ**، الطبعة الأولى، عمان، دار الشروق، 1997م.
9- **تاريخ بيت المقدس ليعقوب الفيتري**، ترجمة سعيد البيشاوي، ط1، عمان، دار الشروق، 1998م.
10- **بحث بعنوان «دارسة مقارنة بين الاستيطان الفرنجي والصهيوني»**، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية، العدد الأول 1998م.

- كتب تحت الطبع:

1- دارسات في النظم الإسلامية مع مجموعة من الباحثين.
2- الاقطاع في عصر الخلافة الإسلامية.
3- اقطاعية حيفا في العهد الفرنجي 1100-1264م.
4- رحلة الحاج يوحنا بولونير في الأراضي المقدسة.
5- رحلة الحاج اليوناني يوحنا فوقاس في الأراضي المقدسة.
6- وصف بيت المقدس والأرض المقدسة للرحالة فيتلوس.
7- قرية جماعيل عبر التاريخ.
8- الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس، مجلة يوم القدس، جامعة النجاح 1997م.

- الندوات والمؤتمرات:

1- الاشتراك بندوة القدس التي عقدت في جامعة النجاح الوطنية 1995/8/15م بموضوع «بيت المقدس من خلال أقوال الرحالة يوحنا فورزبوزغ».
2- الاشتراك بمؤتمر البلدان الفلسطينية «الذي عقد في جامعة النجاح الوطنية بتاريخ 1996/4/22م. بموضوع: «اقطاعية حيفا في العصر الفرنجي».
3- الاشتراك في الندوة الثانية ليوم القدس التي نظمتها جامعة النجاح الوطنية بتاريخ 1996/5/20م، وكان موضوع البحث «الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس ومحيطها».
4- الاشتراك في الندوة الثالثة ليوم القدس التي نظمتها جامعة النجاح الوطنية بتاريخ 1997/5/12م، وكان موضوع البحث الأوضاع الاقتصادية في بيت المقدس في العصر الفرنجي.
5- الاشتراك في ندوة الخليل التي نظمتها جامعة النجاح الوطنية بتاريخ 1997/5/28، وكان موضوع البحث الأوضاع الاقتصادية في الخليل في العصر الفرنجي.
6- الاشتراك بمؤتمر المؤرخين العرب الذي عقد في بغداد ببحث عن الاستيطان الفرنجي في بيت المقدس.





لجنة الدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين

The Committee For The Defence Of Palestinian Refugees Rights

الناشر

دار الشروق للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله – فلسطين

الغلاف أيمن البس

الشروق للدعاية والاعلان/ قسم الخدمات المطبعية